روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

125

كرة النار

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - الهدف ..

تردّد أزيز خافت ، داخل المصعد الأسطوانى الشفاف ، لمبنى المخابرات العلمية المصرية ، وهو يهبط بالمقدّم (نور) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، وانبعث داخله صوت معدنى رتيب ، يقول فى آلية :

- برجاء الثبات فى موقعك ؛ لبدء إجراءات الفحص ، وتحديد الهوية .

اتخذ (نور) وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يتطلّع إلى دائرة من الضوء الأخضر ، فى منتصف الباب الشفاف تمامًا ..

وفى لحظة واحدة ، انبعثت عشرات من خيوط الأشعة الليزرية الدقيقة ، باللونين الأحمر والأزرق ، وراحت تجوب جسد (نور) فى سرعة مدهشة ، وكأنها تحدّد مقاييسه بمنتهى الدقة ، فى نفس اللحظة التى راحت فيها دائرة الضوء الأخضر تدور حول نفسها ، وتتغيّر ألوانها من المركز إلى الأطراف ،

عبر مجموعة من ألوان الطيف ، قبل أن تتوقف عند اللون البنفسجى ، وينبعث منها شعاع ليزرى بالغ الدقة ، فحص بصمة قزحية (نور) فى جزء من عشرة أجزاء من الثانية ، عاد بعدها ذلك الصوت المعدنى الرتيب ، يقول بنفس الآلية :

ـ تم التحقق من الهوية .. المقدم (نور الدين محمود) .. الفئة (١) .. الملف سرى للغاية .. القائد الأعلى فى انتظارك منذ دقيقة وسبع ثوان .

مع آخر الكلمات الآلية ، توقف المصعد فى ذلك الطابق ، الخاص بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وانفتح الباب الشفاف ، فى نفس اللحظة التى أضىء فيها الممر ، الذى يقود إلى حجرة القائد الأعلى ، فتقدم (نور) نحو باب الحجرة ، بخطوات عسكرية ثابتة قوية ، وتوقف أمامه مباشرة ، فانبعث خيط آخر من الليزر ، راح يفحص ملامحه فى سرعة ، قبل أن يقول صوت آلى آخر :

ـ المقدم (نور الدين محمود).. مسموح بالدخول .

كان يشعر بشىء من الضجر والتوتر ، مع إجراءات

الأمن المبالغة ، التى تضاعفت مرتين ، منذ تسلم القائد الأعلى الجديد منصبه ..

وفى هدوء ونعومة ، ودون أدنى صوت ، دارت ضلفتا الباب المعدنى على مركزيهما ، وبدت الحجرة الواسعة أمام (نور) ، فى حين نهض القائد الأعلى الجديد من خلف مكتبه ، وهو يقول بابتسامة هادئة ، بدت خاوية تمامًا من أية انفعالات :

ـ تفضل أيها المقدم .. إننى بانتظارك .

كان هناك رجل آخر فى الحجرة ، أشيب الشعر تمامًا ، كث الحاجبين ، فى أوائل الخمسينات من عمره ، رمق (نور) بنظرة صارمة ، تخلو من الود ، وانقلبت شفته السفلى فى شىء من الامتعاض و (نور) يدلف إلى الحجرة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيدى .. لقد وصلت فى موعدى تمامًا ، ولكن إجراءات الأمن الجديدة استغرقت .....

قاطعه القائد الأعلى ، فى شىء من الحزم :

ـ أعلم هذا أيها المقدم .. لا داعى للاعتذار .

لم ترق هذه المقاطعة لـ (نور) ، إلا أنه لم

يعترض ، وإنما تقدّم حتى بلغ مكتب القائد الأعلى ، وذلك الأشيب يتابعه ، بنفس الصرامة والامتعاض ، حتى أدّى التحية ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين) فى خدمتك يا سيّدى .

عقد القائد الأعلى الجديد كفيه خلف ظهره ، ورمق (نور) بنظرة فاحصة طويلة ، قبل أن يقول فى حزم واضح :

ـ كان ينبغى أن نلتقى ، منذ اليوم الأوّل لتسلّمى العمل هنا أيها المقدّم ، خاصة وقد أوصانى السيّد رئيس الجمهورية بك شخصيًا ، ولكننى رأيت أن أعيد تنظيم الإدارة أوّلاً ، قبل أية مقابلات .

غمغم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى يا سيّدى .

عاد القائد الأعلى يرمقه بنظرة فاحصة طويلة ، ثم أشار إلى الأشيب ، قائلاً :

ـ الدكتور (جلال) .. رئيس مركز الأبحاث العلمية الجديد .

التفت (نور) إلى الرجل ، قائلاً باحترام :

ـ تشرّفنا يا سيّدى .

ولكن الدكتور (جلال) قلب شفتيه ، فى امتعاض أكثر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أنت إذن ذلك الصبى ، الذى وشى برئيسيه ، وتسبّب فى عزلهما ومحاكمتهما !

التقى حاجبا (نور) ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ لست صبيًا يا دكتور (جلال) .. من الناحية العمرية على الأقل ، ثم إنه من المؤكّد أننى لست واشيًا ، بل رجل مخابرات ، يدين بالولاء لهذا الوطن ، ويسعى لأمنه وأمانه وسلامته ، ولمنع كل من يحاول الإساءة إليه ، مهما كان منصبه أو موقعه .

قال الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ هل تعنى أنك مستعد لتكرار الأمر نفسه معى ، ومع قائدك الأعلى الجديد ، لو اقتضى الأمر ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ودون أدنى تردّد .

احتقن وجه الدكتور (جلال) ، وهمّ بالنهوض من مقعده فى حركة حادة ، ولكن القائد الأعلى الجديد أشار إليه إشارة صارمة ، وهو يقول :

ـ المقدّم (نور) لم يخطئ .

هتف الدكتور (جلال) ، فى غضب مستنكرا :

ـ أى قول هذا ؟! ألم ..

بتر عبارته بغتة ، مع تلك النظرة النارية ، المطلة من عينى القائد الأعلى ، ثم تراجع إلى مقعده فى بطء ، وهو يهمهم بعبارات غاضبة ، وأشاح بوجهه فى حنق ، فى حين تلاشت الصرامة من ملامح القائد الأعلى بغتة ، وهو يدير عينيه إلى (نور) ، قائلا :

ـ دعنا من كل هذا ، ولنتحدث عن العمل أيها المقدم .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيدى .

ألقى القائد الأعلى نظرة أخرى على الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث الجديد ، قبل أن يعيد بصره إلى (نور) ، قائلا :

ـ لقد راجعت ملفك وملفات أفراد فريقك أيها المقدم .. الواقع أنكم قد بذلتم جهدا مضنيا ، خلال السنوات الماضية ، وواجهتم أهوالا ، يشيب لها الولدان ، وأمورا رهيبة مخيفة ، لو واجهها أعظم الأبطال ، لتحطم وانهار بلا شك .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إننا لن نتردد عن مواجهة أضعاف هذا ، فى سبيل (مصر) ، ولن ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

ثم استدار مبتعدا عن مكتبه ، وهو يكمل :

ـ ولكننى أعتقد أن ما واجهتموه بالفعل يكفى ويزيد .

مع آخر حروف عبارته ، التفت الدكتور (جلال) بحركة حادة وشامتة ، ليلقى نظرة سريعة على (نور) ، ثم يشيح بوجهه ثانية ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

قول القائد الأعلى ، وشماتة مدير مركز الأبحاث ، يعنيان أمرا ما حتما ..

وهو ليس بالأمر الجيد ..

لذا ، فقد سأل (نور) فى توتر :

ـ ما الذى تشير إليه بالضبط أيها القائد ؟!

تألقت عينا القائد الأعلى ، على نحو لا يوحى أبدا بالارتياح ، وهو يجيب :

ـ الترقيـة .

كرر (نور) ، فى حذر زائد :

ـ الترقيـة ؟!

عاد القائد الأعلى إلى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

ـ نعم .. الترقية أيها المقـدم .. لقد منحتم الوطن الكثير من جهدكم وكفاحكم .. وشبابكم أيضـا ، وحـان الوقت ليكافئكم الوطن على خدماتكم العديدة .

قال (نور) فى صوت قوى :

ـ أفضل مكافأة نحصـل عليهـا ، هـى أن نواصـل عملنا كفريق علمى .

تجاهل القائد الأعلى عبارتـه تمامـا ، وكأنـه لـم يسمعها ، وهو يواصل حديثه :

ـ لـذا ، فقد أصدرت قـرارًا بترقيتـك إلـى منصب رئيس قسم المتابعة ، ويتم الآن إعداد مكتب فخم ، يليق بمنصبك الجديد ، أما زميلك (أكرم) ، فسيتولى تدريب المرشحين الجدد للعمـل بـالإدارة ، وزوجتـك ستحصل على معمل خاص ، فى إدارة البحث العلمى ، لإجراء أبحاثها الخاصة بالصوتيات ، وابنتك ستشترك فى عملية تطوير الجيل الجديد ، من أجهزة الكمبيوتر

المفكـرة ، وزوجهـا سـيدير قسـم الطـب النفسـى ، الخاص بالإدارة .

وتراقصت على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ أعتقد أنها مكافآت مناسبة وسخية للجميع .

انعقد حاجبا (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ تـرى هـل لفريقى أن يتمسك بموقعه الحالى ، ويرفض تلك المكافآت السخية أيها القائد ؟!

ومن المؤكـد أن ابتسامة القـائد الأعلى لـم تـرق لـ (نور) قط هذه المرة ، وهو يجيب :

ـ من الواضح أنك لـم تستوعب الموقف بعد أيها المقدم .. لم يعد هناك وجود لما يمكن أن تطلق عليـه اسم الفريق .. لقد أصبحتم مجرد أفراد ، فى منظومـة عمل كبيرة .

ازداد انعقاد حـاجبى (نـور) ، فاتسـعت ابتسـامة القائد الأعلى ، وبدا صوته شامتًا فـى وضـوح ، وهـو يضيف :

ـ لقد انتهى أمر فريقك أيها المقدم .. انتهى إلى الأبد .

قالها ، فاعتدل الدكتور (جلال) ، وتطلّع بنظرة ملؤها التحدّى والشماتة إلى (نور) .

أما القائد الأعلى نفسه ، فقد اتسعت ابتسامته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« مستحيل ! هذا ظلم فادح ... » .

هتف (أكرم) بالعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يلوّح بيده فى حدة ، قبل أن يندفع نحو (نور) ، مستطردًا :

ـ لا بد من إبلاغ الرئيس .. إنهم يحطموننا عمدًا .

مطّ (نور) شفتيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ من الناحية القانونية لا توجد أية أضرار بالنسبة لنا ؛ فلقد حصلنا جميعًا على ترقيات ، ومناصب يحلم بها الجميع ، فما الذى يمكن أن نشكو منه ؟!

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ إنهم قد استبعدونا من العمل المباشر .

أجابها (نور) ، وهو يشيح بوجهه ، ليخفى توتره وانفعاله الزائدين :

ـ لا يوجد قانون واحد ، يلزمهم بإسناد أية مهام

إلينا ، وخاصة بعد أن كوّن الرائد (أيمن) فريقه الجديد ، وتسلّم مكاتبنا بالفعل .

قالت (نشوى) فى مرارة :

ـ أيعنى هذا أنك ستستسلم للأمر يا أبى ؟!

زفر (نور) فى حرارة ، وهو يجيب :

ـ واجبى يحتّم علىّ هذا يا (نشوى) .. أنا رجل مخابرات ، وسأطيع أوامر رؤسائى أيًا كانت ، ما دامت لا تخالف القانون .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ هل ينطبق هذا علينا أيضًا ؟!

أجابه (نور) :

ـ أنتم أحرار ، فى قبول أو رفض مناصبكم الجديدة .

سأله (أكرم) فى حدة :

ـ وما البديل لو رفضنا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صوت عجيب ، يجمع ما بين الحزم والمرارة :

ـ الاستقالة .

دوت كلمته كالقنبلة فى الحجرة ..

قنبلة من الصمت ..

فلقد اتسعت عيون الجميع ، وكأن جواب (نور) قد باغتهم ، على نحو لم يكن أحدهم يتوقعه قط ، وتبادلوا نظرة بالغة التوتر ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى خفوت :

ـ هذا ما يسعون إليه بالضبط .

احتقن وجه (رمزى) فى شدة ، وهو يهبّ من مقعده ، هاتفًا فى حدة :

ـ فليحصلوا على ما سعوا إليه إذن .

هتف بالعبارة ، واندفع غاضبًا نحو باب منزل (نور) ، فاندفعت (نشوى) خلفه ، هاتفة فى قلق وتوتر :

ـ (رمزى) .. إلى أين ؟!

وأصاب الفزع ابنهما (محمود) الصغير ، الذى لم يستوعب ما يحدث ، فانفجر باكيًا فى عنف ، جعل (سلوى) تهرع إليه ، قائلة :

ـ الحقى به يا ابنتى .. لا تتركيه وحده ، فى مثل هذه الظروف .

تردّدت (نشوى) ، وهى تنقل بصرها بين ابنها

الباكى ، وزوجها الذى اندفع نحو سيارته فى غضب ثائر ، وغمغمت :

ـ ولكن (محمود) .

ربّت (نور) على كتفها ، قائلا :

ـ إنه معنا .. الحقى بزوجك .

وتمتم (أكرم) فى عصبية :

ـ إنه يحتاج إليك بشدة .

حسمت الكلمات موقف (نشوى) ، فاندفعت خلف (رمزى) ، هاتفة :

ـ (رمزى) .. انتظر .

رآها (نور) تقفز إلى سيارة (رمزى) ، الذى انطلق بها فى حنق واضح ، فغمغم فى ضيق مرير :

ـ نادرًا ما يفقد (رمزى) أعصابه .

قال (أكرم) فى حنق :

ـ لو لم يفعل ، لبدا لى كتمثال من الحجر .

ثم استطرد فى ثورة :

ـ ما الذى يفعلونه بنا بالضبط ؟! أهذا جزاؤنا ، بعد كل ما فعلناه ؟! لقد أنقذنا العالم كله عدة مرات .. هل ينتهى الأمر بنا إلى تقاعد إدارى سخيف كهذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يقول ، بصوت حمل كل توتر الدنيا :

ـ ليت الأمر يقتصر على التقاعد يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين اتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

ولم يجب (نور) تساؤلها ..

ولكنها فهمت ما يقصده ..

كلاهما فهم ، وسقط قلبه بين قدميه ..

بعنف ..

★ ★ ★

عبر سنوات تعارفهما وعملهما وزواجهما ، لم تر (نشوى) (رمزى) غاضبًا قط ، كما رأته فى ذلك اليوم ..

لقد انطلق بسيارته فى سرعة كبيرة نسبيًا ، عبر شوارع (القاهرة) الجديدة ، وقد انعقد حاجباه ، واكفهر وجهه ، وانقلبت سحنته ، حتى إن (نشوى)

جلست إلى جواره صامتة لوقت طويل ، قبل أن تغمغم فى حذر :

ـ الظلم لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

اندفع يقول فى حدة :

ـ إنه ليس ظلمًا فحسب ، وإنما هو إجحاف بحقنا أيضًا .. كيف يكون هذا جزاؤنا ، بعد كل ما بذلناه ، فى سبيل هذا الوطن ؟! لماذا يتعاملون معنا بهذه الروح العدوانية ؟! لقد أدينا واجبنا بكل إخلاص وتفان ، فكيف ينتهى بنا الأمر إلى هذا ؟!

قالت فى انفعال :

ـ إننا لم نفعل ما فعلناه انتظارًا لربح أو مكافأة .. لقد فعلناه من أجل (مصر) فحسب .

هتف فى غضب :

ـ ومن تحدث عن المكافأة ؟! إننا لم نطلب أوسمة أو دروعًا .. ولكننا أيضًا لا نستحق عقابًا منمقًا مدروسًا ، خبيثًا إلى هذا الحد .. لقد تعاملوا معنا بعداء منقطع النظير ، و ...

بتر عبارته فجأة ، وقفزت قدمه بحركة سريعة عنيفة إلى فرامل السيارة ، فانطلق من إطاراتها

صرير مخيف ، وهى تتوقف على نحو مباغت ، جعل (نشوى) تندفع إلى الأمام فى عنف ، بفعل القصور الذاتى ، حتى كادت ترتطم بالتابلوه الأمامى ، لولا حزام الأمان القوى ، فهتفت فى دهشة مستنكرة :

ـ ما الذى ..... ؟!

قبل أن تتم عبارتها ، ارتطم شىء ما بمقدمة السيارة ، وانبعث منه وهج أخضر عنيف ، مع صوت مكتوم ، ارتجّت له أذنا (نشوى) ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، انطلق صرير إطارات السيارة مرة أخرى ، و (رمزى) يتراجع بها إلى الخلف بسرعة مخيفة ..

وبقلب مرتجف ، اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، مع تلاشى الوهج الأخضر ، وهى تحدّق فى ذلك الشىء ، الذى ارتطم بأعلى مقدمة السيارة ..

كانت كرة من اللهب ..

نعم .. كرة من لهب أخضر عجيب ، تجمّعت مرة أخرى على نحو مخيف ، قبل أن تنطلق مطاردة السيارة المتراجعة ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أدار (رمزى) عجلة القيادة بكل قوته ، فدارت السيارة حول نفسها ، بصوت رهيب ، امتزج بصراخ المارة ، وصرير إطارات السيارات الأخرى ، التى أصابها الرعب والفزع ، إزاء ذلك المشهد المخيف ، ومع مرأى كرة اللهب الصغيرة ، التى انطلقت تطارد سيارة (رمزى) ، فى إصرار عجيب ..

وبأقصى سرعته ، انطلق (رمزى) بسيارته ، و (نشوى) تكرّر صارخة :

ـ ما هذا يا (رمزى) ؟! ما هذا ؟!

صاح ، وهو يناور بالسيارة ، بكل ما يمتلك من مهارة :

ـ لست أدرى .. صدقينى .. لست أدرى ..

أدار عجلة القيادة مرة أخرى فى قوة ، فانحرفت سيارته بسرعة مخيفة ، وقفزت خارج الطريق الرئيسى ، وانطلقت كالصاروخ نحو شارع جانبى صغير ..

وبزاوية حادة ، انحرفت كرة اللهب خلفه ، متجاهلة كل السيارات والعربات الأخرى فى الطريق ، لتواصل

مطاردته بنفس الشراسة والإصرار ، وقد تحوّل لونها من الأخضر إلى الأزرق ..

ومع انحرافها الحاد ، انعقد حاجبا (رمزى) فى شدّة ، وهو يهتف بزوجته :

- اقفزى من السيارة ، عندما أدور حول الناصية التالية .

هتفت فى ذعر :

- ماذا تقول ؟! إننى لن ..

قاطعها بصرخة هادرة :

- قلت : اقفزى .

قالها ، وانحرف بسيارته على نحو مباغت ، ثم مال إلى اليمين ، وفتح باب السيارة المجاور لها ، صارخا مرة أخرى :

- اقفزى .

تشبثت بمقعدها فى شدّة ، صائحة ، ودموعها تغرق عينيها :

- لن أتركك وحدك .. لن أتخلّى عنك .

كانت كرة النار تزيد من سرعتها ، وتقترب من السيارة أكثر فأكثر ، ولونها يتغيّر إلى البنفسجى

الهادئ ، لذا فقد انتزع (رمزى) قفل حزام مقعدها ، وهو يقول فى توتر مرير للغاية :

- سامحينى .

وبكل ما يمتلك من قوة ، دفعها جانبا ، وهو ينحرف بالسيارة إلى اليسار ..

وانطلقت من حلق (نشوى) صرخة رعب كبيرة ، وهى تسقط من السيارة ، وترتطم بالأرض فى عنف ، ثم تتدحرج فوقها فى قوة ..

ومن فوق رأسها .. وأمام عينيها مباشرة ، انطلقت كرة اللهب ، بلونها البنفسجى ، وقد استحالت مقدّمتها إلى لون أحمر نارى مخيف ..

وعلى الرغم من آلامها العنيفة ، والكدمات والسحجات والجروح ، التى تنتشر فى جسدها كله ، صرخت (نشوى) :

- لا .. يا (رمزى) .. لا ..

وعند الناصية التالية ، رأت (رمزى) ينحرف بسيارته ، وإطاراتها تصرخ بشدّة ، ثم تنحرف خلفه كرة اللهب ، التى اكتسى نصفها الأمامى كله بذلك اللون النارى المخيف ، وكأنها تستعد لاقتضاضتها الأخيرة .. والحاسمة ..

وعند الناصية التالية ، رأت (رمزى) ينحرف بسيارته ، وإطاراتها تصرخ بشدة ، ثم تنحرف خلفه كرة اللهب ..

وعبر جهاز الاتصال فى ساعتها ، هتفت (نشوى) :

ـ أبى .. النجدة يا أبى .. (رمزى) يواجه خطرًا رهيبًا .. إنها تطارده .

أتاها صوت (نور) على الفور ، وهو يهتف :

ـ أين أنتما يا (نشوى) ؟! وما تلك التى تطارد (رمزى) ؟!

تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تصرخ :

ـ كرة مخيفة يا أبى .

هتف فى دهشة متوترة :

ـ كرة ؟!

أجابته فى رعب :

ـ نعم .. كرة من النار .

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى انفجار مكتوم من بعيد ..

انفجار يوحى ، مع وهجه الأحمر المخيف ، أن كرة النار قد بلغت هدفها ..

وأصابته ..

تمامًا .

★ ★ ★

٢ - نيران الخطر ..

اندفع (نور) و (أكرم) عبر ممرات المستشفى العسكرى ، فى توتر بالغ ، وما إن لمحا (نشوى) شبه المنهارة ، أمام حجرة الطوارئ ، حتى اتجها إليها مباشرة ، و (نور) يسألها فى انفعال :

- كيف هو ؟! ماذا أصابه ؟!

كان وجهها شاحبًا ممتقعًا ، على نحو مخيف ، وهى تقلب كفيها فى حيرة بلا حدود ، قائلة :

- لست أدرى ! لست أفهم شيئًا ! الأطباء أيضًا حائرون ، ويتحدثون بمصطلحات طبية وعلمية ، لا أفقه شيئًا منها .

ثم تفجرت الدموع فى عينيها ، وهى تهتف :

- إننى حائرة مرتبكة يا أبى ..

هتفت بالعبارة ، وألقت نفسها بين ذراعى والدها ، وأجهشت ببكاء حار ، فربت عليها (نور) فى حنان مشفق ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

- أرجوك .. عد بها إلى منزلنا ، واطلب من

(سلوى) أن ترعاها ، وأن تقنعها بالخلود إلى النوم بعض الوقت ، ولو اضطر الأمر إلى حقنها ببعض المهدئات القوية ، فأعصابها ثائرة للغاية ، و ...

قاطعته (نشوى) ، وهى تحاول التملص منه فى عنف ، هاتفة :

- لا .. لن أترك (رمزى) وحده هنا ، بعد ما أصابه .. لن أتخلى عنه أبدًا .

ضمها إليه (نور) مرة أخرى فى قوة ، وهو يهمس فى أذنها :

- رويدك يا ابنتى .. رويدك .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .. اهدئى .. سنبذل قصارى جهدنا لرعاية (رمزى) ، ولكن ..

دفعت نفسها بعيدًا ، وهى تصرخ :

- لا .. أنا وحدى رأيت ما حدث .. أنا وحدى يمكننى منحهم كل الأجوبة المطلوبة ، التى يمكن أن تساعدهم على إنقاذ حياته .

أتاها صوت حازم رصين من خلفها ، يقول :

- حياة زوجك ليست بحاجة إلى إنقاذ يا سيدتى .

ارتفعت عينا (نور) و (أكرم) إلى صاحب العبارة ، فى حين التفتت إليه (نشوى) فى حدة ، هاتفة :

- ماذا تعنى ؟! قل لى: ماذا تعنى ؟!

بدا الرجل هادئا رصينا وقورًا ، فى معطف الأطباء الأبيض ، على الرغم من ثورتها وحدتها ، وهو يجيب :

- أعنى أن حياته بخير يا سيدتى .. اطمئنى .

هتف به (أكرم) فى لهفة :

- هل تعنى أن (رمزى) قد نجا أيها الطبيب ؟!

تردد الطبيب لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- بل أعنى أن حياته بخير .

سأله (نور) ، فى قلق عارم :

- وما الفارق ؟!

تردد الطبيب لحظة أخرى ، ثم أجاب :

- الحالة التى عليها زميلكما ، تجعل الفارق كبيرًا للغاية .

ازداد وجه (نشوى) شحوبًا وامتقاعًا ، وهى تقول :

- لماذا ؟! لماذا ؟!

تنهد الطبيب ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نناقش هذا الأمر فى مكتبى .

هتفت (نشوى) :

- و (رمزى) ؟!

أجابها فى حزم :

- اطمئنى .. إنه فى عناية أفضل الزملاء ، وسيتم نقله بعد قليل إلى حجرة العناية الخاصة .

لم يكن هذا الجواب يكفيها أو يشبعها ، إلا أنها لم تعترض أو تحتج ، حتى بلغوا حجرة مكتب الطبيب ، الذى لاذ بالصمت بضع لحظات ، قطعها (نور) ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا أصاب (رمزى) يا سيدى الطبيب ؟!

قلب الطبيب كفيه ، وهو يجيب :

- من الناحية الطبية ، فزميلكم مصاب بحروق بسيطة ، من الدرجة الأولى ، تحتاج إلى علاج مكثف لمدة أسبوعين فحسب .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

- لماذا تم نقله إلى حجرة العناية الخاصة إذن ؟!

هز الطبيب رأسه ، مجيبًا :

- لأن زوجك غارق فى غيبوبة عميقة ، لا ندرى لها سببًا يا سيدتى .

تبادل (نور) و (أكرم) و (نشوى) نظرة بالغة التوتر ، والطبيب يتابع فى قلق حائر متوتر :

ـ ففى حالات الغيبوبة المعتادة ، تنخفض المعدلات الحيوية للجسم كله ؛ نظرًا لانخفاض استهلاك السعرات الحرارية إلى الحد الأدنى ، ولكن فى حالة زميلكم ، يبدو الأمر محيرًا للغاية .. إن معدلاته الحيوية كلها تعمل بكفاءة ، كما لو أنه مستيقظ ، وبأكمل نشاطه وحيويته ، وفى الوقت نفسه ، تنخفض إشارات مخه إلى الحد الأدنى ، الذى لا يكفى حتى لتعمل أجهزته بهذه المعدلات ، وهذا يخالف كل القواعد العلمية والطبية المعروفة .

تضاعف شحوب وجه (نشوى) ، حتى حاكى وجوه الموتى ، وهى تسأل :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

زفر فى توتر ، مغمغمًا :

ـ هذا ما نسعى لمعرفته يا سيدى .

سأله (نور) فى توتر :

ـ وماذا لو لم نتوصل لمعرفته ؟!

قلب الطبيب كفيه مرة أخرى ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يجيب ، مشيحًا بوجهه فى مرارة :

ـ سيعنى هذا أن صاحبكم سيظل غارقًا فى غيبوبته .. إلى الأبد .

اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما مع قوله ، وانفرجت شفتاها لتقول شيئًا ما ، إلا أن رأسها دار فى عنف ، و ...

وهوت فاقدة الوعى ..

دفعة واحدة .

★ ★ ★

« ما تفسيرك لهذا يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) السؤال فى توتر بالغ ، وهما ينطلقان بسيارة (نور) ، بعد أن نقلا (نشوى) إلى منزل الأخير ، الذى هز رأسه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. (نشوى) تحدثت عن كرة من النار ، طاردت سيارتهما فى إصرار شرس ، وواصلت مطاردتها لـ (رمزى) ، بعد أن غادرت هى السيارة ، مما يعنى أن تلك الكرة النارية كانت تطارد (رمزى) بالذات .

هز (أكرم) كتفيه ، متسائلاً :

ـ أليس من المحتمل أنها كانت تطارد السيارة ؟!

أعنى أن شيئا ما يجذبها إلى المحرك مثلا ، أو أسطوانة العادم .. ألم تقل (نشوى) إنها قد ارتطمت بمقدمة سيارتهما أولا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ كلا .. هذا غير محتمل على الإطلاق ، فطبقا لوصف رجال الإسعاف لموقع الحادث ، فقد كان (رمزى) ملقى خارج السيارة ، وعلى بعد ثلاثة أمتار منها تقريبا ، ومصابا بتلك الحروق ، فى حين كانت السيارة سليمة تماما ، فيما عدا أثر الاحتراق فى مقدمتها ، إثر الاصطدام الأول .

سأله (أكرم) بصوت متوتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبا :

ـ يعنى أن فكرتك نفسها قد جالت بخاطر (رمزى)، فقفز من السيارة ، وحاول الابتعاد عنها ، ولكن الكرة لحقت به ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يهز رأسه فى قوة ، محاولا إلقاء تلك الصورة البشعة عن ذهنه ..

صورة (رمزى) المسكين ، وهو يعدو خارج السيارة ، فتنحرف نحوه كرة النار ، وتنقض عليه بكل قوتها وشراستها ..

ويدوى الانفجار ..

ومرة أخرى ، هز (نور) رأسه فى قوة ، لينفض عنها تلك الصورة الرهيبة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ مسرح الجريمة .

لم يدرك (أكرم) معنى العبارة بالضبط ، فتساءل :

ـ ماذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير بيده مرة أخرى :

ـ كل الإجابات قد نحصل عليها ، فى مسرح الجريمة نفسه ؛ فهناك فقط يمكننا التأكد من صحة أو عدم صحة نظرية المطاردة الانتقائية هذه .

قالها ، ومال بسيارته ، لينطلق مباشرة نحو مسرح الحادث ، فى حين حاول (أكرم) أن يسترخى فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ آه .. فهمت .

لم يتبادلا كلمة واحدة إضافية ، حتى بلغت بهما السيارة ذلك الموقع ، الذى أصيب فيه (رمزى) ،

والذى أحيط بطاقم من رجال أمن إدارة المخابرات العلمية ، لم يكد رئيسه يلمح سيارة (نور) ، وهى تتوقف على قيد أمتار منه ، حتى بدا عليه التوتر ، وهو يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً فى احترام واضطراب :

ـ مرحبًا يا سيادة المقدم .

أشار إليه (نور) بإفساح الطريق ، وهو يسأله :

ـ هل وصل رجال المعمل الجنائى ؟!

ولكن قائد طاقم الأمن اعترض طريقه ، وهو يقول فى حرج متوتر :

ـ احم .. معذرة يا سيادة المقدم (نور) ، ولكن غير مسموح لك بالاقتراب من المكان ، أو تجاوز نطاق الأمن .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يهتف :

ـ هل جننت يا رجل ؟! ألا تعرف من الذى ...

ولكن (نور) أشار إليه بالتزام الصمت ، وهو يسأل الرجل فى هدوء صارم :

ـ من أصدر هذه الأوامر ؟!

أجابه رئيس طاقم الأمن فى حرج أكثر :

ـ قائد الفريق الذى يتولى المهمة يا سيادة المقدم .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، وهم بالهتاف بعبارة أخرى ، ولكن (نور) ضغط يده محذرًا ، وهو يقول :

ـ دعنى أخمن إذن .. إنه ..

قبل أن يتم قوله ، ارتفع صوت شامت ساخر ، يقول :

ـ آه .. المقدم (نور الدين) .. كنت أتوقع مقدمك يا صديقى .

استدار (نور) إلى صاحب الصوت ، قائلاً فى هدوء :

ـ الرائد (أيمن) .. لقد كان استنتاجى صحيحًا إذن .

توقف الرائد (أيمن) أمامه مباشرة ، وعقد كفيه أمامه ، وهو يشد قامته ، قائلاً بنفس الابتسامة الساخرة الشامتة :

ـ استنتاجاتك دائمًا صحيحة يا سيادة المقدم ، وربما إلى الحد الذى لم يترك للآخرين فرصة إثبات مهاراتهم .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ عندما يمتلك المرء مهارة ما ، فما من قوة فى الأرض يمكن أن تمنعه من إثباتها ، لو أن فى هذا خير للآخرين .

انعقد حاجبا الرائد (أيمن) فى حدة ، وهو يقول :

ـ أهذا رأيك ؟!

تجاهل (نور) هذه المشادة الكلامية ، وهو يسأل :

ـ ما الذى عثرتم عليه هنا أيها الرائد ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الرائد (أيمن) ، وهو يجيب :

ـ الكثير أيها المقدم .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ مثل ماذا ؟!

أدار (أيمن) عينيه إليه فى برود ، قائلاً :

ـ ليس هذا من شأنك .

ازداد احتقان وجه (أكرم) ، وتكورت قبضته فى حركة غريزية ، تشف عن بركان الغضب ، الثائر فى أعماقه ، على نحو أقلق رئيس طاقم الحراسة ، الذى أمسك مقبض مسدسه الليزرى فى حذر متحفز ، فى

حين بدا (نور) صارماً ، وهو يواجه (أيمن) ، قائلا :

ـ اسمع أيها الرائد ..

ولكن (أيمن) انفجر فى وجهه ، مقاطعًا :

ـ اسمعنى أنت أيها المقدم .. لقد أسندت الإدارة هذه المهمة لى ولفريقى ، والقواعد واضحة فى هذا الشأن .. ليس من حق أى مخلوق آخر التدخل فى عملنا ، مهما كان مركزه ، ومهما بلغت رتبته .. كل ما يمكنك فعله ، هو انتظار النتائج .

ثم استعاد ابتسامته الساخرة الشامتة ، وهو يضيف :

ـ هذا لو سمحوا لك بالاطلاع عليها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الـ ...

قاطعه (نور) هذه المرة فى حزم شديد ، وهو يقول :

ـ هيا بنا .

حدق (أكرم) فى وجهه باستنكار شديد ، هاتفًا :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ أقول : هيا بنا .. لم يعد لدينا ما نفعله هنا .

قالها ، واستدار عائدا إلى سيارته ، فاحتقن وجه (أكرم) ، وهو ينقل بصره بين (نور) ، الذى مضى فى سبيله فى حزم ، ووجه الرائد (أيمن) ، الذى انتفخ من شدة شماتته ، وشعوره بالظفر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ اللعنة !

ثم لوّح بسبّابته فى وجه (أيمن) ، هاتفا :

ـ ثق أن الأمر لم ينته بعد .

وانطلق يلحق بـ (نور) ، الذى لم يكد يطمئن إلى أن (أكرم) قد استقرّ فى السيارة ، حتى انطلق بها ، دون أن يلتفت إلى الرائد (أيمن) ، الذى اتسعت ابتسامته الظافرة الشامتة ، وهو يقول :

ـ صدقت يا هذا .. الأمر لم ينته بعد .

أما (أكرم) ، فقد هتف فى غضب ، والسيارة تنطلق فى سرعة :

ـ ما هذا يا (نور) ؟! كيف تنسحب أمام وغد كهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لم يكن هناك حل آخر يا (أكرم) ، فالقانون فى صفه هذه المرة .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم .. إنه زميلنا ، ذلك الذى أصابته كرة النار اللعينة هذه ، ولا يمكن أن نقف ساكتين أمام هذا .

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صوت حاسم :

ـ ليس هذا كل ما أخشاه يا (أكرم) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ وما الذى تخشاه أكثر من هذا يا (نور) ؟!

صمت (نور) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب ، فى حزم واقتضاب :

ـ أخشى ما أخشاه إنها البداية فحسب يا (أكرم) .

وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، على الرغم من أنه لم يكن يدرك ، عندئذ أن (نور) على حق تماما ، فى نبوءته هذه ..

إنها البداية ..

فحسب ..

★ ★ ★

انطلق (محمود) الصغير يبكى فى ذعر حائر ، وهو يتطلع إلى أمه ، التى بدت شاحبة ، ضعيفة ، ممتقعة ، تغرق دموعها عينيها بلا انقطاع ، على الرغم من العقار المهدئ ، الذى حقنتها به (سلوى) ، التى بدت شديدة الحزن والأسى ، وهى تبذل قصارى جهدها ، للعناية بابنتها وحفيدها فى آن واحد ، وراح كفها يربت على الصغير ، الذى تشبث بها مذعورًا ، متسائلاً بنظراته الهلعة الحائرة عما أصاب أمه ، فى نفس الوقت الذى راحت تمسح فيه شعر ابنتها بيدها الأخرى فى حنان ، متمتمة :

ـ اهدئى يا (نشوى) .. اهدئى يا بنيتى .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .

أمسكت (نشوى) كفها فى قوة ، وهى تهتف ، بصوت لم يفارقه الهلع بعد :

ـ لقد كان أمرًا رهيبًا يا أمى .. رهيبًا للغاية .. لقد بذل (رمزى) المسكين قصارى جهده ، وحاول الفرار بكل وسيلة ممكنة ، ولكن كرة النار ظلت تطارده فى إصرار شرس مخيف ، حتى ظفرت به .. يا للبشاعة ! يا للبشاعة !!

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تحاول تخيل ذلك المشهد الرهيب ، وانتقلت ارتجافتها ، على الرغم منها ، إلى ابنتها ، مع تربيتها عليها ، وهى تتمتم :

ـ كل شىء سيصبح على ما يرام .. كل شىء ..

تشبث بها (محمود) الصغير أكثر وأكثر ، وارتفع صراخه ، وهو يحدق مذعورًا فى وجه أمه ، والدموع الغزيرة التى تغرقه ، فضمته (سلوى) إليها ، محاولة تهدئته ، وهى تقول فى توتر بالغ :

ـ ماذا أصابك يا صغيرى ؟! ماذا أصابنا جميعًا ؟! ما الذى يفعلونه بنا ؟!

أمسكت (نشوى) يدها فى قوة ، هاتفة :

ـ التخلص منا .. إنهم يسعون للتخلص منا .

هتفت بها (سلوى) :

ـ لا تقولى هذا يا (نشوى) .. بل لا تفكرى حتى فيه .. إننا لا نواجه أعداءً يسعون للقضاء علينا .. إننا وفى وطننا ، ووسط أهلنا ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، تجمدت الكلمات فى حلقها بغتة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدق فى نقطة ما ، عبر نافذة الحجرة ، المطلة على الحديقة ..

وفى نفس اللحظة ، توقف (محمود) الصغير عن الصراخ والبكاء ، وهو يتطلع إلى النقطة نفسها بدوره ، وقد شمله فضول وحيرة الصغار ، إزاء أى شىء غامض أو عجيب ..

ومع ذلك الصمت المباغت ، أدارت (نشوى) عينيها ، إلى حيث يحدق ابنها وأمها ، ولم تكد تفعل ، حتى انتفض جسدها كله بمنتهى العنف ، وقفزت من فراشها ، صارخة :

ـ لا ..

فأمام ثلاثتهم ، عبر نافذة الحجرة ، وعلى مسافة متر واحد منها تقريبًا ، فى الحديقة الخارجية ، كانت تقف تلك الكرة الرهيبة ..

كرة النار ، ذات اللهب الأخضر العجيب ..

كانت تقف ثابتة جامدة ، على ارتفاع متر ونصف من حشائش الحديقة ، وكأنها تدرس الموقف جيدًا ، قبل أن تنقض ..

وبصوت امتلأ بالرعب والهلع والفزع ، وارتجفت كلماته فى شدة ، هتفت (نشوى) :

ـ إنها هى ؟! يا إلهى ! إنها هى !!

انحنت (سلوى) فى بطء ، تضع (محمود) الصغير على الأرض ، وهى تهمس بصوت شاحب مبحوح ، من فرط التوتر والانفعال :

ـ اجلس هنا يا صغيرى ، ولا تبرح مكانك قط .

هتفت (نشوى) :

ـ إنها تهدف إلينا .. لقد أتت من أجلنا .

أمسكت (سلوى) يد ابنتها فى قوة ، وهى تقول :

ـ لا تتحركى يا (نشوى) .. ربما كانت ترصد الـ ....

قبل أن تتم عبارتها ، انقضت الكرة فجأة على زجاج النافذة ، واخترقته بدوى عنيف ، ونيرانها تتحول من اللون الأخضر إلى الأزرق ، فى سرعة كبيرة ، فصرخت (سلوى) ، وهى تدفع ابنتها جانبًا :

ـ احترسى !

هتفت بها ، وهى تلقى نفسها أرضًا ، فى اللحظة نفسها ، فمرقت كرة اللهب بينهما ، وارتطمت بالجدار ، ودوى انفجار مكتوم ، وتناثرت معه ألسن اللهب الصغيرة لمسافة كبيرة ، وتفجرت معه دموع (محمود) الصغير وصرخاته ، قبل أن ترتد كرة النار

فى سرعة ، وتتعلق بسقف الحجرة ، ولونها يتغير ، من الأزرق إلى البنفسجى .

وبحركة سريعة ، اختطفت (نشوى) ابنها ، صارخة :

ـ أسرعى يا أمى .. إنها تستعد لهجوم آخر .

انطلقت كلتاهما تعدوان بأقصى سرعتيهما خارج الحجرة ، وصفقت (نشوى) بابها خلفها فى قوة ، و (سلوى) تهتف بها :

ـ خزانة الثياب .. اختبئى مع ابنك فى خزانة الثياب .

صرخت (نشوى) :

ـ لا .. لن أتركك وحدك ..

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى انفجار مكتوم آخر ، أطاح بباب الحجرة ، لتندفع عبره كرة النار ، وقد استحالت مقدمتها إلى اللون الأحمر المخيف ..

وانطلقت صرخات المرأتين ، عندما اندفعت كرة النار نحوهما مباشرة ، وصاحت (نشوى) ، وهى تحاول حماية أمها بجسدها :

ـ لا .. لن تظفرى بكل من أحب ..

وصاحت (نشوى) ، وهى تحاول حماية أمها بجسدها :
ـ لا .. لن تظفرى بكل من أحب ..

كان جسدها يعترض طريق كرة اللهب ، التى أصبحت حمراء كالدم، ويحول بينها وبين أمها تمامًا ، ولقد بدا لثانية أن الكرة سترتطم بها مباشرة ، حتى إن (سلوى) قد صرخت ، بكل رعب الدنيا :

ـ لا .. ليس (نشوى) .

ولم تكد صرختها تتدلق ، حتى دارت كرة النار حول جسد (نشوى) ، بزاوية حادة وسريعة للغاية ، ثم واصلت اندفاعها نحو (سلوى) ..

وبكل ذعرها ، وهلعها ، ورعبها ، استدارت (سلوى) ، محاولة الفرار من تلك الكرة الرهيبة ، وهتفت (نشوى) :

ـ أمى .. أمى ..

ومع آخر حروف هتافها ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، تألق معه المكان كله بوهج أحمر رهيب ، وطار جسد (سلوى) إلى الأمام فى عنف ، ليرتطم بزجاج نافذة غرفة المعيشة ، ويحطمه ، ثم يندفع عبره ، ليسقط فى حديقة المنزل فى قوة ..

وأخفت (نشوى) عينيها بذراعها ، مع شدة الوهج ، وهى تصرخ :

ـ لا يا أمى .. لا .. لا ..

وانبعث من حولها صوت أشبه بالفحيح ، والوهج ينسحب ..

وينسحب ..

وينسحب ..

وعندما فتحت عينيها ، كانت أمها ملقاة فى حديقة المنزل ، على نحو جعلها أشبه بالجثة الهامدة ..

أما كرة النار ، فلم يعد لها وجود ..

لقد اختفت ..

اختفت تمامًا .

★ ★ ★

٣ ـ الاختيار ..

لم تكد سيارة الرائد (أيمن) وفريقه تتوقف ، عند منزل (نور) ، حتى قفز منها الأول ، وهو يشير بيديه للمدنيين ورجال الصحافة ، الذين أحاطوا بالمكان ، قائلا فى صرامة وخشونة :

ـ لا يوجد ما يحتاج إلى وجودكم هنا .. هيا .. انصرفوا جميعا ، وإلا ألقيت القبض عليكم بتهمة التجمهر .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، الذين لم يعتادوا ذلك الأسلوب الفظ الجاف ، من رجال المخابرات العلمية بالذات ، واقتحمت (مشيرة محفوظ) الجموع فى جرأة ، وهى تسأل الرائد (أيمن) :

ـ قل لى أيها الرائد : لماذا لم يتولّ المقدّم (نور) بنفسه أمر ما حدث فى منزله ؟! ألا يبدو لك من العجيب أن يأتى فريق آخر ، من فرق المخابرات العلمية ، للتحقيق فى حادث غامض ، يخص قائد أفضل فريق علمى فى العالم أجمع ، باعتراف الجميع ؟!

أجابها (أيمن) فى حدة :

ـ لا عجب فى هذا يا سيّدة (مشيرة) ، فالمقدّم (نور) لم يعد قائدا لأية فرق علمية أو أدبية ، مما يعنى أننا بالفعل الفريق المختص ، بتولّى مثل هذه الحوادث الغامضة ، طبقا للقانون .

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، وهى تقول :

ـ ماذا تعنى بأن المقدّم (نور) لم يعد قائدا لأية فرق علمية ؟! هل تم فصله من إدارة المخابرات العلمية ، بكل تاريخه الحافل ، وبطولاته الفريدة ؟!

ارتسمت ابتسامة متشفية على شفتى الرائد (أيمن) ، وهو يقول :

ـ بل تمت ترقيته يا سيّدة (مشيرة) ، وهذا يعنى أن ...

قاطعه صوت (نور) ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ وهذا يعنى أنها أمور داخلية ، لا شأن للصحافة والجماهير بها يا (مشيرة) .

استدار إليه (أيمن) فى حدة ، وكأنما لم يرق له أن يجيب السؤال بدلا منه ، فى حين التفتت إليه (مشيرة) ، قائلة فى لهفة :

ـ سيادة المقدم (نور) .. ماذا حدث هنا ؟! وماذا أصاب السيدة (سلوى) .

أجابها (نور) فى صرامة :

ـ قلت لك : إنها شئون داخلية .

ثم أشار إلى (أيمن) ، مستطردا :

ـ تفضل أيها الرائد .. الجميع فى انتظارك .

شد الرائد (أيمن) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدلف إلى المنزل كقائد نازى قديم ، ولم يكد يلقى نظرة على حجرة المعيشة ، ونافذتها المحطمة ، حتى أشار بيده لأفراد فريقه ، قائلا فى صرامة :

ـ افحصوا كل شبر فى المكان ، والتقطوا كل البصمات ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ما الذى تتصور أنك تفعله بالضبط أيها الرائد ؟!

التفت إليه (أيمن) فى حدة ، قائلا :

ـ الإجراءات الرسمية القانونية أيها المقدم ، ولا أريد أن أكرر أنه ليس من حق أى شخص أن ..

اندفع (نور) نحوه بغتة ، وجذبه من سترته ، ودفعه أمامه فى قوة وغضب ، حتى ارتطم ظهره

بالجدار ، وفوجئ بقدميه ترتفعان عن الأرض ، وعينا (نور) تخترقان عينيه مباشرة ، وهذا الأخير يقول ، بكل صرامة الدنيا :

ـ اسمعنى جيدا أيها الرائد وافتح أذنيك عن آخرهما ، لأننى لن أكرر كلماتى هذه مرة أخرى .

تحرك أفراد فريق الرائد (أيمن) فى عصبية ، وقفزت أيديهم إلى أسلحتهم ، لولا أن ارتفع صوت (أكرم) الصارم الغاضب ، وهو يقول ، مصوبا مسدسه إليهم :

.. رويدكم يا سادة .. إنها مشكلة قادة ، فدعوهما يناقشان أمورهما دون أن ندس أنوفنا فيها .

وفى اللحظة التى احتقنت فيها وجوه أفراد فريق الرائد (أيمن) فى حنق ، كان هذا الأخير يستمع فى عصبية شديدة إلى حديث (نور) ، الذى يكمل فى صرامة :

ـ القضية التى تتولاها ليست مجرد حادث غامض، من الحوادث العلمية غير المفسرة ، التى لا يحق لى التدخل فيها .. إنه حادث ذهبت زوجتى وذهب واحد من أصدق أصدقائى ضحية له ، ولا توجد قوة

فى الأرض .. ودعنى أكررها .. لا توجد قوة فى الأرض يمكن أن تمنعنى من بذل قصارى جهدى ، لمعرفة سبب ما حدث ، والهدف من حدوثه ، وسواء أكان القانون يسمح بهذا أو يرفضه ، فلن أتوقف عن السعى لكشف الأمر .. هل تفهم ؟!

حدق الرائد (أيمن) فى عينيه بضع ثوان ، بكل غضب الدنيا ، قبل أن يقول فى بطء غاضب :

ـ إنك تقضى على مستقبلك ، بتصرفك هذا أيها المقدم .

أجابه (نور) فى صرامة قاسية :

ـ وأنت ستقضى على حياتك ، بأسلوبك السخيف هذا .

قالها ، وأفلت الرائد (أيمن) فى عنف ، فاختل توازن هذا الأخير ، وسقط أرضًا ، ثم لم يلبث أن هب واقفًا على قدميه ، وجذب مسدسه الليزرى من جرابه فى عنف ، ولكن يد (نور) أمسكت معصمه بأصابع من فولاذ ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟! هل ستطلق أشعة الليزر على زميل ، أيها الرائد (أيمن) ؟!

التقت نظراتهما طويلا ، وران على المكان صمت مطبق ، مشوب بالغضب والتحدى ، قبل أن يقول الرائد (أيمن) فى حدة :

ـ ستدفع الثمن غاليًا أيها المقدم .

لم يعلق (نور) على العبارة ، وإن ظلت عيناه تحملان نفس النظرة الغاضبة المتحدية ، فانتزع الرائد (أيمن) معصمه من أصابعه ، وهتف بفريقه :

ـ هيا بنا .

ثم اندفع يغادر المكان ، وتبعه أفراد فريقه ، وقفز الجميع فى سيارتهم التى انطلقت بهم فى عنف ، وعلى نحو كاد يطيح بأحد المواطنين ، ولم تكد السيارة تختفى ، فى نهاية الشارع ، حتى أعاد (أكرم) مسدسه إلى حزامه ، قائلاً فى توتر :

ـ هل تدرك ما سيفعلونه يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتحرك فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. سيستصدر الرائد (أيمن) أمرًا بالتحفظ على المنزل ، وإخلائه ، لصالح التحقيق فى الحادث ، وربما يستصدر أمرًا بإلقاء القبض علينا أيضًا .

تمتمت (نشوى) ، وهى ترتجف ذعرًا :

ـ يا إلهى !

ولكن (نور) انحنى يفحص البقعة ، التى أصابت كرة النار عندها (سلوى) ، وهو يقول فى حزم شديد :

ـ هذه الإجراءات ستستغرق نصف الساعة على الأكثر ، وهذا يعنى أن هذه الفترة هى كل ما نمتلكه من وقت ، لنجرى كل تحرياتنا ، ونتوصل إلى أقصى ما يمكننا التوصل إليه ، بشأن ما يحدث .

هتف (أكرم) فى حماس :

ـ بم تأمر يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ افحص المنطقة التى سقطت عندها (سلوى) ، فى حديقة المنزل .. افحص كل شبر منها .. بل كل سنتيمتر ، واحتفظ بكل ما يمكن أن يثير تساؤلك أو شكوكك ، حتى ولو كان ذرة رمال غريبة .

هتف (أكرم) ، وهو يعدو نحو الحديقة :

ـ سمعًا وطاعة أيها القائد .

اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ أبى .. هل ستترك أمى فى المستشفى ، و ...

قاطعها (نور) فى صرامة :

ـ (سلوى) الآن فى المستشفى ، تحت رعاية أفضل طاقم أطباء فى (مصر) .. وربما فى العالم أجمع ، والشىء الوحيد ، الذى يمكن أن نقدمه لها ، هو أن نكشف سر ما أصابها ، والسبب الخفى لكل ما يحدث لنا .. بهذا فقط يمكننا أن نعاون على شفائها .. هل فهمت ؟!

امتقع وجهها فى شدة ، حتى بدا أشبه بوجوه الموتى ، قبل أن تغمغم بصوت مرتجف :

ـ ما الذى يمكننى القيام به ؟!

أجابها فى حزم :

ـ هل تعتقدين أنه ما زال بإمكانك اختراق شفرة أمن جهاز المعلومات الخاص بالإدارة ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ بالطبع .. حتى ولو استبدلوها بشفرة أكثر تعقيدًا .. هل نسيت أننى شاركت فى ابتكار جهاز الأمن هناك ؟!

قال فى حسم :

ـ عظيم .. اعملى على اختراق جهاز المعلومات السرى إذن ، وابحثى عن أية مشروعات سرية ، فى

مركز الأبحاث ، تختص بصنع كرة من النار ، لمطاردة أشخاص بأعينهم .. أو بمعنى أدق .. كرة نار موجهة .

سألته فى هلع ، وهى تنتقل إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها :

- يا إلهى ! هل تعتقد أنه من المحتمل أن تكون تلك الكرة الرهيبة من إنتاج معاملنا ؟!.

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

- لدى سبب قوى ، يدفعنى إلى هذا الاعتقاد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهرت (مشيرة) ، عند باب المنزل ، وخلفها أحد مصوّرى (أنباء الفيديو) ، وهى تقول :

- أيها الرائد (نور) .. هل حدث خلاف بينك وبين فريق المخابرات العلمى الجديد ، الذى جاء لتولّى قضية الحادث الغامض ، الذى ...

قاطعها (نور) فى صرامة :

- (مشيرة) .. هل تبحثين عن دور جيّد فى الأحداث ؟!

ارتبكت لسؤاله المباغت ، وغمغمت فى حيرة :

- بالطبع .

التقط (محمود) الصغير ، وناولها إياه ، وهو يقول فى حسم :

- قومى برعايته إذن ، حتى ننتهى من عملنا .

التقطت (مشيرة) الصغير فى دهشة كبيرة ، وحدّقت فى (نور) ، قائلة :

- رعايته ؟!

أغلق (نور) الباب ، قائلاً فى صرامة :

- وبأفضل ما يمكنك .

ارتفع حاجبا المصوّر فى دهشة ، فى حين تعلّق الصغير بـ (مشيرة) ، وداعب وجهها بيده الصغيرة فى توتر ، وكأنما يتأكّد من أنها صديقة أمه ، التى يعرفها جيدًا ، فهتف المصوّر :

- هل يحاول منعنا من أداء عملنا ؟!

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى حنان ، وهى تتطلّع إلى الصغير ، ثم عادا ينعقدان فى صرامة ، وهى تلتفت إلى المصوّر ، قائلة فى صرامة :

- منعنا ؟! لا أحد يمكنه منع الصحافة من مزاولة عملها يا رجل .

ثم عادت تتطلع إلى الصغير ، وقلبها يخفق بحنان دافق ، مستطردة :

- ولكن لدى الآن عمل مهم .. مهم جدًا .

وضمت الصغير إلى صدرها ، مضيفة ، بكل سعادة الدنيا :

- وربما أفضل عمل قمت به ، فى حياتى كلها .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (نور) يفحص البقعة ، التى أصيبت فيها (سلوى) ، بكل اهتمامه وانتباهه ..

كانت هناك إصابات طفيفة ، متناثرة على مساحة واسعة ، على نحو يوحى بأن انفجار كرة النار قد أطلق عشرات من ألسنة اللهب الدقيقة ، التى أصابت الجدران والأرضية ، والأثاثات ، وحتى السقف ..

وفى كل مكان ، كانت هناك آثار احتراقات صغيرة دقيقة ..

ومع توزيع تلك الآثار ، وانتشارها ، كان من الممكن رسم صورة محدودة لذلك الانفجار المكتوم ..

ولكن العجيب أن ذلك الانتشار لم يكن يتناسب مع قوة الوهج ، الذى أغشى عينى (نشوى) ، أو حتى مع حجم كرة النار ، الذى وصفته ..

فما الذى يمكن أن يعنيه هذا إذن ؟!

تردد السؤال فى رأس (نور) ، مع عدد من الأسئلة الأخرى ، التى أقلقته كثيرًا ؟!

ما سر كرة النار تلك ؟!

ولماذا تختار ضحاياها بهذه الدقة ؟!

من أطلقها ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ؟!

وهل ؟!

توقفت أفكاره بغتة ، وتجمدت دفعة واحدة ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ويتطلع إلى نقطة صغيرة فى أرضية حجرة المعيشة ..

وفى حرص شديد ، انحنى يتطلع إلى ذلك الشىء ، الذى جذب انتباهه ..

كان شظية صغيرة من الزجاج ، قليلة السمك ، على نحو يستبعد تمامًا كونها قطعة من زجاج النافذة المحطمة ..

وبمنتهى الحذر ، وبوساطة ملقط خاص ، التقط (نور) شظية الزجاج ، ووضعها فى حرص زائد

داخل كيس صغير ، ثم دسّها فى جيبه ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها (أكرم) من الحديقة ، قائلاً :

- لا توجد أية آثار خاصة يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى اهتمام :

- هل فحصت المكان جيدًا ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- بمنتهى الدقة .

هتفت (نشوى) ، فى تلك اللحظة :

- ربّاه ! يبدو أن لدينا شيئًا هنا بالفعل .

أسرع إليها (نور) ، متسائلاً :

- وما هو ؟!

أجابته فى توتر :

- بل سل ما هما ، لأننى عثرت على مشروعين ، لا مشروع واحد .

تمتم (أكرم) ، وهو يتقدّم نحوها بدوره :

- حقًا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- نعم .. مشروعان يندرجان تحت بند (السرية المطلقة) ، أحدهما يختصّ بنوع جديد من كيماويات

الأعصاب ، يؤدى إلى شلل تام بالأعضاء ، دون التأثير فى نبضات المخ الرئيسية ، والآخر يتحدّث عن القنابل الموجّهة للأفراد ، باستخدام جهاز تعقّب خاص جدًا .

سألها (نور) فى اهتمام :

- وعلام يعتمد جهاز التعقّب هذا .

هزّت رأسها ، مغمغمة :

- هذا غير وارد فى ذلك المستوى من السرية ، وكذلك تركيب كيماويات الأعصاب الجديدة .. الأمر يحتاج إلى الوصول إلى مستوى أعلى .

تساءل (أكرم) فى عصبية :

- أهناك مستوى يفوق (السرية المطلقة) ؟!

هزّت رأسها نفيًا مرة أخرى ، قبل أن تجيب :

- بل (السرية المطلقة) هى التى تنقسم إلى عدة درجات .. بعضها تتاح معرفته لرؤساء الأقسام ، والبعض الآخر لصفوة من رجال المخابرات ، وعلماء مركز الأبحاث ، أما الأمور بالغة الأهمية والخطورة ، فتوضع فى أعلى درجات السرية ، والتى لا يمكن أن يلجها سوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير مركز الأبحاث ، والعلماء المسئولون عن الأمر فحسب.

تمتم (أكرم) :

ـ يا إلهى ! أتعلمان ما الذى يعنيه هذا ؟! .

انعقد حاجبا (نور) فى حزم ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .. إنه يعنى أن محاولة تصفيتنا تتم بمعرفة أهل الصفوة .

امتقع وجه (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ ربّاه ! هذا يجعل الأمور أكثر صعوبة وتعقيدًا .

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ ولكنه لا يعنى أن نستسلم للأمر يا (أكرم) .

هتف (أكرم) ، وهو يتحسّس مسدسه فى حزم :

ـ بالتأكيد يا (نور) .

ثم تضاعف حماسه وحزمه ، وهو يكرّر :

ـ بالتأكيد أيها القائد .

التفت (نور) إلى (نشوى) ، وسألها :

ـ هل يمكنك التوغّل عبر أرشيف المعلومات السرية ، لبلوغ المرحلة المطلوبة ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ إنهم يستخدمون شفرة شديدة التعقيد ، فى تلك

المستويات العليا ، ولكننى أعتقد أنه ببعض الوقت والجهد ، سيمكننى أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، هتف (أكرم) فى توتر :

ـ لقد عادوا ..

قالها ، وهو يشير عبر النافذة المحطّمة ، إلى سيارة الرائد (أيمن) وفريقه ، التى تنطلق عائدة إلى المكان ، وخلفها واحدة من سيارات الأمن الضخمة ، المحمّلة بالجنود ..

والتقى حاجبا (نور) فى حزم ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أن الوقت قد حان ، لنغادر السفينة يا رفاق .

ثم أشار بيده ، مستطردًا ، وهو يتجه نحو الباب الخلفى :

ـ هيّا بنا .

انطلق ثلاثتهم نحو الباب الخلفى ، حيث ترك (نور) سيارته ، تحسّبًا لظرف كهذا ، ولم تكد السيارة تضمّهم ، حتى انطلق بها (نور) على الفور ، وهو يغمغم :

ـ هذا يضعنا على الخطوة الأولى ، لأول مهمة نتولى أمرها ، ضد القانون .

قهقه (أكرم) ضاحكا ، والسيارة تبتعد عن المنزل ، وهتف :

ـ هذا يجعلنا إذن مثل (روبين هود)(*) .. يا للطرافة !

مطت (نشوى) شفتيها ، متمتمة فى حنق :

ـ لست أجد أية طرافة فيما يحدث لنا .. (رمزى) وأمى مصابان ، ونحن نجهل ما سيحيق بهما ، وابنى بعيد عنا ، والكل سيعتبرنا خارجين على القانون .. أية طرافة فى هذا بالله عليك ؟!

مع كلماتها ، لمح الرائد (أيمن) سيارة (نور) ،

(*) روبين هود : شخصية خيالية ، لبطل عاش فى غابة (شيروود) فى (إنجلترا) ، فى القرون الوسطى ، كان ينهب الأثرياء لصالح الفقراء ، بسبب اضطهاد وديكتاتورية وطمع الحاكم ، ولقد أشعلت الشخصية خيال الأدباء ، منذ عام ١٥١٠ م ، حيث كانت موضوعا لعشرات القصص والأشعار ، وحتى الأفلام السينمائية ، التى قام ببطولة أحدها النجم العالمى (كيفين كوستنر) .

وهى تبتعد خلف المنزل ، فأدار عجلة قيادة سيارته بمنتهى العنف ، صائحا :

ـ إنهم يحاولون الفرار .

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وهتفت بالمصور المصاحب لها ، وهى تحتضن (محمود) الصغير فى قوة ، وكأنما تحاول حمايته مما يحدث :

ـ التقط هذا بسرعة يا رجل .. إنها أول مطاردة علنية ، بين فريقين من فرق المخابرات العلمية .

أسرع المصور يلتقط المشهد ، بآلة تصوير الفيديو المجسمة ، فى حين تابعت (مشيرة) تلك المطاردة العنيفة ، وهى تغمغم فى توتر بالغ :

ـ يبدو أن الساعات القادمة ستحمل لنا الكثير ..

ولم تدر لحظتها كم كانت نبوءتها صحيحة ..

فالساعات القادمة ستحمل الكثير ..

الكثير جدا ..

★ ★ ★

شبكة القائد الأعلى الجديد للمخابرات العلمية المصرية ، أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستمع فى انتباه كامل إلى سيل المعلومات ، الذى يتدفق من كل

مكان ، والذى امتزج بصوت الدكتور (جلال) ، الذى يقول فى انفعال :

ـ هل رأيت ؟! هذا ما توقعته بالضبط .. ذلك المقدم المغرور رفض الانصياع للأوامر والقانون .. إنه يصرّ على فعل ما يريد ، على الرغم من أنوفنا جميعًا .

سأله القائد الأعلى فى بطء :

ـ ماذا كنت ستفعل ، لو أنك فى موضعه ؟

هتف الدكتور (جلال) فى غضب :

ـ كنت سأطيع أوامر رؤسائى على الأقل .

قال القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ حتى ولو تعلّق الأمر بأسرتك وأصدقائك ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى صدره ، قائلاً فى حدة :

ـ حتى لو تعلّق بحياتى نفسها .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يفكّر فى عمق ، فى حين تابع الدكتور (جلال) فى انفعال شديد :

ـ الرائد (أيمن) يطارده الآن ، وسيظفر به حتمًا ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ مر الرائد (أيمن) بالتوقف فورًا .

التفت إليه الدكتور (جلال) بمنتهى الحدة ، هاتفًا :

ـ ماذا تقول ؟!

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، وهو يقول فى صرامة أشد :

ـ مُر الرائد (أيمن) بالكف عن مطاردة المقدم (نور) ، والعودة إلى منزل هذا الأخير فورًا ، لاستكمال تحقيقاته .

احتقن وجه الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكن معنى هذا أن ...

أشار إليه القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة للغاية ، وقال :

ـ فليكن .. أترك لى هذه المهمة .

قالها ، وضغط زرًا فى طرف مكتبه ، قائلاً :

ـ من القيادة صفر .. صفر إلى راء عين (١٠٠٣) .. أوقف مطاردة الهدف فورًا ، وعُد لاستكمال عملك .

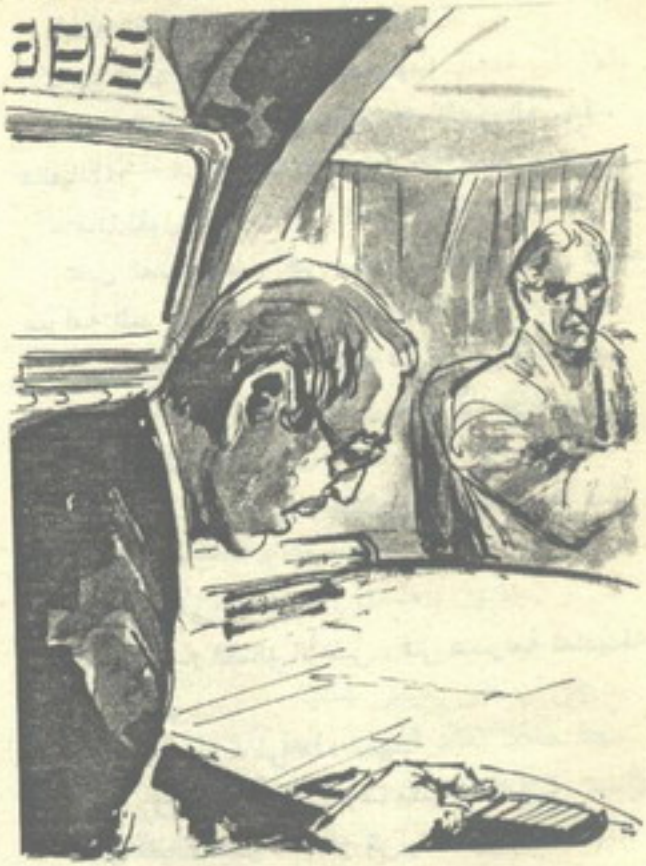

قالها ، وضغط زرًا فى طرف مكتبه ، قائلاً :

– من القيادة صفر .. صفر إلى راء عين (١٠٠٣) ..

أتاه صوت الرائد (أيمن) ، يهتف مستنكرًا :

– أوقف ماذا ؟! إننا قاب قوسين أو أدنى منهم ، و .....

صاح به القائد الأعلى فى عنف :

– قلت أوقف المطاردة ، وعد لاستكمال عملك يا راء عين (١٠٠٣) ، وإلا حولتك لتحقيق عاجل ، بتهمة عصيان الأوامر .. هل تفهم ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وكأنما لا يُصدق رد فعل القائد الأعلى ، فى حين ران الصمت على أجهزة الاتصال بضع لحظات ، قبل أن يعبرها صوت الرائد (أيمن) ، وهو يقول فى شىء من العصبية :

– فليكن يا صفر .. صفر .. فليكن .

انتهى الاتصال ، فهتف الدكتور (جلال) ، بكل توتر الدنيا :

– ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى صرامة ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى حدة :

- يعنى أن الأمر ليس بالبساطة التى تتعاملون معه بها .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره كله ، وهو يتطلّع إلى خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، وقد بدت عليها نقطة متحركة مضيئة ، تشير إلى موضع سيارة (نور) ، قبل أن يضيف ، بمزيج من الحزم والحسم والصرامة :

- هناك وسائل أخرى للتعامل .

وبرقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- وسائل حاسمة .

وانعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتطلّع إليه فى حيرة ..

حيرة بلا حدود ..

★ ★ ★

« لقد توقّفوا عن مطاردتنا ! »

غمغم (أكرم) بالعبارة فى حيرة ، وهو يتطلّع عبر مرآة السيارة الجانبية ، إلى سيارة فريق الرائد (أيمن) ، وهى تستدير مبتعدة ، وعائدة من حيث أتت ، فانعقد حاجبا (نور) فى تفكير ، وهو يقول :

- عجبًا ! لقد أوشكوا على الظفر بنا بالفعل .

قالت (نشوى) فى دهشة :

- لماذا توقّفوا إذن ؟!

عجز (أكرم) عن منحها جوابًا شافيًا ، فتطلّع إلى (نور) فى تساؤل ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى هذا الأخير ، على نحو يشفّ عن انغماسه أكثر وأكثر ، فى تفكير بالغ العمق ، قبل أن ينحرف بالسيارة بغتة ، فهتفت به (نشوى) :

- أبى .. كدت أفقد توازنى .

أما (أكرم) ، فتساءل فى قلق حائر :

- إلى أين يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- سنذهب للاطمئنان على (سلوى) ، فى المستشفى العسكرى .

هتف (أكرم) و (نشوى) فى آن واحد ، وبمنتهى الدهشة :

- ماذا ؟!

ثم اندفع (أكرم) يكمل فى عصبية :

- أى قول هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حسم ، وهو يتجه نحو المستشفى العسكرى :

ـ ليس مجرد قول يا (أكرم) .. إنها الوسيلة الوحيدة لحسم الأمر ، فمعلوماتى السابقة عن القائد (أيمن) ، وطبيعته العدوانية ، تجعل عدوله عن مطاردتنا ، بعد أن صار قاب قوسين أو أدنى منا أمرا غير طبيعى على الإطلاق ، إلا إذا ..

هتفت (نشوى) فى لهفة :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ إلا إذا تلقى أمرا صارما بهذا .

قال (أكرم) فى عصبية أكثر :

ـ ومن سيأمره بهذا ؟! ولماذا ؟! لقد خرقنا القانون ، وتحدينا الجميع بالفعل ، فمن يمكن أن ..

قاطعه (نور) :

ـ القائد الأعلى .

هتفت (نشوى) :

ـ ربّاه ! هذا يعنى إذن أن القائد الأعلى فى صفنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يلوذ بالصمت لبضع

لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هذا يعيدنا إلى القول نفسه ... إلا إذا ..

قال (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

ـ إنه دورى إذن ، لأسألك : إلا إذا ماذا يا (نور) ؟!

انعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، وأطلت من عينيه نظرة شديدة التوتر ، دون أن يجيب تساؤل (أكرم) ، الذى مال إلى الأمام ، قائلا :

ـ قل لى يا (نور) .. إلا إذا ماذا ؟!

لم يكد يتم تساؤله ، حتى وقع بصره على المرآة الداخلية للسيارة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وتدلى فكه الأسفل فى دهشة وذعر ، جعلا (نشوى) تلتفت خلفها ، لتلقى نظرة على ما أثار دهشتهما وتوترهما إلى هذا الحد ..

ولم تكد تفعل ، حتى اتسعت عيناها عن آخرهما ، حتى كادتا تثبان من محجريهما ، وخفق قلبها على نحو لم يحدث فى حياتها كلها ، وانتفض جسدها .. بل كيانها كله ، وكأنما هوت على رأسها ألف ألف صاعقة ، قبل أن تنطلق من حلقها صرخة ذعر مدوية ، فى نفس اللحظة التى زاد فيها (نور) من

سرعة سيارته ، على نحو يتجاوز كل الأعراف والقوانين ..

فخلف السيارة مباشرة ، وبسرعة مخيفة ، كانت تنطلق كرة ..

كرة من النار ، لها لون أخضر عجيب ، بدأ يتحول إلى الأزرق الفيروزى ..

وكان هذا يعنى أن كرة النار قد اختارت ضحيتها الجديدة ..

واستعدت للانقضاض ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

٤ ـ الضحية ..

نهض رئيس قسم العناية الخاصة ، فى المستشفى العسكرى باحترام بالغ ، ليصافح الرجل الهادئ القصير الوقور ، ذا الشعر الأشيب ، الذى مد يده إليه قائلاً فى رصانة محببة :

ـ الدكتور (هادى جمال الدين) ، من مركز أبحاث المخابرات العلمية .

صافحه رئيس القسم بحرارة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا دكتور (هادى) .. الواقع أننا كنا نتوقع وصول أحدكم ، منذ وصلت إلينا السيدة (سلوى) ، بنفس الحالة التى وصل بها الدكتور (رمزى) ؛ فنحن نعلم أن كليهما ينتمى إلى فريق المقدم (نور) الشهير ، و ..

قاطعه الدكتور (هادى) ، على نحو يتنافى مع وقاره الملحوظ ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ ما الذى توصلتم إليه بشأنهما ، حتى هذه اللحظة؟

مطّ رئيس القسم شفتيه لحظة ، وكأنما يعترض

على تلك المقاطعة ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه ، وهو يجيب :

- الواقع أن الأمر محير للغاية يا دكتور (هادى) ؛ فحروق الجسم ليست خطيرة ، على الرغم من انتشارها ، ولكن تلك الغيبوبة العميقة تسيطر على كيانهما كله ، فى نفس الوقت الذى تشير فيه إشارات المخ إلى منتهى الحيوية والنشاط .

هز الدكتور (هادى) رأسه متفهمًا ، وقال :

- هناك حتمًا تفسير لهذا .

أجابه رئيس القسم فى سرعة :

- بالتأكيد ، فلقد استعنا برجال المعامل المركزية ، الذين حصلوا على عينات من كل شىء .. ملابس المصابين ، وشعرهما ، وأظفارهما ، وبشرتيهما .. حتى الأجزاء غير المصابة منهما .

انعقد حاجبا الدكتور (هادى) ، وهو يسأل :

- ولماذا كل هذا ؟!

قلب رئيس القسم كفه ، قائلاً :

- لدينا نظرية تقول : إنه من المحتمل أن يكون سبب هذه الحروق ليس إصابة مباشرة من النيران ،

خاصة وأنها مجرد حروق من الدرجة الأولى ، وإنما هى أشبه بالحروق الناشئة عن الكيماويات .

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (هادى) ، وهو يغمغم:

- كيماويات ؟!

أومأ رئيس القسم برأسه مؤيدًا ، وهو يتابع بشىء من الحماس :

- نعم ..الكيماويات .. توزيع الحروق وانتشارها على هذا النحو ، يوحى بأن الضحيتين تعرضتا لانفجار جسم يحوى مادة كيماوية حارقة ، على مسافة قريبة منهما .. هذه هى نظريتنا ، التى نحاول إثباتها ، عن طريق فريق المعامل المركزية ، الذين يبذلون قصارى جهدهم الآن ، لكشف طبيعة تلك المادة الكيماوية المجهولة ، التى يتم امتصاصها عن طريق مسام الجلد الخارجية على الأرجح ، والتى تسبب هذه الغيبوبة غير المنطقية .

رمقه الدكتور (هادى) بنظرة صامتة طويلة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- ترى من وضع هذه النظرية ؟!

اعتدل رئيس القسم ، وأشار إلى صدره بشىء من الزهو ، مجيبًا :

- أنا بالطبع .

ثم هزّ كتفيه ، مستطردًا بابتسامة فيها شيء من الحرج :

- ولكننا ناقشناها جميعًا بالطبع .

أومأ الدكتور (هادى) برأسه ، مغمغمًا :

- يمكننى فهم هذا .

ثم تابع فى لهجة آمرة :

- والآن ، دعنا نلق نظرة على المصابين .

قال رئيس القسم ، فى حماس غير مبرَّر :

- بالطبع .

واستمرارًا لنفس الحماس ، غير المتناسب مع الموقف ، اصطحبه رئيس القسم إلى حجرة العناية الخاصة ، التى يرقد داخلها (رمزى) ، فى تلك الغيبوبة غير الطبيعية ، فألقى عليه الدكتور (هادى) نظرة طويلة ، قبل أن يلتفت إلى رئيس القسم ، قائلاً بنفس اللهجة الحازمة الآمرة :

- اتركنا وحدنا .

قال رئيس القسم فى حيرة :

- وحدكما ؟! أتعنى أنت والمصاب ؟! ولكن لماذا ؟! هل ....

بتر عبارته بغتة ، مع تلك النظرة الصارمة ، المطلّة من عينى الدكتور (هادى) ، وأطلق ضحكة عصبية مرتبكة ، وهو يكمل :

- آه .. فهمت .. إنها أمور سرية .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الدكتور (هادى) ابتسامة باردة ، فتراجع رئيس القسم ، ولوّح بيده ، قائلاً :

- فليكن .. ثق أن أحدًا لن يقاطعك ، حتى تنتهى من عملك تمامًا .. سآمر الجميع بعدم إزعاجك ، مهما كانت الأسباب .

غمغم الدكتور (هادى) فى برود :

- بالطبع .

غادر رئيس القسم الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى هدوء ، وكأنما يخشى إزعاج من بداخلها ، ولم يكد يفعل ، حتى التفت الدكتور (هادى) إلى (رمزى) الراقد أمامه ، وقال بلهجة ساخرة :

- مرحبًا يا دكتور (رمزى) .. أعلم أنك تسمعنى جيدًا ، وتفهم كل حرف أنطق به .. الجميع هنا

يتصورون أنك غارق فى غيبوبة عميقة ، ومن المؤكد أن أحدا منهم لا يدرك أن جسدك مصاب بشلل كامل فحسب ، ولكن حواسك الخاصة كلها تعمل بكفاءة تامة(*) .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يلتقط حقيبته ، مستطردا :

- حتى هذه اللحظة .

وفى هدوء ، راح يخرج أدواته الخاصة ، وابتسامته الساخرة الظافرة تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

ثم يكد (نور) يلمح كرة النار ، عبر مرآة السيارة ، حتى قفز سؤال واحد مخيف إلى رأسه ..

(*) الحواس الخاصة : يطلق مصطلح الحواس الخاصة فى عالم الطب (Special Sense) على ما يعرفه العامة باسم الحواس الخمس . وهى البصر . والسمع . والكلام . واللمس . والشم . باعتبار أن لكل منها خيوطا عصبية خاصة . ذات سمك متخصصة للغاية . تختلف عن كل الخيوط العصبية الحركية والحسية الأخرى .

ترى من ضحيتها هذه المرة ؟!

هو ، أم (أكرم) ، أم ...

يا إلهى ! لا يمكن أن يكون الهدف هذه المرة هو ابنته !

(نشوى) !

ولم يكد ذلك الخاطر يقفز إلى ذهنه ، حتى ضغط دواسة الوقود ، وزاد من سرعة السيارة إلى الحد الأقصى ، الذى يمكن أن ينطلق به ، وسط طرقات المدينة ..

وبسرعة مخيفة ، انطلقت كرة النار خلفه ..

وبسرعة أيضا ، تحول لونها إلى الأزرق ، ثم بدأ مرحلة تحوله إلى البنفسجى ..

وصرخت (نشوى) :

- رباه ! إنها تستعد للهجوم ..

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، وهو يقول فى حزم عصبى :

- فليكن .. لقد أصبح من حقنا إذن أن ندافع عن أنفسنا .

ثم دفع جسده ، عبر زجاج النافذة ، ولكن (نور) جذبه فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ هل جننت ؟! ستصيب عشرات المارة ، قبل أن تظفر بها .

هتف (أكرم) ، وهو يحاول التملص منه فى قوة :

ـ سأحسن التصويب .

صرخ (نور) ، وهو ينحرف بالسيارة ، فى حركة حادة للغاية :

ـ قلت : لا .

أعادت انحرافته العنيفة (أكرم) إلى السيارة ، التى قفز بها (نور) خارج الطريق العادى ، عبر طريق جانبى ضيق ، فى محاولة لبلوغ الطريق الدائرى ، الذى يتيح له الانطلاق بأقصى سرعة تسمح بها محركات سيارته الصاروخية ..

وبزاوية حادة للغاية ، انحرفت كرة اللهب خلفه ، وزادت من سرعتها ، ولونها البنفسجى ينسحب فى بطء ، عائدا إلى اللون الأزرق ، قبل أن تستعيد لونها البنفسجى مرة أخرى ..

ولمحت عينا (نور) تلك الظاهرة ، فى جزء من الثانية ..

وبسرعة البرق ، وبينما كان ينحرف بالسيارة فى عنف ، عند نهاية الطريق الضيق ، ليقفز إلى الطريق الدائرى ، انطلق عقله يحلل الموقف كله ..

لقد تراجع لون كرة النار ، عندما اتسعت المسافة بينها وبين السيارة لبضع لحظات ، ثم استعادته ثانية ، عندما زادت من سرعتها ..

هناك شىء ما يربطها بالسيارة ..

أو بأحد ركابها ..

شىء يتسبب فى تغير ألوانها ، على هذا النحو ..

نفس ما وصفته (نشوى) من قبل ..

الألوان تتغير ، من الأخضر إلى الأزرق ، فالبنفسجى ، ثم الأحمر ..

وعندئذ ، يحدث الهجوم ..

وبمنتهى العنف ..

كانت كرة النار تقترب أكثر وأكثر ، ولونها يتحول إلى الأحمر فى بطء ، و ...

وبلغ (نور) بداية الطريق الدائرى ..

وبكل قوته ، جذب ذراع المحرك الصاروخى الإضافى ..

وانطلقت النيران من أنابيب العادم الخاصة ، فى مؤخرة السيارة ..

وتضاعفت السرعة دفعة واحدة ، لتبلغ ثلاثمائة كيلو متر فى الساعة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد ظلّت المسافة بينها وبين كرة النار ثابتة تقريبًا ..

كان لونها يتأرجح ، ما بين الأحمر والبنفسجى ، كلما تزايدت المسافة بينها وبين السيارة ، أو تناقصت لمتر أو مترين ..

وزاد (نور) من ضغطه على دوّاسة الفرامل أكثر..

وأكثر ..

وأكثر ..

وقفز مؤشّر السرعة إلى ثلاثمائة وخمسين كيلومترًا فى الساعة ..

ثم إلى أربعمائة كيلومتر ..

وتضاعفت سرعة كرة النار أيضًا ، على نحو مخيف ..

وبكل دهشته وتوتره ، وحيرته ، هتف (أكرم) :

ـ ربّاه ! لو أنه يمكنها بلوغ هذه السرعة ، فلم لم تلحق بنا منذ البداية ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ يبدو أنها تكتسب طاقتها وسرعتها منا .. شىء ما بداخلها ينجذب إلينا ، على نحو يجعل الانفصال مستحيلاً .

أجابه (أكرم) فى حزم عصبى :

ـ إلا إذا .

قالها ، وانحنى يضغط زر سقف السيارة المتحرك ، الذى انزاح فى نعومة إثر ضغطته ، كاشفًا جزءًا مستطيلاً من السقف ، دفع (أكرم) جسده عبره ، وصوّب مسدسه إلى كرة اللهب ، مضيفًا ، بكل حزم وصرامة الكون :

ـ نسفناها قبل أن تنسفنا .

كانت سيارة (نور) تنطلق بسرعة مخيفة ، فى طريق غير مخصّص للمارة على الإطلاق ، لذا فهو لم يعترض ، عندما صوّب (أكرم) مسدسه إلى كرة النار هذه المرة ، وإنما هتف فى انفعال :

ـ نعم .. افعلها يا رجل .. افعلها ..

ومع هتافه ، ضغط (أكرم) زناد مسدسه التقليدى .. وانطلقت رصاصاته نحو الهدف ..

نحو كرة النار ، التى صارت على مسافة متر واحد من السيارة ، وقد صار لهيبها أحمر بلون الدم ..

وعلى الرغم من السرعة الفائقة ، سمع (أكرم) صوت رصاصات مسدسه ، وهى ترتطم بالكرة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته الثلاث لم تفلح فى نسفها ..

بل على العكس ، لقد تضاعفت سرعتها على نحو مخيف ، وهى تتجه نحوه مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، أدرك (نور) و (نشوى) و(أكرم) ، من هى الضحية التالية ..

وفى نفس اللحظة ، هتف (أكرم) :

ـ اللعنة !

ومع هتافه ، قطعت كرة اللهب تلك المسافة ، التى كانت تفصلها عنه ، و ...

وانفجرت ..

وانطلق وهج أحمر رهيب ، يغمر مسافة ثلاثة أمتار كاملة ، فى نفس اللحظة ، التى شعر فيها (أكرم) برذاذ قوى ، يتناثر على جسده ، ويلهب جلده فى عنف ..

وصرخت (نشوى) :

ـ لا .. لا ..

أما (نور) ، فقد أمسك مقود السيارة فى قوة ، وهو يضغط فراملها ، للتخفيف من سرعتها الفائقة ، إزاء ذلك الوهج ، الذى أغشى عينيه تمامًا ..

وإلى جواره ، شعر بجسد (أكرم) يسقط ، وسمع صرخة (نشوى) المتصلة ، و ...

وفجأة ، اتضحت الرؤية أمامه ..

واتسعت عيناه فى ذعر ..

فعلى الرغم من انخفاض سرعة السيارة ، كانت تنطلق بسرعة كبيرة نسبيًا ، نحو حاجز الطريق ، الذى يرتفع عشرين مترًا عن الطرق المحيطة به ..

وقبل أن تتحرك قدم (نور) ، لتضغط فرامل السيارة ، حدث الارتطام ..

وصرخت (نشوى) مرة أخرى ، بكل رعب الدنيا ، فى حين هوت سيارة (نور) ..

من ارتفاع عشرين مترًا ..

★ ★ ★

« شفرة الدخول الرئيسية هى (واو .. دال .. ألف

أما (نور) فقد أمسك مقود السيارة فى قوة ، وهو يضغط فراملها ، للتخفيف من سرعتها الفائقة ..

واحد .. ألفا .. أربعمائة وسبعة) أما شفرة دخول قاعة الفريق ، فهى ... »

امتدت يد تضغط زر إيقاف جهاز التسجيل الدقيق جدا ، فتوقف البث على الفور ، وانقطع صوت (رمزى) المسجل ، فى حين قال صاحب اليد فى هدوء عجيب ، ولهجة باردة كالثلج :

ـ عظيم .. المعلومات التى حصلت عليها ، من (رمزى) و (سلوى) ممتازة للغاية ، وستضيف إلينا الكثير .

ابتسم ذلك الأشيب الوقور ، الذى استخدم بالمستشفى اسم الدكتور (هادى) ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أن المعلومات ، التى يمكن الحصول عليها من المقدم (نور) ستكون أكثر أهمية وخطورة .

قال صاحب اليد فى هدوء ، وهو يداعب ذقنه بأصابعه فى بطء :

ـ ليس لدينا أدنى شك فى هذا .

سأله (هادى) فى شىء من الحيرة :

ـ اسمح لى بسؤال يا سيدى .. ما دامت معلومات المقدم (نور) أكثر أهمية وخطورة إلى هذا الحد ،

فلماذا لم نطلق كرة النار خلفه منذ البداية ؟!

أشار الرجل بسبّابته ، قائلاً :

- خطأ يا رجل .. أكبر خطأ .. لو أننا بدأنا بالهجوم على المقدّم (نور) ، لقامت الدنيا ولم تقعد ؛ لأن الجميع يدركون أهمية موقعه ، في إدارة المخابرات العلمية ، ولأحاطوه حتمًا بحراسة مكثّفة ، وبعناية فائقة ، تمنعنا من مجرّد الاقتراب منه . أما الآن ، فنحن نحصل على سيل من المعلومات المهمة والسرية ، كلما أوقعنا بواحد من أفراد فريقه ، وعندما تحين لحظة الإيقاع به ، ستكون لدينا حصيلة مناسبة من المعلومات ، لا تنقصها سوى تلك التي تسدّ الفجوات فحسب .

سأله (هادى) في اهتمام :

- ومتى سنضرب ضربتنا الكبرى ؟!

أجابه الرجل ، ببروده المدهش :

- عندما تحين اللحظة المناسبة .

تردّد (هادى) بضع لحظات ، قبل ان يسأل في حذر :

- ومتى تحين تلك اللحظة المناسبة ؟!

صمت الرجل بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه في برود ، ثم لم يلبث أن قال في شيء من الغلظة والخشونة :

- قريبًا .

ثم نهض من مقعده الضخم الوثير ، وقطع الحجرة في خطوات هادئة ، بدت لـ (هادى) كما لو أنها لا تمسّ الأرضية المكسوة بفراء سميك ، قبل أن يتوقّف أمام كرة زجاجية كبيرة مفرّغة ، ويضع يمناه عليها ، مضيفًا بصوت تجمّدت حروفه ، من شدّة برودتها :

- قريبًا جدًا .

ومع آخر حروف كلماته ، دوت فرقعة مكتومة داخل الكرة الزجاجية الكبيرة ، ثم تكوّنت في مركزها تمامًا كرة أخرى ..

كرة من نار ..

★ ★ ★

لم يكن باستطاعة (نور) أبدًا تفادى ما حدث ..

لقد أغشى ذلك الوهج الأحمر عينيه تمامًا ، وهو ينطلق بسرعة تتجاوز الثلاثمائة متر في الساعة .

وبكل العنف ، سقط جسد (أكرم) إلى جواره ..

وارتطم به ..
ثم تلاشى الوهج ..
وظهر الحاجز ..
وحدث الارتطام ..
وفى ثانية واحدة ، وجد (نور) سيارته تهوى ..
من ارتفاع عشرين مترا ..
وكان هذا يعنى الموت حتما ..
وبأعنف صورة ممكنة ..
إلا إذا ...
ففى نفس اللحظة ، التى مالت فيها مقدمة السيارة إلى الأمام ، كشف (نور) أنها لا تهوى نحو الأرض ..
وإنما نحو النيل ..
نهر النيل ..
شريان الحياة الرئيسى لـ (مصر) ..
فعند منطقة الارتطام ، كان الطريق الدائرى يعبر نهر النيل ..
من حسن الحظ ..
لذا فقد هوت السيارة نحو النيل ..
وارتطمت بالمياه الباردة فى عنف ..

ثم غاصت فى سرعة كالحجر ..
وبكل سرعته وقوته ، انتزع (نور) حزام الأمان ، الذى يربطه إلى مقعده ، وهو يهتف بابنته (نشوى)، التى لم ينقطع صراخها لحظة واحدة ، والمياه تتدفق فى سرعة مدهشة ، عبر فتحة السقف :
ـ انتزعى حزام مقعدك ، واسبحى إلى السطح بسرعة .
هتفت فى ذعر ، وهى تحل حزام مقعدها :
ـ وماذا عن (أكرم) ؟!
صاح فى حدة :
ـ لا تشغلى أمرك به .. اسبحى إلى الـ ...
قبل أن يتمّ عبارته ، غمرت المياه السيارة تمامًا ، فجذب إليه ابنته ، ودفعها عبر فتحة السقف ، وهو يشير إليها بالصعود ..
وبكل ذعرها وتوترها ، وقوتها ، راحت (نشوى) تضرب الماء بذراعيها ، صاعدة إلى السطح ، فى حين جذب (نور) جسد (أكرم) الفاقد الوعى ، ودفعه عبر فتحة السقف ، ثم دفع نفسه خلفه ، وأمسكه فى قوة ، وهو يضرب الماء بذراعيه بدوره ،

ليصعد مع (أكرم) إلى السطح ، تاركًا السيارة خلفه تغوص فى مياه النيل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

كانت المياه مضطربة معكّرة بشدة ، والسيارة الغارقة تصنع خلفها موجة جذب ، تشده فى عنف إلى الأعماق ، إلا أنه أمسك جسد (أكرم) بمنتهى القوة ، وهو يضرب الماء بذراعيه فى عنف أكثر ..

ثم لاح الضوء بأعلى ..

وضرب (نور) الماء بقدميه وذراعه ..

وارتفع رأسه فوق سطح الماء ..

وبكل لهفته ، ملأ صدره بالهواء النقى ، وهو يرفع رأس (أكرم) فوق سطح الماء ، ويهتف بابنته (نشوى) :

- (نشوى) .. أين أنت ؟!

كانت قد بلغت الشاطئ ، وهى تهتف :

- أنا هنا بخير يا أبى .. أين (أكرم) ؟!

راح (نور) يسبح نحوها ، هاتفًا :

- إنه معى .. ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، وذهنه يستعيد مشهد (رمزى) و(سلوى) ، بحروقهما المنتشرة فى جسديهما ، وتلك الغيبوبة العميقة ، التى غرقا فيها ، وعضّ شفتيه فى مرارة ، وهو يسبح نحو الشاطئ ، جاذبًا (أكرم) خلفه ، و (نشوى) تهتف :

- هل .. هل أصابه ما أصابهما ؟!

لم يستطع (نور) إجابتها ، حتى بلغ الشاطئ بدوره ، وجذب إليه جسد (أكرم) فى سرعة ، وهو يهتف :

- ربّاه ! هل سيتساقط الجميع ؟! هل نجحوا فى القضاء علينا ؟!

كان جسد (أكرم) ساكنًا هامدًا تمامًا ، وقد انتشرت الحروق البسيطة فى وجهه وصدره ويديه ، فامتقع وجه (نشوى) ، وهى تتراجع فى رعب ، هاتفة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

مع ما أصاب (سلوى) و (رمزى) ، لم يكن لدى (نور) أى أمل ، فى إنقاذ (أكرم) مما أصابه ،

وعلى الرغم من هذا ، فقد وضع أحد كفيه فوق الآخر ، وراح يضغط بهما صدر (أكرم) فى قوة ، لتدليك قلبه ، وانحنى يملأ فمه ورئتيه بأنفاس صدره ، لدفع جهازه التنفسى إلى العمل ، وطرد المياه ، التى تسللت إلى رئتيه ، و ...

وفجأة ، سعل (أكرم) ..

وانتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تحدق فيه ، هاتفة :

ـ ربّاه ! لقد .. لقد ..

قبل أن تكمل عبارتها ، كان (نور) يجذب كتفى (أكرم) ، ويربّت على ظهره فى قوة ، وقلبه يخفق فى لهفة بلا حدود ..

وسعل (أكرم) مرة ثانية ..

وثالثة ..

ومع سعاله ، طردت رئتاه ما بهما من ماء ..

وفى بطء ، فتح (أكرم) عينيه ، وغمغم فى صعوبة :

ـ ربّاه ! إنها ليست غيبوبة يا (نور) ..

سأله (نور) فى دهشة :

ـ ليست ماذا ؟!

أشار (أكرم) بسبّابته ، وزاغت عيناه على نحو مخيف ، وهو يقول فى ضعف :

ـ لقد كنت أشعر بـ ... بـ ...

سأله (نور) فى لهفة :

ـ كنت تشعر بماذا يا (أكرم) .

حاول (أكرم) أن يقول شيئا ..

أى شىء ..

وارتجفت شفتاه على نحو مقلق ، وجفناه يسقطان على عينيه ، وسبّابته المرفوعة تهوى مع يده إلى جواره ..

ثم تراخى جسده ..

تراخى تماما .

★ ★ ★

٥ ـ خطـــوة فخطـــوة ..

أدى الرائد (أيمن) التحية فى حماس ، أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى أشار إليه فى هدوء ، قائلاً :

ـ ما الذى توصلت إليه حتى الآن ، أيهـا الرائـد (أيمن) ؟!

شدّ (أيمن) قامته ، فى وقفة عسكرية حازمة ، وهو يجيب :

ـ لقد فحصنا كل شبر فى المكان يـا سيدى ، طبقًا لأوامرك ، واستخدمنا جهاز تحليل فائق الدقة والسرعة ، وخاصة بالنسبة للأجزاء المصابة ، من جدران منزل المقدم (نور) وأثاثه ، فى البقعة التى افترضنا حدوث الإصابة المباشرة عندها ، وفى دائرة نصف قطرها متر واحد حولها .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وما الذى عثرتم عليه ؟!

هزّ (أيمن) رأسه ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن يجيب ، فى شىء من العصبية :

ـ مادة كيماوية ، ذات تأثير حمضى خفيف ، وبقايا زجاجية رفيعة دقيقة ، تبدو كما لو أنها ناشئة من تحطم جسم زجاجى هش .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، متسائلاً :

ـ وما نوع تلك المادة الكيماوية ؟!

تضاعف توتر (أيمن) وعصبيته ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا سيدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ لست تدرى ؟! ما الذى تعنيه بأنك لست تدرى أيها الرائد ؟! إن فريقك يمتلك أحدث وأدق جهاز تحليل سوائل ، فى العالم كله ، ولديكم القدرة على تحديد نوع أى مادة ، من بين أكثر من ثلاثين ألف نوع ، من المواد البسيطة والمركبة ، الطبيعية والصناعية ، بنسبة دقة تبلغ تسعة وتسعين فى المائة .

قال (أيمن) فى عصبية :

ـ هذه المادة ليست من بين الثلاثين ألف نوع يا سيدى .

حدّق القائد الأعلى فى وجهه لحظة بدهشة ، قبل أن يتراجع مرة أخرى فى مقعده ، ويفرك كفيه فى توتر ، قائلاً :

ـ هلاّ أعدتم الفحص مرة أخرى ؟

ـ لقد أعدنا الفحص والتحليل ست مرات يا سيدى ، وكانت النتيجة واضحة فى كل مرة ، على نحو لا يقبل الشك .. مادة مجهولة ، مركبة من ستة عناصر ، لم يتمّ التعرّف سوى على أربعة منها .. الكربون ، والفسفور ، والصوديوم ، والنيتروجين ..

عاد القائد الأعلى يحدّق فى وجهه بضع لحظات ، بدهشة بلغت ذروتها ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويسند مرفقيه إلى سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى بأنه هناك عنصران لم يتم تعرّفهما أيها الرائد ؟! أنت تعلم أن كل عنصر فى الوجود

معروف تماما(*)، بوزنه الذرى ، وتكافئه(**)، ونقاط غليانه وانصهاره ، وكل العوامل الأخرى ، والكمبيوتر يحفظ كل العناصر عن ظهر قلب ، فكيف يفشل فى تعرّف عنصرين فى مادة مركبة ؟!

أجاب (أيمن) فى عصبية :

ـ لست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا !!

ثم انعقد حاجباه فى توتر شديد ، وهو يضيف :

(*) العنصر : فى الكيمياء ، مادة لا يمكن تحللها إلى أبسط منها ، ولكل عنصر رمز ، ووزن ذرى خاص ، وتختلف العناصر فى تكافئها ، ونقطتى غليانها وانصهارها ، وفى الثقل النوعى ، والكثافة ، والصلادة ، والحرارة النوعية ، وطيف الانبعاث ، والنشاط الإشعاعى ، وقابلية الطرق والسحب ، والمرونة والتمدد بالحرارة ، وقدرتها على توصيل الكهرباء ، ولقد تم ترتيب العناصر ، طبقا لأوزانها الذرية ، فيما يعرف باسم (الجدول الدورى الحديث) .

(**) التكافؤ : هو القدرة النسبية لعنصر ما ، على الاتحاد مع عنصر آخر ، ووحدة القياس فى هذا الشأن ، هى قدرة الهيدروجين على الاتحاد بأى عنصر ، أو على أن يحل محل أى عنصر آخر ، ويفسر التكافؤ بعدد الإليكترونات ، وترتيبها خارج نواة الذرة .

ـ ولكنه حدث .

تراجع القائد الأعلى مرة أخرى فى بطء متوتر ، ثم سأل فى بطء حذر :

ـ تقول إنكم راجعتم التحاليل ست مرات ؟!

أومأ (أيمن) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ولم نكتف بهذا يا سيدى ، وإنما أرسلنا عينة من المادة إلى مركز الأبحاث أيضًا ، ليشاركونا محاولتنا .

تطلع إليه القائد الأعلى ، فى صمت حائر متوتر لبعض الوقت ، قبل أن يسأل :

ـ وماذا عن عينات الزجاج ؟!

أجابه (أيمن) فى سرعة :

ـ لقد أرسلناها كلها إلى مركز الأبحاث العلمية يا سيدى ، فلم تكن لدينا أجهزة مناسبة لتحليلها .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، ثم رفع عينيه إليه ، متسائلا :

ـ ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

هزّ (أيمن) رأسه فى حيرة ، قائلاً :

ـ لست أدرى يا سيدى .. إننى أنتظر النتائج ؛ لوضع تصوّر متكامل للموقف .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ تنتظر النتائج ؟! آه .. فهمت .

صمت لحظة أخرى مفكرًا ، ثم رفع عينيه إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن أيها الرائد .. واصل عملك ، وأبلغنى ما تتوصّل إليه من نتائج أولاً فأولاً .

أدّى (أيمن) التحية العسكرية ، وهو يقول فى قوة :

ـ أمرك يا سيدى .

ثم بدا عليه التردّد لحظة ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ وماذا عن المقدّم (نور) يا سيدى ؟!

سأله القائد الأعلى فى حدة :

ـ ماذا عنه ؟!

ارتبك (أيمن) ، وهو يلوّح بيده ، وتردّد أكثر ، قبل أن تنفرج شفتاه عن صوت كالهمهمة :

ـ لقد تجاوز القانون هو وزميله وابنته ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لا تشغل نفسك بشأن المقدّم (نور) .

سأله (أيمن) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟! هل ..

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، فى صرامة أشدّ :

ـ قلت لك : لا تشغل نفسك بشأنه .. هذا أمر يخصني وحدي .

احتقن وجه الرائد (أيمن) في حنق ، إلا أنه عاد يؤدي التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ كما تأمر يا سيدي .

ثم استدار مغادرًا الحجرة ، ولم يكد بابها ينغلق خلفه ، حتى انعقد حاجبا القائد الأعلى في شدة ، وهو يردد :

ـ عنصران مجهولان ؟!

ونهض من خلف مكتبه ، يتطلع إلى خريطة المدينة ، التي اختفت منها تلك النقطة المضيئة تمامًا ، وأخذ يحك ذقنه بأصابعه في توتر شديد ، وقد احتل ذهنه كله أمر واحد ..

(نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

★ ★ ★

ارتسمت دهشة بالغة ، على وجوه العاملين بالمستشفى العسكري ، عندما شاهدوا (نور) و(نشوى) يندفعان إلى المكان ، وقد ابتلا تمامًا ، والأول يحمل (أكرم) الفاقد الوعي على كتفه ، هاتفًا :

ـ الطبيب .. أريد طبيب قسم الطوارئ بأقصى سرعة .

أسرع فريق من الأطباء والممرضين لمعاونته ، وتم نقل (أكرم) إلى محفة ، انطلقت به إلى حجرة الفحص ، وأحاط به فريق آخر ، يفحصه باهتمام بالغ ، في حين سأل أحد الأطباء (نور) في دهشة :

ـ ماذا أصابكم ؟! هل سقطت سيارتكم في النيل ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً في توتر :

ـ تخمين صائب للغاية .

سأله الطبيب :

ـ كيف أتيتم إلى هنا إذن ؟! ولماذا لم تستدع سيارة إسعاف ؟!

أجابته (نشوى) في صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لم يكن هناك وقت لهذا .. لقد أوقفنا إحدى السيارات ، وتكرم قائدها بنقلنا إلى هنا على وجه السرعة .

خرج طبيب من حجرة الفحص ، في تلك اللحظة ، وهو يقول في توتر :

ـ دكتور (حسن) .. الأفضل أن تلقي نظرة على هذه الحالة .. إنه ..

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ مصاب بحروق من الدرجة الأولى ، مع غيبوبة عميقة ، لا تتناسب مع إشارات مخه اليقظة .. أليس كذلك ؟!

حدّق الأطباء فى وجهه بدهشة ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـ ربّاه ! أتعنى أنه ..

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ نعم .. الحالة الثالثة ، التى تُنقل إليكم اليوم بالأعراض نفسها .

وعضّ شفتيه فى مرارة ، مضيفًا :

ـ الحالة الثالثة من فريقى .

لم يكن هناك وقت للحوار أو النقاش ، لذا فقد تم نقل (أكرم) إلى إحدى حجرات العناية الخاصة بأقصى سرعة ، وهرع رئيس القسم نفسه لفحصه ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى أسف ، قائلاً :

ـ نفس الأعراض .. عجبًا ! إنه أمر محيّر للغاية .. لا بد أن أبلغ الدكتور (هادى) بالأمر .

سألته (نشوى) :

ـ من الدكتور (هادى) هذا ؟! أهو أحد خبراء الغيبوبة العالميين ؟!

التفت إليها رئيس القسم فى دهشة ، وهو يقول :

ـ كيف لا تعرفين الدكتور (هادى) ؟! إنه أحد رجالكم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ أحد رجالنا ؟! ماذا تعنى أيها الطبيب ؟!

هزّ رئيس القسم كتفيه ، قائلاً :

ـ إنه أحد خبراء مركز الأبحاث لديكم .. لقد أتى منذ بضع ساعات ، ليفحص زميليكما ، وطلب الانفراد بكل منهما ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تبادل (نور) و(نشوى) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يهتف الأول :

ـ قل لى أيها الطبيب : هل أطلعك الدكتور (هادى) هذا على هويته ؟!

ارتبك رئيس القسم ، وهو يغمغم :

ـ إننى لم أطلب رؤيتها فى الواقع ، فقد بدا لى الرجل وقورًا رصينًا ، بما يتناسب مع ...

قاطعه (نور) فى عصبية :

ـ ربّاه ! ترى ما الذى فعله بهما ؟!

قالها ، واندفع يعدو نحو حجرة (سلوى) ، وخلفه (نشوى) ، التى أخذت تهتف مذعورة :

ـ يا إلهى ! أمى .. (رمزى) .

وارتبك رئيس القسم فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل .. هل ارتكبت خطأ ما ؟!

ثم انطلق خلف (نور) و (نشوى) ، ولحق بهما فى حجرة (سلوى) ، و(نور) يقول فى توتر بالغ :

ـ كل شىء يبدو عاديًا ، و ...

جاء دور رئيس القسم ليقاطعه هذه المرة ، هاتفًا :

ـ من قال هذا ؟!

ثم اندفع نحو رسّام المخ ، وأشار إليه ، متابعًا فى عصبية :

ـ إشارات المخ لم تعد نشطة كالسابق .

انطلقت نظرة ارتياع ، من عينى (نور) إلى عينى ابنته ، قبل أن يهتف هو فى توتر بالغ ، وهو يمسك ذراع الطبيب فى قوة :

ـ أريد فحص (سلوى) و(رمزى) مرة أخرى .. أريد فحصًا تامًا شاملاً ، دون إغفال نقطة واحدة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ولو أصابهما مكروه ، فأقسم أن يدفع المسئول الثمن غاليًا .. أيًا كانت مكانته .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بكل صرامة الدنيا :

ـ وأيًا كان موقعه .

نطقها على نحو ارتجف له قلب الطبيب بين ضلوعه ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

« الرائد (أيمن) كان على حق .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى ارتباك مضطرب ، وهو يمسك بأنبوبة اختبار صغيرة ، أمام وجه القائد الأعلى ، قبل أن يكمل فى عصبية واضحة :

ـ حتى أحدث أجهزة التحاليل الدقيقة ، أكدت وجود عنصرين مجهولين ، ضمن هذا المركب الكيميائى العجيب . وهذا يمنعنا حتى من كشف خواصه كلها . أما شظايا الزجاج الصغيرة ، فهى تثير حيرتنا أكثر .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ ولماذا ؟!

أجابه الرجل فى حيرة :

ـ إنها قطع من البلور النقى تمامًا ، والذى لا يمكن

الحصول عليه إلا فى درجات حرارة عالية للغاية ، قد تبلغ ست أو سبع آلاف درجة منوية .

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، مغمغمًا :

ـ وماذا فى هذا ؟! أعتقد أن لدينا التقنية اللازمة ، لبلوغ درجات حرارة أكثر ارتفاعًا .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ هذا صحيح .. نحن فى معامل مركز الأبحاث ، يمكننا بلوغ أربعين ألف درجة منوية ، فى بعض التجارب الخاصة جدًا ، ولكن حتى نحن نعجز عن إنتاج البلّور النقى بهذا السمك الضئيل للغاية .

حدّق القائد الأعلى فى وجهه لحظة ، بمنتهى التوتر والانفعال ، قبل أن يميل للأمام ، ويسأل فى بطء شديد :

ـ تقول : إنه حتى نحن ، نعجز عن إنتاج مثل هذا الشىء ؟! أتقصد (مصر) بشكل عام ، أم مركز الأبحاث العلمية .

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ الواقع أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

ـ أن ماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ من الناحية الاقتصادية ، لا توجد أية جدوى لإنتاج بلّور نقى ، رقيق إلى هذا الحد ، فهذا يحتاج إلى تقنية متقدّمة للغاية ، وتكاليف عالية جدًا ، وفى النهاية سيأتى استخدامه محدودًا للغاية ، ولكن هذا لا يمنع من أنه هناك أنواع خاصة من المواد الكيماوية ، تحتاج إلى أوعية شفافة ، ورقيقة للغاية ، ولكنها صلبة إلى حد ما ، لذا فقد أجرينا بعض التجارب فى هذا الشأن ، وأمكننا إنتاج بعض تلك الأوعية ، إلا أننا لم نبدأ فى استخدامها ، وتقييم موقفها بعد .

سأله القائد الأعلى فى صرامة :

ـ وما تلك المواد الكيماوية ، التى تحتاج إلى مثل هذه الأوعية ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ كيماويات الأعصاب .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدّة ، وهو يقول :

ـ أما زال لدينا خط لإنتاج مثل تلك الأشياء ؟!

أجابه الرجل فى حدة :

ـ كلانا يعلم أن كل الدول لديها خطوط سرية لإنتاج كيماويات وغازات الأعصاب .

مط القائد الأعلى شفتيه ، مغمغما :

ـ للأسف !

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى الخريطة الكبيرة ، وتطلع إليها بضع لحظات ، قال بعدها فى حيرة :

ـ بلور نقى رقيق ، ومادة كيماوية مجهولة ، تحوى عنصرين ، لا وجود لهما فى كل جداول العناصر المعروفة .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا فى رأيك ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه فى حيرة ، وهو يقلب كفيه ، قائلا :

ـ لست أدرى ! إنه أمر غامض وعجيب للغاية .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغما :

ـ لست تدرى ! لا أحد يدرى شيئا ! لقد أصبحت هذه هى سمة الجميع بلا استثناء .

ثم شد قامته فى حزم ، مضيفا :

ـ وهذا يعنى أننا قد ارتكبنا خطأ .. أكبر خطأ .

تضاعفت حيرة الدكتور (جلال) ، وهو يتساءل :

ـ أى خطأ ؟!

ولكن القائد الأعلى لم يجب تساؤله ..

لقد انشغل بكيانه كله فى التطلع إلى الخريطة الكبيرة ..

وغاب ذهنه مع فكرة قوية ، سيطرت على كل خلية من خلاياه ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والنصف مساء ، عندما ألقى رئيس قسم الحالات الخاصة جسده ، على ذلك المقعد الوثير خلف مكتبه ، وهو يهتف :

ـ أمر عجيب ! ذلك المحتال ، الذى انتحل شخصية أحد رجالكم ، حقن زميليكما بمادة (بنتوثال الصوديوم)(*) ، وكأنما يحاول انتزاع بعض

(★) بنتوثال الصوديوم : يطلق عليه أيضا مصل الحقيقة .

المعلومات منهما ، على الرغم من غرقهما فى تلك الغيبوبة العميقة .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يعلّق ، فى حين قالت (نشوى) ، فى حيرة وعصبية :

ـ كيف ؟! لا أحد يمكنه استجواب مثلهما .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يمكننا الجزم بهذا .

تطلّع إليه رئيس القسم بدهشة عارمة ، وهو يقول :

ـ أى قول هذا يا رجل المخابرات العلمية ؟! الكل يعلم أن الشخص الغارق فى غيبوبة عميقة ينفصل تمامًا عن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ هذا ينطبق على الغيبوبة المعتادة ، وليس على هذه الحالة ، التى نواجهها الآن يا سيّدى .

بُهت الرجل للجواب ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وكأنما أحنقه أن يتوصّل (نور) إلى هذه الحقيقة البديهية ، التى غفل هو عنها ، فى حين تابع (نور) بنفس اللهجة :

ـ إننا منذ البداية نشعر بالحيرة ، لأن إشارات المخ،

عند (رمزى) و(سلوى) ، كانت تعمل على نحو طبيعى ، على الرغم من انخفاض المعدلات الحيوية لجسميهما إلى حد كبير .. وفى رأيى أن هذا بالضبط ما تسعى إليه تلك المادة الكيماوية ، التى سبّبت لهما هذه الحالة .. أن يسقط كل منهما فى غيبوبة ، لا تتسلّل إلى عقله ، بحيث يظلّ العقل نشيطًا ، جاهزًا لكشف كل ما لديه ، عند استخدام الوسيلة المناسبة .. ولا تنسوا أن (بنتوثال الصوديوم) لم يكن المادة الكيماوية الوحيدة ، التى تم حقن (رمزى) و(سلوى) بها .

أجابه رئيس القسم فى عصبية :

ـ نعم .. هناك مادة أخرى ، لم يكشف المعمل هويتها بعد ، وهذا بخلاف تلك المادة المجهولة ، التى تسبّبت فى حدوث تلك الغيبوبة العميقة لهما ، ولكن كل هذا لا يعنى أنك على حق ، فالنظرية التى تستند إليها مرفوضة علميًا تمامًا ؛ فلو ظلّ المخ يقظًا نشيطًا ، جاهزًا لكشف ما لديه ، تحت أى مؤثّر خارجى ، فمن المستحيل أن تنخفض المعدلات الحيوية للجسم إلى هذا

هذا الحد ؛ لأن المخ ، وبكل بساطة ، هو المحرك الرئيسى لكل جهزة الجسم الحيوية ، باستثناء القلب(*) . وارتفاع نشاطه أو انخفاضه ، يؤثر بصورة مباشرة على الأجهزة الحيوية فى الجسم .

أشار (نور) بيده ، قائلا :

ـ ماذا تسمى ما نحن بصدده إذن ؟!

انفرجت شفتا رئيس القسم ، لينطق بشىء ما ، لولا أن اندفع أحد الأطباء الشبان ، يقول فى حماس :

ـ انقطاع اتصال .

احتقن وجه رئيس القسم ، وهو يلتفت إليه فى حدة ، قائلا :

ـ من سمح لك بالكلام ؟!

(*) يعتمد القلب فى عمله على منظم خاص ، يعرف باسم الباس مايكر (pace Maker) ، وهو أشبه بمخ خاص ، يبدأ عمل ضربات القلب ، ويعمل على تنظيمها ، بحيث يصبح عمل القلب منفصلا تقريبا عن المخ ، وهذا ما يفسر استمراره فى العمل ، فى أحوال عديدة ، يصاب فيها المخ بحالات سكتة مؤقتة ، أو ببعض الإصابات الفادحة ، التى تؤثر فى بعض أو كل الأجهزة الأخرى .

ارتبك الطبيب الشاب ، ولوح بيده فى اضطراب ، ولكن (نور) هتف :

ـ مهلا .. بم وصفت الموقف ؟!

امتقع وجه الطبيب الشاب ، واختنقت الكلمات فى حلقه لحظة ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، ويجيب بصوت أجش مرتبك :

ـ إنه مجرد اصطلاح أدبى ، ولم أقصد به تشخيصا طبيًا ، و ...

هتف (نور) :

ـ ولكنك وصفت ما يحدث بأنه نوع من انقطاع الاتصال .. أليس كذلك ؟!

تنحنح رئيس القسم فى غضب ، وأشار بيده فى صرامة ، قائلا :

ـ كما سمعت أيها المقدم .. إنه مجرد اصطلاح غير علمى ، و ...

قاطعه (نور) فى حماس :

ـ ربما كان اصطلاحا غير طبى ، أو غير علمى ، إلا أنه وصف الموقف على نحو منطقى تماما ، حتى إننى أرغب فى سماع التفسير العلمى .

ارتبك الطبيب الشاب ، وهو يقول :

ـ الواقع أنه فى وجود أستاذى رئيس القسم، فإن ..

قاطعه (نور) فى صرامة هذه المرة :

ـ دعك من هذه التعقيدات الإدارية بالله عليك .. زميلان لنا يواجهان حالة غير مفهومة هنا ، وليس من المنطقى أن نتمسك بسخافات ، ونتركهما على حالهما .. هيا .. أخبرنى ما لديك .

تضاعف ارتباك الطبيب الشاب ، وأدار عينيه إلى رئيس القسم ، ولكن هذا الأخير أشاح بوجهه فى غضب ، فهتف (نور) :

ـ هيا بالله عليك .. هيا ..

بدا التردد لحظة على الطبيب الشاب ، إلا أنه لم يلبث أن حسم أمره ، وانتصر لطبيعته العلمية ، وهو يندفع ، قائلاً :

ـ نظريتى تقول : إنه هناك شىء ما ، يحول بين إشارات المخ ، ووصولها إلى الأطراف والأجهزة الحيوية .. شىء ربما يكمن فى الحبل الشوكى ، أو فى الأطراف العصبية نفسها .. المهم أنه يمنع عملية انتقال ذلك النشاط الملحوظ فى المخ ، إلى باقى أجزاء الجسم .

بدت الدهشة على وجه رئيس القسم ، وهو يحدق فى الطبيب الشاب ، الذى تابع فى حماس واضح :

ـ فى هذه الحالة ، علينا أن نقيس إشارات المخ ، التى تنتقل عبر الألياف العصبية ، ونتتبع تلك الإشارات ، سيمكننا تحديد منطقة الخلل بالضبط ، وربما قادنا هذا إلى وسيلة علاجه .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن تلك المادة الغامضة ، التى تم حقنها مع (بنتوثال الصوديوم) ؟!

أجابه الطبيب الشاب فى سرعة :

ـ إنها عقار يبطل سيطرة المادة الأولى على الحواس ، على نحو مؤقت ، بحيث يمكن لزميليكما الإفصاح عما لديهما ، تحت تأثير (بنتوثال الصوديوم).

هتف رئيس القسم فى حنق :

ـ أى تفسير هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ التفسير المنطقى الوحيد ، منذ بدأ ذلك الأمر .

قالها ، ومد يده للطبيب الشاب ، قائلاً فى احترام :

ـ اسمح لى بمصافحتك يا رجل ؛ فأنت عبقرى حقيقى .. قل لى : ما اسمك ؟!

ابتسم الطبيب الشاب ، وتهللت أساريره فى سعادة حقيقية ، وهو يجيب :

ـ اسمى (يحيى) أيها المقدم (نور) .. إننى أتابع عملك منذ فترة طويلة ، والواقع أننى مبهور بما تقوم به .

ربت (نور) على كتفه ، قائلا :

ـ عظيم .. ستتاح لك إذن فرصة متابعة هذا العمل عن قرب .

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرة متسائلة ، والشاب يقول فى ارتباك :

ـ ماذا تعنى أيها المقدم ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أعنى أنك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستعمل لحساب المخابرات العلمية .

هتف (يحيى) غير مصدق :

ـ أنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير بيده :

ـ نعم .. أنت .. ومنذ هذه اللحظة أيضا ستتولى مهمة فحص الإشارات المخية ، وقدرتها على الانتقال

عبر الألياف العصبية ، لدى (سلوى) و(رمزى) و (أكرم) ، كما ستتابع بنفسك نتائج التحليل المعملى لتلك المادة ، التى تسببت فى كل هذا .

ثم التقط عينة البلور من جيبه ، وناولها للطبيب الشاب ، متابعا :

ـ ونتائج فحص هذه أيضا .

حدق (يحيى) فى العينة لحظة ، قبل أن يسأل (نور) فى حماس وانفعال :

ـ وكيف أبلغك بالنتائج أيها المقدم ؟!

أتاه صوت حازم صارم رصين ، يجيب :

ـ لن تكون بحاجة إلى هذا أيها الطبيب .

التفت الجميع إلى صاحب الصوت فى دهشة ، لم تبلغ لدى أعظمهم تأثرا ربع ما شعر به (نور) ، الذى انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يحدق فى القادم الجديد ، قبل أن يهتف بانفعال جارف :

ـ سيدى !! ما الذى ...

وبتر عبارته بغتة ، قبل أن يتمها ..

ودون كلمة واحدة ، أدرك الجميع ، أن ذلك القادم الجديد شخص له مكانة خاصة ، فى جهاز المخابرات العلمية ..

ولكن من المؤكد .. والمؤكد جدًا .. أن أحدًا منهم لم يخطر بباله قط أن ذلك الرجل الرصين الوقور ، الذى يرتدى حلة بسيطة أنيقة ، والذى يقف على قيد متر واحد منهم، بقامته الممشوقة وملامحه الوسيمة، وذلك الشيب المنتشر فى نصف رأسه ، هو أخطر رجل ، فى المخابرات العلمية المصرية كلها ..

هذا لأنه ليس رجل مخابرات عاديًا ..

إنه القائد الأعلى ..

شخصيًا ..

* * *

لهث (هادى) فى شدة ، وهو يدلف إلى حجرة رئيسه ، ويلوح بذراعيه فى قوة ، محاولاً قول شىء ما ، لولا أنفاسه المتقطعة ، ووجهه شديد الاحتقان ، مما جعل رئيسه يشير إليه ، قائلاً :

ـ رويدك يا هذا .. التقط أنفاسك ، واهدأ قليلاً ، ثم هات ما لديك ..

لهث (هادى) بضع لحظات أخرى ، ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهتف بصوت مختنق :

ـ لقد .. لقد كشفوا الأمر .

رمقه رئيسه بنظرة ثلجية باردة ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ـ أى أمر ؟!

أجابه لاهثًا :

ـ كشفوا ما فعلناه بزميليهما .

بدا الغضب على رئيسه ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

أجابه (هادى) فى انفعال :

ـ رجلنا فى المستشفى أبلغنى ، أنهم عثروا على آثار مصل الحقيقة ، مع المادة المضادة ، فى دماء الاثنين ، وأنهم يحيطون حجرة زميلهم الثالث بحراسة مشددة للغاية ، كما أن أحد الأطباء يقوم الآن ببعض الاختبارات ، حول انتقال إشارات المخ ، وقدرتها على بلوغ الألياف العصبية الطرفية .

تضاعف الغضب فى وجه رئيسه ، وإن ظلّ صوته على برودته الشديدة ، وهو ينهض من مكانه ، ويتجه إلى تلك الكرة البلورية ، قائلاً :

ـ هذا يعنى ضرورة أن نتحرك بسرعة أكبر .

قال (هادى) فى حماس :

ـ هل تعتقد أنه من السهل أن تتخلص منى ؟!
أجابه رئيسه فى صرامة مخيفة : ـ دون أدنى شك ..

ـ مرنى بما تريد يا سيدى .

تطلع إليه رئيسه بضع لحظات ، فى صمت بارد مخيف ، قبل أن يرفع يده إلى الكرة البلورية الضخمة ، قائلا :

ـ عندما ابتعت خدماتك كمجرم ومحتال عالمى سابق ، تصورت أن قيام واحد من جنسكم بالمهمة ، سيجعل الأمر أكثر سهولة ، ولكن يبدو أننى كنت مخطئا .

قال (هادى) فى حيرة :

ـ واحد من جنسنا ؟! ما الذى تعنيه أيها الرئيس ؟!

وضع رئيسه يده على الكرة البلورية ، وهو يقول :

ـ أعنى أنك قد فشلت فى مهمتك ، ولم تعد بى حاجة إليك .

اتسعت عينا (هادى) ، وفهم على الفور ما يقصده رئيسه ، فاندفع نحوه ، هاتفا :

ـ هل تعتقد أنه من السهل أن تتخلص منى ؟!

أجابه رئيسه فى صرامة مخيفة :

ـ دون أدنى شك .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى دوت فرقعة مكتومة ،

وتكونت كرة من اللهب ، فى مركز الكرة البلورية تمامًا ، على نحو جعل (هادى) ينتفض فى هلع ، ثم يحدق فى رئيسه ، هاتفًا :

ـ كيف تفعل هذا ؟! من أنت بالضبط ؟!

استدار إليه رئيسه فى بطء ، وقال :

ـ هل تعتقد حقًا أنه بإمكانك استيعاب الأمر ؟!

اتسعت عينا (هادى) ، وهو يحدق فى ذلك الواقف أمامه ، والذى لم تكن عيناه تشبهان عيون البشر ، بأى حال من الأحوال ، وارتجف صوته فى حلقه ، وهو يتراجع ، قائلاً :

ـ من أنت ؟! بل ما أنت ؟!

اقترب رئيسه منه ، وهو يقول بتلك الصرامة المخيفة :

ـ لم يعد هذا يهمك .. بل لن يهمك شىء فى الحياة كلها ، بعد دقيقة واحدة .

تراجع (هادى) فى رعب ، صارخًا :

ـ لا .. لا .. ابتعد عنى .

كان يتراجع بسرعة كبيرة ، فى القاعة الواسعة ، إلا أن رئيسه وثب بغتة ، على نحو أشبه بالفهد ،

وهبط على قيد نصف متر منه ، ثم قفزت يداه تقبضان على عنقه بسرعة مخيفة ..

وانطلقت صرخة رعب وألم ، من حلق (هادى) .

فمن اليدين المحيطتين بعنقه سرى لهيب مخيف فى جسده ، على نحو جحظت له عيناه ، فصرخ :

ـ لا .. لا تقتلنى .. لا ..

ومع صرخته ، امتدت يده تمسك وجه رئيسه ..

وبحركة غريزية ، صنعتها رغبته فى البقاء ، جذب بشرة الوجه بكل قوته ..

وهنا ، انطلقت من حلقه صرخة أكثر رعبًا وألمًا ..

ففى تلك اللحظة ، التى كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ، أدرك (هادى) أن رئيسه ليس بشريًا ..

ولم يكن كذلك ..

أبدًا .

★ ★ ★

٦ ـ العـدو ..

بـدا الانفعال واضحا ، فى صوت وملامح الدكتور (ياسر) ، وهو يقتحم مكتب رئيسه ، فى إدارة الاتصالات الفضائية ، ملوحا بورقة كبيرة فى يده ، وهاتفا :

ـ مفاجأة .. مفاجأة مدهشة يا سيدى .

رفع رئيسه عينيه إليه فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يقول فى غضب صارم :

ـ دكتور (ياسر) .. كيف تقتحم مكتبى على هذا النحو ، و ...

قاطعه (ياسر) فى حماس ، وكأنما لم ينتبه إلى كلماته ، وهو يضع الورقة الكبيرة على سطح مكتبه :

ـ انظر يا سيدى .. انظر إلى هذه المنحنيات الحادة .. لقد ظهرت فجأة ، وسط المنحنيات المعتادة ، ونحن نتلقى الإشارات الدورية لأجهزة الاتصال ، فى شبكة الأقمار الصناعية .

حدق رئيسه فى وجهه لحظة ، قبل أن يهز رأسه

مستسلما ، وكأنما اعتاد هذا الأسلوب الفج من موظفه ، وهو يقول :

ـ أية منحنيات ؟!

أشار الدكتور (ياسر) بسبابته إلى زوج من المنحنيات ، ارتفعت قمتها على نحو حاد ملحوظ ، بين مجموعة كبيرة من المنحنيات شبه المنتظمة ، وقال بنفس الحماس والانفعال :

ـ انظر يا سيدى .. انظر .. هذه هى المنحنيات المنتظمة المعتادة .. ثم فجأة ، تجد هذين المنحنيين ، يبرزان على نحو حاد مباغت ، ثم تعود الإشارات إلى انتظامها مرة أخرى .

سأله رئيسه ، وقد حل اهتمامه محل غضبه :

ـ وما الذى يشير إليه هذا بالضبط ؟!

لوح (ياسر) بذراعيه فى حماس ، مجيبا :

ـ إنها إشارة خاصة .

مط رئيسه شفتيه ، وهو يسأله :

ـ أى نوع من الإشارات ؟!

رفع (ياسر) سبابته إلى أعلى ، وهو يمد ذراعه عن آخرها ، ويرتفع بكعبيه عن الأرض ، وكأنما يهم بلمس سقف الحجرة ، وهو يجيب :

- إنها إشارات من بعيد .. من هناك ..

تراجع رنيسه فى مقعده ، متمتمًا فى حذر :

- من بعيد ؟!

هتف (ياسر) فى حماس :

- نعم .. إشارات من الفضاء .

انعقد حاجبا رنيسه ، وهو يتطلّع إليه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى حذر أكثر ، وهو يشير بسبّابته ، ويحاول رسم ابتسامة على شفتيه :

- من أحد صواريخنا ، أو محطاتنا الفضائية ، المنتشرة فى المجموعة الشمسية يا دكتور (ياسر) ؟!

هزّ (ياسر) رأسه نفيًا ، وأجاب فى حزم :

- ليس بهذا القرب .

ثم مال نحو رنيسه ، مستطردًا فى حماس :

- إنها إشارة من الفضاء البعيد .. البعيد جدًّا .

انتفض جسد رنيسه انتفاضة خفيفة ، لم تلحظها عينا (ياسر) ، الذى تابع فى انفعال جارف :

- إننا نستطيع دراسة قوتها ، وذبذبتها ، وببعض الحسابات ، يمكننا تحديد مصدرها بدرجة معقولة من الدقة ، و ..

قاطعه رنيسه فى اهتمام شديد :

- وماذا عن فحواها ؟!

بدت دهشة عارمة على وجه الدكتور (ياسر) ، وكأنما لم يكن يتوقّع مثل هذا السؤال ، وارتبك لبضع لحظات ، قبل أن يهزّ كتفيه ، مغمغمًا :

- إنها إشارة منتظمة ، وهذا يعنى أنها قادمة من مصدر عاقل ، حاملة رسالة ما إلى عالمنا ، ومن المؤكد أنه هناك وسيلة لمعرفة فحواها حتمًا .

أجابه رنيسه ، وقد انتقل إليه الانفعال :

- ابذلوا قصارى جهدكم إذن .

قالها ، والتقط مسماع هاتف خاص إلى جواره ، وامتدّت سبّابته لتضغط أزرار الهاتف ، إلا أنه توقّف بغتة ، وأشار إلى الدكتور (ياسر) ، هاتفًا فى شىء من الحدة ، لم يعتده هذا الأخير :

- ماذا تنتظر ؟!

ارتبك الدكتور (ياسر) ، وهو يقول :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سيّدى .. اطمئن .

واندفع خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ولم يكد يفعل ، حتى ضغط رنيسه أزرار الهاتف ، ولم يكد يرى وجه محدّثه على شاشته ، حتى قال فى عصبية وتوتر واضحين :

– سيدى .. يبدو أن ما نخشاه منذ زمن طويل ، قد صار حقيقة واقعة .

نطقها وصوته يرتجف ..

بشدة ..

★ ★ ★

« من المؤكد أنك تتساءل عن سر قدومى أيها المقدم .. » .

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية العبارة ، وهو يسير إلى جوار (نور) ، فى حديقة المستشفى العسكرى ، فغمغم هذا الأخير ، فى شىء من الحذر :

– إننى أتساءل : لماذا لم يتم استدعائى إلى الإدارة ؟!

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يسير عاقدًا كفيه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن أجاب ، فى حزم واضح :

– الواقع أن هذا لم يكن ممكنًا ، من الناحية الأمنية يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يكرر ، فى قلق عارم :

– من الناحية الأمنية ؟! المفترض يا سيدى أننا أكثر جهة تحظى بأمن وسرية المعلومات .

انطلقت من حلق القائد الأعلى زفرة ملتهبة ، وهو يقول :

– نعم .. من المفترض هذا أيها المقدم .

ثم توقف ، والتفت إلى (نور) ، مضيفًا فى حزم مرير :

– ولكن الواقع أننا نواجه عملية اختراق لجدارنا الأمنى .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يغمغم :

– يا إلهى !

ربت القائد الأعلى على كتفه ، وهو يعاود السير ، قائلا :

– دعنى أرو لك الأمر منذ البداية يا (نور) .. وهذه البداية ليست بعيدة ، ولكنها على العكس ، قريبة للغاية ، إذ لا تزيد على أسبوع واحد .. وبالتحديد ، بعد سبع ساعات من جلوسى على مقعد القائد الأعلى ، عندما تلقيت إشارة من إحدى محطاتنا الفضائية ، تقول : إن نيزكًا صغيرًا يتجه نحو الأرض ، وقد عبر إلى جوارها بسرعة كبيرة للغاية ، وسيبدأ فى اختراق الغلاف الجوى بعد دقائق .. وعلى الفور ، قمنا برصد شامل للغلاف الجوى الأرضى ،

والتقطت أجهزتنا عملية وصول النيزك إليه ، واختراقه للغلاف الجوى ، ليهبط فى صحرائنا الغربية ، على مسافة مائتى كيلو متر تقريبًا من (القاهرة) .

قال (نور) فى حذر :

ـ إلى هنا ، تبدو الأمور كلها عادية بسيطة يا سيدى ، فعلى الرغم من ندرة حدوث هذا ، من الناحية العلمية البحتة ، إلا أنه مازال من الممكن أن ينجح نيزك ما فى اختراق غلافنا الجوى ، ومن حسن الحظ أنه قد سقط فى الصحراء الغربية ، وليس فى منطقة مأهولة بالسكان .

أشار القائد الأعلى بسبابته ، وهو يقول :

ـ كان من الممكن أن يكون هذا هو التفسير العلمى البسيط للموقف أيها المقدم ، لولا ثلاث نقاط بالغة الأهمية .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وكأنه يسترجع ذكرى مريرة :

ـ عند رصد هبوط النيزك ، لاحظ العلماء والخبراء أن حجمه ظل ثابتًا ، منذ بلغ الغلاف الجوى ، وحتى اكتمال هبوطه ، وهذا أمر غير منطقى ، من الناحية العلمية .

قال (نور) فى اهتمام بالغ :

ـ بالتأكيد ، فمع احتكاك أى نيزك ، مهما كانت مادته ، بالغلاف الجوى بالأرض ، ستبلغ درجة حرارة سطحه ما يزيد على مائة ألف درجة مئوية ، مما يحتم تآكل مادته ، وانخفاض وزنه وحجمه ، مع كل متر يقطعه ، فى طريقه نحو الأرض .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ بالضبط .. وهذه الضرورة العلمية الحتمية لم تحدث مع ذلك النيزك .. بل ظل حجمه ثابتًا طوال الوقت ، مما يوحى بأن مادته قادرة على احتمال درجات حرارة عالية للغاية ، وهذا لا يتأتى إلا لبعض السبائك الصناعية(*) ، المحاطة بغلاف واق قوى ، كما فى مركبات الفضاء .

(*) السبائك (مفردها سبيكة) : مصطلح يستخدمه المشتغلون بالفلزات (الميتالورجيون) ، للدلالة على مادة مكونة من عنصرين فلزيين ، أو عنصر فلزى وآخر غير فلزى ، قابلين للذوبان فى بعضهما ، ولا ينفصلان إلى طبقات مختلفة عند تجمدهما . والسبائك مجموعتان كبيرتان .. السبائك الحديدية وأشهرها (الصلب) ، والسبائك غير الحديدية ، وأشهرها (الدورالومين) ، وهو سبيكة من الألومنيوم والنحاس والمغنسيوم .

توقّف (نور) هذه المرة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! هل تعنى أن ذلك النيزك ليس سوى مركبة فضائية مموّهة أيها القائد ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

لست أنا من يعنى هذا ، وإنما هى الحقائق العلمية أيها المقدّم .

قال (نور) فى توتر ، وهما يعاودان السير :

ـ ولكن عدم انخفاض حجم النيزك فى أثناء هبوطه، ليس دليلاً علميًا حاسمًا يا سيّدى ، فهناك احتمالات علمية أخرى ، تتعلّق بمادة النيزك ، التى ربما تختلف عن المواد الأرضية المعروفة ، أو ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ هذا بالنسبة للدليل الأوّل فحسب أيها المقدّم ، ونحن نتحدّث عن ثلاثة .

شعر (نور) بالحرج ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا سيّدى .

لوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ الأمر الثانى ، الذى أقلق علماء وخبراء الرصد ، هو أنه من الطبيعى ، بالنسبة لأى جسم سلبى ، يقع

تحت تأثير الجاذبية الأرضية ، أن تتزايد سرعته تدريجيًا ، مع استمراره فى الهبوط ، نظرًا لعجلة الجاذبية الأرضية(*)، ولكن ذلك النيزك العجيب خالف هذه القاعدة العلمية أيضًا ، فقد ظلّت سرعته ثابتة ، حتى صار على ارتفاع خمسة كيلو مترات عن سطح الأرض ، وعندئذ ، راحت سرعته تنخفض بمعدّل ثابت منتظم ، حتى غاب عن شاشة الرادار تمامًا .

صمت (نور) بضع لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يتساءل :

ـ وماذا عن الدليل الثالث ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ الدليل الثالث ، هو أننا لم نعثر على أية أدلّة .

توقّف (نور) ، ليسأل فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

توقّف القائد الأعلى بدوره ، مجيبًا فى حزم :

ـ يعنى أننا ، عندما أرسلنا فريقًا لفحص النيزك ، فى منطقة هبوطه ، التى حدّدتها الأجهزة ، لم نعثر له

(*) عجلة الجاذبية الأرضية = ٩٨١ سم/ث/ث .

على أدنى أثر .. ليس فى موقع الهبوط فحسب ، وإنما فى دائرة نصف قطرها مائة متر منه أيضًا .

قال (نور) فى اهتمام ، وهما يعاودان السير فى بطء :

ـ هذا يعنى إما أنه قد تلاشى، قبل أن يبلغ الأرض، وهو احتمال غير وارد على الإطلاق ، من الناحيتين ، العلمية والمنطقية ، أو أنه لم يكد يقترب من رمال الصحراء ، حتى عدّل اتجاهه ، وانطلق مواز لها ، وعلى ارتفاع منخفض على الأرجح ، كمحاولة لتفادى أجهزة الرصد والرادار ، حتى اختفى فى مكان آخر .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. هذه هى العقلية ، التى يحتاج إليها جهازنا أيها المقدّم .. عقلية منطقية ، استنباطية ، تحليلية ، تستند إلى ثقافة علمية واسعة ، مع خيال جامح ، يمكنه تعقّب ما تشير إليه الدلائل ، حتى ولو خالف كل طبيعى أو مألوف .

وتنهّد فى حرارة ، قبل أن يستطرد فى ضيق :

ـ وهذا نفسه ما أفتقده فى الآخرين .. الدكتور (جلال) ، والرائد (أيمن) وفريقه .. كلهم يعملون

بمنتهى التفانى والإخلاص ، وينجحون نجاحًا مبهرًا ، فى الحصول على الأدلة والقرائن والبراهين ، ولكن أحدًا منهم لا يمكنه رؤية ما خلف الأفق ، أو قراءة ما بين السطور .. لا أحد منهم يمكنه القفز من القرائن إلى الاستدلالات والنتائج .

ثم التفت إليه ، مضيفًا :

ـ وهذا يعنى أننا قد ارتكبنا خطأ كبيرًا أيها المقدّم..

سأله (نور) فى حذر :

ـ أى خطأ يا سيدى ؟!

تطلّع إليه القائد الأعلى ، مجيبًا فى حزم :

ـ أننا حاولنا إقصاءك وفريقك من العمليات الأساسية أيها المقدّم .. دعنى أعترف بأننا قد تصرّفنا بصبيانية لم يكن لها ما يبرّرها ، عندما حاولنا أن نعاقبك على تأديتك لواجبك تجاه الوطن ، دون النظر لأية عواطف أو ارتباطات خاصة .

وعقد كفيه خلف ظهره ، مضيفًا فى حسم :

ـ صدقنى يا (نور) .. لقد تصرّفت كرجل ناضج ، فى حين كان تصرّفنا سخيفًا ، وغير عادل أو منطقى على الإطلاق .

ارتسمت دهشة بالغة على وجه (نور) ، وهو

يحدق فى وجه القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يشد قامته فى وقفة عسكرية صارمة ، ثم يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً فى احترام بالغ :

ـ سيدى القائد الأعلى .. موقفك هذا يفصح عن حكمة بالغة ، وشجاعة فى الحق بلا حدود .. اسمح لى بتقديم وافر احترامى وتقديرى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

ـ فيما بعد يا (نور) .. فيما بعد أيها المقدم .. المهم الآن أن تعود وفريقك إلى العمل على الفور .

ابتسم (نور) فى مرارة ، قائلاً :

ـ فريقى ؟! لقد انتهى فريقى عمليًا يا سيدى ، ولا أحد يدرى مصيره حتى الآن .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ يؤسفنى حقًا ما أصاب رفاقك أيها المقدم ، ولقد أصدرت أوامرى بتكليف فريق من أفضل علمائنا وأطبائنا ، لدراسة حالتهم ، والعناية بهم ، والبحث عن وسيلة لإسعافهم ، ولكن الشىء الأكثر أهمية ، هو أن خبراءنا يرون أن ما أصاب فريقك ، هو خطوة أولى

فى خطة طويلة ، أعدها جاسوس أو جواسيس ، حملته أو حملتهم مركبة الفضاء ، التى هبطت على أرضنا ، فى شكل نيزك عادى .. خطة تهدف فى نهايتها إلى التمهيد للغزو .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فأضاف القائد الأعلى فى حزم :

ـ غزو الأرض كلها .

وكانت هذه العبارة الأخيرة كفيلة بأن تنتفض كل خلية من خلايا (نور) ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

ارتسمت دهشة عارمة على وجه الدكتور (فايز) ، أحد كبار علماء مركز الأبحاث ، وهو يتطلع إلى الرجل الواقف أمامه ، عند باب منزله ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ تقول : إنك أحد ضباط أمن المركز ؟! ولكن ماذا يريد منى جهاز أمن المركز ؟! إننى رجل منضبط ، لا أرتكب أية مخالفات ، أو ..

قاطعه رجل الأمن فى برود عجيب :

- لديك تصريح ببلوغ المستويات الأمنية العليا فى المركز .. أليس كذلك ؟!

تسلل الحذر والقلق إلى نفس الدكتور (فايز) ، وتراجع فى بطء نحو هاتف الفيديو ، وهو يجيب :

- بلى ، ولكن هذا التصريح خاص للغاية ، ولا يمكن لسواى استخدامه أو استغلاله ، فهو لا يكفى وحده لدخول أية منطقة محظورة داخل المبنى الرئيسى ، أو المبانى الفرعية ، إذ لا بد أن يرتبط هذا بالخضوع لإجراءات الفحص البيولوجية الأمنية الأخرى ، كبصمة الإبهام ، وبصمة قزحية العين ، وتوزيع المسام العرقية على الجلد ، وغيرها .

تقدّم رجل الأمن إلى الأمام ، وراقبت عيناه تحركات الدكتور (فايز) الحذرة ، نحو هاتف الفيديو ، وهو يقول ببروده المخيف :

- أعلم هذه الحقائق جيدًا .

هتف به الدكتور (فايز) فى عصبية :

- أنت لست أحد رجال الأمن .. أرنى هويتك .. أنت محتال .

هرعت إليه زوجته فى قلق ، قائلة :

- (فايز) .. ماذا يحدث ؟! لماذا تصرخ على هذا الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى تلك الملامح الباردة ، لرجل الأمن الزائف ، الذى أخرج يده من جيب معطفه ، قائلاً :

- ها هى ذى هويتى .

اتسعت عينا الدكتور (فايز) وزوجته ، مع مرأى ذلك السلاح العجيب ، الذى برز فى قبضة رجل الأمن الزائف ..

وانطلقت من حلق زوجته صرخة رعب ..

رعب لم ينبت من مرأى السلاح ..

ولكن من هيئة اليد ، التى تمسك به ..

تلك اليد الخضراء ، المكسوة بحراشيف صغيرة دقيقة ، والتى ترتبط أصابعها بأغشية رقيقة ، كتلك التى تبدو فى أيدى الضفادع ..

ومع صرخة الزوجة ، ضغطت السبّابة الخضراء الرفيعة زناد السلاح ..

وانطلقت كرتا نار صغيرتين ..

ودوى انفجاران مكتومان ..

وطار جسدا الدكتور (فايز) وزوجته ، قبل أن يسقطا جثتين هامدتين ، فى منتصف الصالة ..

وفى هدوء عجيب ، تقدّم ذلك المخلوق من جثة الدكتور (فايز) ، وانحنى يغرس أظفاره فى ذراع الرجل، وينتزع منها قطعة صغيرة من اللحم ، تطلّع إليها لحظة ، ثم دسّها فى جهاز خاص ، معلّق بحزامه ..

وفى بطء ، راحت ملامحه تتبدّل وتتغيّر ، على نحو عجيب ..

حتى قامته الطويلة ، انكمشت رويدًا رويدًا ، وراح جسده النحيل يتمدّد ويتمدّد ، ونبت من رأسه شعر أشيب قصير ، و ...

وما هى إلا دقائق سبع ، حتى أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا ..

شخص يحمل كل ملامح وسمات ذلك العالم ، الذى توسّد أرض الصالة جثة ساكنة هامدة ..

ملامح الدكتور (فايز) ..

بكل التفاصيل الشكلية ..

والفعلية ..

★ ★ ★

انبعث خيط رفيع دقيق من الليزر ، من جهاز

الفحص الأمنى ، فى مركز الأبحاث العلمية ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، ليفحص قزحية عين الرجل الواقف أمامه فى ثبات ، قبل أن يخرج منه صوت آلى جاف ، يقول :

ـ تم التحقق من الشخصية ، يسمح بالدخول .

لم تكد العبارة الآلية تنتهى ، حتى انزاح باب المعمل الخاص فى هدوء ، ودون أدنى صوت ، ليكشف قاعة واسعة، انهمك داخلها ثلاثة من العلماء ، فى دراسة عينة تلك المادة المجهولة ، وقطع البلّور النقى ، التى تم العثور عليها ، فى موضع إصابة (سلوى) ..

وما إن عبر الرجل باب القاعة ، حتى أُغلق الباب من خلفه بنفس الهدوء ، فى حين أدار أحد العلماء الثلاثة عينيه إلى القادم ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ دكتور (فايز) ؟! ما الذى أتى بك ، فى هذه الساعة المتأخرة ؟!

بدا له الدكتور (فايز) باردًا كآلة تمشى على قدمين، وهو يتجاهل السؤال تمامًا ، مديرًا عينيه فى القاعة ، وكأنما يراها لأوّل مرة ، قبل أن يتوقّف بصره عند آلة المراقبة ، ويتطلّع إليها فى اهتمام بالغ ..

وفى حيرة ، راح العلماء الثلاثة يتابعونه ، وهو يتجه نحو آلة المراقبة مباشرة ، وقال آخر فى توتر :

ـ أهناك ما يمكننا أن نقدّمه لك يا دكتور (فايز) ؟!

وتضاعفت دهشتهم ، عندما خرج صوته من بين شفتيه جافًا خشنًا بخلاف المعتاد ، وهو يقول فى غلظة :

ـ واصلوا عملكم .

تبادل العلماء الثلاثة نظرة بالغة التوتر ، وغمغم أحدهم ، ويده تمتدّ فى حذر إلى زر الإنذار :

ـ دكتور (فايز) .. ماذا أصابك ؟!

لم تكد عبارته تنتهى ، حتى قفز الدكتور (فايز) قفزة عالية ، تتجاوز المترين ارتفاعًا ، ليهوى بقبضته على آلة المراقبة ..

ومع عنف الضربة ، انفجرت آلة المراقبة ، وشهق العلماء الثلاثة فى رعب هائل ، وهم يتراجعون فى سرعة ، فى حين قفز أحدهم يضغط زر الإنذار صارخًا :

ـ النجدة ! النجدة !

أما زميلاه ، فقد هوى قلباهما بين ضلوعهما ، وهما يحدقان فى الدكتور (فايز) ، الذى استطال جسده ، ونحل ، وتغيّرت ملامحه على نحو مخيف ..

وانطلقت من أحد العلماء الثلاثة صرخة قوية ، امتزجت برنين جهاز الإنذار المتصل ، وبذلك الصوت المكتوم ، الذى انبعث مع انطلاق ثلاث كرات نارية صغيرة ، من سلاح المخلوق الواقف أمامهم .

وفى نفس اللحظة ، التى هوى فيها العلماء الثلاثة جثثًا هامدة ، كان المخلوق غير البشرى يطلق كراته النارية فى كل مكان ، ليدمّر القاعة كلها ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

كان المخلوق غير البشرى يطلق كراته النارية فى كل مكان ، ليدمّر القاعة كلها ..

٧ ـ لمـــاذا ؟! ..

على الرغم من توتره الزائد ، وعصبيته المفرطة ، نهض الدكتور (جلال) ليصافح (نور) ، فى مكتب القائد الأعلى ، مغمغمًا :

ـ أهلاً أيها المقدّم .. لم أكن أتصوّر قط أننا سنلتقى مرة أخرى .. أعنى من خلال عمل رسمى .

أجابه (نور) فى رصانة :

ـ أما أنا فتسعدنى رؤيتك دائمًا يا سيّدى .

همهم الدكتور (جلال) بكلمات غير مفهومة ، وهو يعود إلى مجلسه ، فى حين بدا الرائد (أيمن) شديد التوتر ، وهو يصافح (نور) ، قائلاً فى ضيق واضح :

ـ مرحبًا بعودتك إلى الصفوف يا سيادة المقدّم .

أدهشته ابتسامة (نور) الرقيقة ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تتصوّر كم يسعدنى أن أتاحت لنا الظروف أن نعمل معًا .

ابتسم القائد الأعلى للباقة (نور) وذكائه ، فى حين بدت الحيرة على وجه الرائد (أيمن) ، وهو يسأل فى حذر :

- حقًا ؟!

ربت (نور) على كتفه ، دون أن يجيب ، ثم رفع عينيه إلى القائد الأعلى ، الذى أشار إليه ، قائلاً :

- اجلس أيها المقدم .. أنت تعلم ما حدث فى مركز الأبحاث بالتأكيد .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- الواقع أن ما حدث يدهشنى ، ويثير حيرتى إلى أقصى حد يا سيدى ؛ فأنا أعلم جيدًا أن إجراءات الأمن فى مركز الأبحاث محكمة ودقيقة للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح المعتدى فى الدخول والخروج ، دون أن نظفر به فى الحالتين .

لوّح الدكتور (جلال) بذراعه فى عصبية ، وهو يقول :

- لست أدرى كيف فعلها ذلك الشىء ، ولكنه اجتاز كل إجراءات الفحص ، والتحقق من الشخصية ، باعتباره الدكتور (فايز) ، أحد علماء الصفوة ، الذين يحملون بطاقات خاصة ، تتيح لهم بلوغ المستويات الأمنية العليا فى المركز ، أما بالنسبة للخروج ، فلم تكن هناك مشكلة ؛ فقد انطلقت

صفارات الإنذار ، معلنة حدوث أمر طارئ ، وسجلت أجهزة الرصد الداخلية حدوث انفجارات واشتعال نيران ، وفى هذه الحالة يتم السماح للجميع بالخروج على الفور ، إذ ليس من المنطقى أن أوقف شخصًا مذعورًا ، يعدو للفرار من خطر ما ، لأطالبه بإبراز هويته ، وإثبات شخصيته ، قبل أن أسمح له بالخروج .. أضف إلى هذا أننا نفترض أن كل من أمكنه تجاوز إجراءات الأمن للدخول ، هو شخص لا يمكن منعه من الخروج ، إلا فى ظروف محدودة للغاية .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- مهلاً يا دكتور (جلال) .. لماذا أشرت إلى المعتدى بكلمة (ذلك الشىء) ، وليس (ذلك الشخص) ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- ملحوظة عبقرية يا (نور) ، ولكن إجابة سؤالك تحتاج إلى مشاهدة ما حدث فى المعمل ، وليس مجرد سماع جواب تقليدى .

هتف به (نور) فى انفعال :

- وهل تم تسجيل ما حدث بالفعل ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

- المعتدى بدأ بتحطيم كاميرا المراقبة ، فى الركن

البعيد للقاعة ، ويبدو أنه لم ينتبه إلى وجود أخرى تجاور الباب تمامًا .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يضغط زرًا على سطح مكتبه ، فأظلمت الحجرة فى بطء ، قبل أن يبدأ عرض فيلم هولوجرافى مجسم ، على شاشة بلورية كبيرة .

واتسعت عينا الرائد (أيمن) ، الذى بدا مبهوتًا بمتابعة ما يحدث ، فى حين التقى حاجبا (نور) ، وهو يراقب كل همسة تنقلها الشاشة البلورية الكبيرة.

كان كل شىء يبدو ، بالنسبة إليه ، مبهرًا مخيفًا ، غامضًا ، على الرغم من أنه يراه بعينيه ..

ومن المؤكد أن تلك اللحظات ، التى استعاد فيها المخلوق هيئته ، وانسلخ من هيئة الدكتور (فايز) ، قد جذبت انتباهه واهتمامه بشدة ..

وكذلك كرات النار ، التى انطلقت من السلاح العجيب ، وتفرقت ، لتنقض كل منها على ضحيتها ، وكأنما تعرف هدفها بالضبط ..

نفس ما يحدث منذ البداية ، وإن اختلفت الصورة فى كل مرة ..

نيزك مموه ، يخترق الغلاف الجوى ككرة هائلة من

النار ، هابطًا نحو الصحراء الغربية ، ثم لا يلبث أن يختفى ويتلاشى ، وكأن لا وجود له ..

وكرات من النار تطارد رفاقه ، بشراسة وإصرار عجيبين ، وبهدف محدد مسبقًا ، لا تحيد عنه أبدًا ..

وأخيرًا تلك الكرات النارية الصغيرة ، التى يطلقها سلاح المخلوق الفضائى المخيف ..

دائمًا تعرف كرة النار هدفها ..

ودائمًا ما تظفر به ..

دائمًا ..

أضيئت أنوار الحجرة مرة أخرى ، لتنتزعه من أفكاره ، والدكتور (جلال) يقول فى عصبية شديدة :

ـ هذا يضع النقاط كلها فوق الحروف ، ويجعل الصورة واضحة ، لا شك فيها .. إنه مخلوق من الفضاء الخارجى ، لديه قدرة مدهشة على التحور ، وانتحال هيئة من يريد ، و ..

قاطعه (نور) فى اهتمام :

ـ مهلا يا سيدى .. لو أن ذلك المخلوق يمتلك مقدرة التحول الحربائية هذه ، فلماذا لجأ إلى كل هذه التعقيدات ، ليحصل على المعلومات من (سلوى) و (رمزى) :

أجابه القائد الأعلى :

- ربما كانت هذه خطوته القادمة يا (نور) ؛ فلو أنه انتحل هيئة أحدهم ، لافتقر إلى شفرة الدخول ، وباقى المعلومات اللازمة .

سأله (نور) ، وعقله يعمل بسرعة رهيبة :

- لماذا لم يلجأ إلى الأسلوب نفسه ، الذى لجأ إليه ، مع الدكتور (فايز) إذن ؟! كان هذا كفيلاً بحسم الأمر ، على نحو أكثر سرعة ودقة ، بدلاً من إصابة أفراد الفريق ، واحدًا بعد الآخر ، ثم حقنهم فى أثناء غيبوبتهم بمصل الحقيقة ، للحصول على المعلومات اللازمة ..

وتنهد ، وهو يهز رأسه ، مستطردًا :

- كلاَّ .. هناك نقطة غامضة مفقودة .

قال الرائد (أيمن) :

- إنه يريدهم أحياء لسبب ما أيها المقدم .. ربما يحتاج إلى هذا ، فى مرحلة متقدمة من الخطة .

رفع (نور) سبابته ، قائلاً :

- هنا يتبقى السؤال نفسه .. لماذا ؟! لماذا يحتاج

إليهم فى مرحلة قادمة ؟! لماذا تصبح لهم ، أو لنا جميعًا أهمية ما ، تحتم بقاءنا على قيد الحياة ؟! ثم دعنا نطرح سؤالاً آخر .. لماذا لم يتحرك فور معرفته للبيانات السرية ، التى انتزعها من (رمزى) و (سلوى) .. لماذا لم ينتحل هيئة أحدهم ، كما فعل مع الدكتور (فايز) (رحمه الله) ، ويقتحم مقر الفريق ، ليحصل على كل ما يريد ؟! لماذ ؟!

قال الدكتور (جلال) :

- من المؤكد أنه لن يكون من المنطقى أن يذهب (رمزى) إلى مقر الفريق ، والكل يعلم أنه مصاب بغيبوبة عميقة فى المستشفى العسكرى .

قال (نور) :

- بالضبط ، وهذا سيعيدنا إلى السؤال الأول .. لماذا لم يفعل ما فعله مع الدكتور (فايز) ؟!

غمغم الرائد (أيمن) فى عصبية :

- إننا بهذا ندور فى حلقة مفرغة أيها المقدم ، فالشىء الوحيد المؤكد لدينا ، هو قدرته على انتحال أية هيئة يريد .

أجابه (نور) فى حزم :

- دعنى أخالفك القول يا صديقى ، فما فعله ذلك المخلوق لم يكن مجرد انتحال هيئة شخص ما ، بل هى عملية إعادة بناء كاملة لذلك الشخص ، بكل تفاصيله ، وسماته الخارجية والداخلية ؛ فلقد تم فحص بصمات أصابعه ، وبصمة قزحيته ، وتوزيع مسامه العرقية ، وجاءت النتائج كلها إيجابية تمامًا ، إلى الحد الذى خدع كمبيوتر الأمن ، المجهز لكشف أية محاولة تزييف ، حتى ولو بلغت الواحد فى كل مائة ألف ، وهذا يعنى أن ذلك المخلوق ، عندما خضع لإجراءات الأمن ، كان نسخة طبق الأصل من الدكتور (فايز) .

هتف الدكتور (جلال) :

- يا إلهى ! هذا صحيح .. كيف لم أنتبه إليه على الفور ؟!

أما القائد الأعلى ، فقد مال للأمام ، ليسأل (نور) فى اهتمام بالغ :

- وكيف أمكنه هذا فى رأيك يا (نور) ؟!

أجاب (نور) ، ووجهه ما زال يحمل إمارات التفكير العميق :

- فى أثناء قدومى إلى هنا ، راجعت على كمبيوتر

السيارة تقرير الفحص الجنائى الأول ، لجثة الدكتور (فايز) ، والذى جاء فيه أن قطعة صغيرة من لحم ذراعه اليمنى قد تم انتزاعها ، ولم يُعثر لها على أثر .

غمغم الدكتور (جلال) فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

تحرك (نور) فى الحجرة ، قائلاً فى حسم :

- يعنى أنه احتاج إلى عينة من الدكتور (فايز) ، حتى يمكنه انتحال هيئته ونسخ تكوينه الخلوى ، وضفيرته الجينية على نحو ما ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الجميع يحدقون فيه بدهشة وتوتر ، قبل أن يهتف القائد الأعلى :

- ماذا هناك يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) بانفعال جارف ، وهو يقول :

- الجينات .. البصمة الجينية .. هذا تفسير كل شىء .

سأله الرائد (أيمن) ، فى حيرة كبيرة :

- ماذا تعنى أيها المقدم ؟!

غلب الانفعال (نور) ، وهو يتحرك فى الحجرة ، مجيبًا :

ـ ذلك المخلوق يجيد استغلال البصمات الجينية إلى حد مدهش .. لقد استخدمها لينسخ فى جسده كل صفات وسمات الدكتور (فايز) ، واستخدمها من قبل فى قذائفه الموجهة .

كاد القائد الأعلى يقفز من خلف مكتبه ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! هل تعنى أن .....

غلبه الانفعال ، فلم يستطع إتمام عبارته ، فى حين تابع (نور) فى حماس :

ـ هذا هو التفسير العلمى والمنطقى ، لإصرار كرات النار على مطاردة ضحية بعينها ، بكل العنف والشراسة .. لهذا تجاهلت (نشوى) ، وواصلت مطاردة (رمزى) ، حتى ظفرت به .. ولهذا أيضًا تفادتها ، بانحناءة سريعة قوية ، لتكمل مطاردة (سلوى) فى المنزل .. لأنها تتعقّب بصمة جينية بعينها .. بصمة لا تتشابه مع أية بصمة أخرى ، فى الكون كله .. هذا أيضًا تفسير تزايد سرعتها ،

وارتباطها بالجسم الذى تطارده ، وتفسير تغيير ألوانها ، كلما اقتربت أو ابتعدت عن الهدف ، الذى تمت برمجتها للانقضاض عليه .

كان الدكتور (جلال) يستمع إليه مبهوتًا ، ثم لم يلبث أن تمتم :

ـ يا إلهى ! لدينا بالفعل مشروع لإنتاج قذائف موجّهة ، تعتمد على تعقّب البصمة الجينية ، ولكن أقصى ما نحلم به هو أن ننجح فى دفعها إلى تعقّب فصائل حيوانية بعينها ، مثل الأسود أو النمور أو حتى الحيتان ، ولكننا لم نتخيّل قط أن الأمر يمكن تطويره ، بحيث تتعقّب بصمة جينية لشخص بالتحديد .. هذا يفوق أكبر طموحاتنا .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ ويعنى أن خصمنا ، أيًا كانت هويته ، يفوقنا علمًا وتقدّمًا بعدة مراحل .

غمغم (نور) ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ ولكن على النهج نفسه .

سأله (أيمن) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى أيها المقدّم ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ الواقع أنه لولا العنصرين المجهولين ، فى تلك التركيبة الكيماوية الغامضة ، لتصورت أن ..

بتر عبارته بغتة ، ليهتف فى انزعاج :

ـ ربّاه ! المادة الغامضة ! لقد كان هدفه من اقتحام مركز الأبحاث هو تدمير عينة المادة والبلّور النقى .

بدت الحيرة على القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ هذا ما يبدو واضحًا منذ البداية يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ ولكنه يعنى أنه سيسعى لتدمير العينات الأخرى أيضًا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ عينات أخرى ؟! أهناك عينات أخرى ؟!

انطلق (نور) يعدو فجأة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. توجد عينات أخرى هناك ..

وغادر الحجرة كلها ، مضيفًا بكل قلق الدنيا :

ـ فى المستشفى ..

تبادل الرجال الثلاثة نظرة ملؤها الذعر والانزعاج ، وقد أدرك كل منهم ذلك الخطر ، الذى سيبرز أنيابه هناك ..

فى المستشفى العسكرى ..

★ ★ ★

ارتسمت أمارات الجدية والاهتمام على وجه الدكتور (يحيى) ، وهو يراجع نتائج فحص وتحليل المواد الكيماوية ، التى تم استخلاصها من بشرة ودماء (رمزى) و (سلوى) و (أكرم) ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى توتر ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! هناك خطأ ما حتمًا !

فركت (نشوى) عينيها بأصابعها فى إرهاق ، وهى تسأله :

ـ أى خطأ ؟!

دقّ التقرير بسبّابته فى عصبية ، مجيبًا :

ـ خبراء المعامل عجزوا عن تحليل المادة المستخلصة من البشرة ، ويؤكدون أنها تحوى عنصرين مجهولين .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ عنصرين مجهولين ؟! هذا مستحيل ! لا توجد أية عناصر مجهولة فى زمننا هذا .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط ، وهذا ما يؤكد وجود خطأ ما .

مدّت يدها إليه ، قائلة :

ـ دعنى ألق نظرة .

ناولها التقارير ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن أجهزتكم مصابة بخلل ما .. عناصر مجهولة ؟! يا للسخافة !

بدا عليها القلق والحيرة ، وهى تراجع التقارير ، مغمغمة :

ـ ولكن كل شىء يبدو سليمًا للغاية .. لقد تم فحص عينة البشرة والدم أربع مرات ، باستخدام أحدث وأدق أجهزة التحليل والكمبيوتر فى المعامل العسكرية ، وجاءت النتيجة واحدة فى كل مرة .. ثم تعرّف مادة (بنتوثال الصوديوم) ، فى دماء أمى و (رمزى) ، مع مادة كيماوية أخرى ، ذكروا تركيبها بمنتهى الدقة ، أما عينات البشرة ، فقد حوت مادة مجهولة ، تتكوّن من الكربون والفسفور والصوديوم والنيتروجين ، بالإضافة إلى عنصرين غير معروفين .

لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ هراء .. ذلك الجزء الأخير هراء فى هراء ..

كلنا نعلم أن عناصر الطبيعة كلها معروفة ، ومرتّبة بمنتهى الدقة فى الجدول الدورى الحديث .

حدّقت (نشوى) فيه لحظة ، قبل أن تقول فى شىء من الذعر :

ـ ربّاه ! أتدرك ما يعنيه هذا ؟!

هتف فى حنق :

ـ يعنى أن رجال المعمل غير أكفاء للقيام بعملهم .

قالت فى عصبية :

ـ بل يعنى أن تلك المادة لم تأت من مصدر أرضى.

هتف بدهشة مستنكرة :

ـ لم تأت من ماذا ؟! ربّاه ! هل سنقفز إلى تلك التحليلات الخيالية مباشرة ؟! لا يا سيّدتى .. دعينا نتأكّد أوّلاً من أن أجهزة الفحص والتحاليل لديهم ليست مصابة بخلل ما .

ثم اختطف منها التقرير ، مستطردًا فى صرامة :

ـ سأراجع كل شىء بنفسى أوّلاً .

همّت بالنهوض لمصاحبته ، إلى المعامل الرئيسية ، إلا أنه أشار إليها فى حزم ، قائلاً :

ـ لا داعى.. الأمر لن يستغرق سوى نصف الساعة على الأكثر .. راجعى أنت تقارير الكمبيوتر ، وسأعود بأسرع ما يمكننى .

لم تكن ترغب فعليًا فى مصاحبته ، مع الإرهاق الشديد الذى تشعر به ، كما أنها كانت تحتاج بالفعل لمراجعة نتائج فحص الكمبيوتر ، لقوة التوصيل ، بين أمخاخ رفاقها الفاقدى الوعى ، وأطرافهم العصبية والحيوية ..

لذا فقد تركته يذهب وحده ، وانهمكت هى فى مراجعة النتائج ..

أما هو ، فقد حمل تقرير المعامل ، واتجه إليها فى حنق واضح ، ولم يكد يبلغ القسم الخاص بفحص وتحليل المواد الكيماوية ، حتى دفع بابه ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما الذى تعنيه هذه التقارير الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق ذاهلاً فى الشخص الطويل القامة ، ذى المعطف الداكن ، الذى وقف فى منتصف المعمل ، حاملاً سلاحًا عجيبًا ، وقد سقط رجال المعامل على قيد ثلاثة أمتار منه ، وقد احترقت صدورهم وظهورهم ، على نحو مخيف ..

وقبل أن ينبس الدكتور (يحيى) بحرف واحد ، استدار إليه ذلك الشخص الطويل فى بطء...

وانتفض جسد (يحيى) فى عنف ، وهو يتطلع إلى العينين الرهيبتين ، اللتين بدتا أشبه بعين ثعبان ، منهما بعيون البشر ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص ، المعلّق بحزامه ، والذى أعطاه إياه (نور) ، وانبعث منه صوت هذا الأخير ، وهو يهتف :

ـ دكتور (يحيى) .. هنا المقدّم (نور) .. أحط المعامل الرئيسية بحراسة مشدّدة ، وامنع أى شخص من الاقتراب منها ، واحتفظ بنتائج الفحص والتحاليل فى مكان آمن، حتى أصل إليك، على وجه السرعة .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعنى يا دكتور (يحيى) ؟!

ارتسمت ابتسامة باردة ، على شفتى ذلك الشخص الطويل ، عندما بلغ هتاف (نور) مسامعه ، وارتفع سلاحه العجيب فى وجه الدكتور (يحيى) ، الذى أطلق شهقة مذعورة ، وتراجع بحركة حادة عنيفة ، و (نور) يهتف ، عبر جهاز الاتصال فى حزامه :

ـ هل تسمعنى يا دكتور (يحيى) ؟!

وضغط الطويل زناد سلاحه ..

وانطلقت كرة من النار ..

ومع دويها المكتوم ، انطلقت صرخة ألم رهيبة ، انتزعت معها الدكتور (يحيى)، واقتلعته من الأرض ، ليرتطم بباب المعمل الرئيسى ، ويسقط خارجه بمنتهى العنف ، وقد اشتعلت النيران فى صدره ..

وفى الوقت ذاته ، وإثر الارتطام والسقوط ، انطلقت صفارة الإنذار بصورة تلقائية ..

وفى مكتب (يحيى) ، انتفضت (نشوى) فى عنف ، وهبّت من مقعدها ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدّق عبر النافذة ، فى مبنى المعامل الرئيسية ، الذى انبعثت النيران من نوافذه ، وهتفت فى هلع :

- يا إلهى ! يا إلهى !

كان رجال الطوارئ والأمن يهرعون نحو المبنى ، الذى بدا وكأنما تعرّض لحادث مفاجئ ، ولكن عينيها التقطتا شخصًا طويل القامة ، على نحو مبالغ ، يسير فى الاتجاه المضاد ، مبتعدًا عن المبنى، فى هدوء عجيب ..

هدوء أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لموقف كهذا ..

وخفق قلبها ..

خفق بمنتهى العنف والذعر ، والخوف ، وهى تتابع مساره ..

كان يتجه نحو المستشفى مباشرة ..

ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تصرخ :

- يا إلهى ! أمى .. (رمزى) .. (أكرم) ..

ثم اندفعت نحو النافذة ، وفتحتها على مصراعيها ، وهى تشير إلى ذلك الشخص، صارخة بكل انفعالاتها :

- أوقفوا هذا الرجل .. إنه المسئول عن كل هذا .. أوقفوه .

كانت صرختها من القوة ، حتى إنها جذبت انتباه رجال الأمن ، الذين التفتوا إلى حيث تشير ، واستقرّ بصرهم على الطويل ، الذى استدار بدوره يواجههم ، فى بطء وهدوء ..

وشهقت (نشوى) فى رعب ، عندما رفع سلاحه فى وجوههم ..

وانطلقت كرات النار ..

وأمام عينيها المذعورتين ، أطاحت كرات النار بثلاثة من رجال الأمن ، اقتلعتهم من أماكنهم ، وألقت بهم لأربعة أمتار كاملة ، والنيران تشتعل فى صدورهم ورءوسهم ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، انطلقت أسلحة رجال الأمن كلها ، نحو ذلك الطويل ، الذى تلقى الرصاصات وأشعة الليزر فى جسده ، دون أن تتحرك قدماه قيد أنملة ..

كانت خيوط الأشعة والرصاصات ترتطم بجسده ، ثم ترتد عنه فى عنف ، كما لو أنه يرتدى درعًا قوية ..

وفى الوقت نفسه ، كانت كرات النار تنطلق من سلاحه ، لتطيح بالمزيد والمزيد من رجال الأمن ، الذين اتجهوا بنيرانهم إلى رأس خصمهم ، وقد أيقنوا من أن درعًا ما يحمى جسده كله ..

ولكن النتائج جاءت مخيفة ..

وإلى أقصى حد ..

فكما حدث مع الجسد ، ارتدت خيوط الأشعة والرصاصات عن الوجه أيضًا ..

ولكن البشرة الصناعية ، التى تحيط بالوجه ، لم تحتمل كل هذا ..

فتمزقت ..

وتساقطت ..

وكشفت ذلك الوجه المخيف ..

الوجه غير البشرى ..

وجه أخضر ، تغطيه حراشيف صغيرة ، بلا أنف ، تتوسطه عينان أشبه بعيون الثعابين ، حمراء كالدم ..

ومع مرأى ذلك الوجه الرهيب ، تجمد المشهد كله لحظة ، حدق خلالها الجميع فى المخلوق المخيف ، الذى قطع الجمود بكرتين ناريتين ، أطلقهما من سلاحه ، واقتلع بهما رجلى أمن آخرين ..

وهنا عاد الجميع يطلقون أسلحتهم مرة أخرى ، وإن راحوا يتراجعون على نحو منتظم ، وقد خامرهم شعور باليأس ، من القضاء على خصمهم ، أو الانتصار عليه ..

ثم فجأة ، ظهر (نور) ..

كان ينطلق بسيارته كالصاروخ ، متجاوزًا مدخل المستشفى العسكرى ، ومتجهًا نحو ذلك المخلوق مباشرة ..

وفى بطء ، استدار إليه الفضائى ، وصوب نحوه سلاحه ..

وانطلقت كرة النار ..

وفى نفس اللحظة ، وبمنتهى البراعة والدقة ،

وثب (نور) خارج السيارة الجديدة ، التى تحمل شعار إدارة المخابرات العلمية ..

وأصابت الكرة السيارة ..

ودوى الانفجار ..

واشتعلت النيران فى السيارة ، التى واصلت اندفاعها ، نحو المخلوق مباشرة ..

ثم ارتطمت به ..

وبمنتهى العنف ..

ومع ارتطامها ، دوى انفجار آخر ..

انفجار بالغ القوة والعنف ، ارتجّت معه مبانى المستشفى كلها ، واختلّ معه توازن (نشوى) ، فسقطت أرضًا ..

وعندما عاودت النهوض ، لمحت عيناها ذلك الوهج الأزرق ، الذى انطلق وهلة ، فى ممر قسم الحالات الخاصة ، ثم خبا بسرعة ..

واتسعت عيناها فى هلع ، وهى تعدو نحو حجرات العناية الخاصة ، صارخة :

ـ لا .. مستحيل ! مستحيل !

كان هناك طبيب وممرضتان وثلاثة من العمال ،

ملقون فى ممر القسم ، وقد اسودّت أجزاء من معاطفهم البيضاء ، فى مواضع إصابتهم ..

وفى نهاية الممر ، كان هناك رجل فى ثياب عادية ، يدس سلاحًا عجيبًا فى سترته ، وينحرف ليختفى عند سلم الطوارئ ..

وبكل هلعها وجزعها ورعبها ، وثبت (نشوى) إلى حجرة أمها ، هاتفة :

ـ ربّاه ! أخشى أن ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما وقع بصرها على وجه أمها ، الراقدة فى سكون على فراشها الصغير ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

أقوى صرخة رعب ، انطلقت فى ذلك المستشفى ، منذ منشئه ..

أو منذ الأزل .

★ ★ ★

٨ ـ المفاجأة ..

عبر الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، ممر المستشفى العسكرى ، فى خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يلمح (نور) ، فى قسم العناية الخاصة ، حتى اتجه نحوه مباشرة ، وهو يقول :

ـ كيف حالهم يا (نور) ؟!

قلب (نور) كفيه فى توتر حائر ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ماذا أصابهم بالضبط يا دكتور (حجازى) ! لقد رفضت بإصرار أن يمسّهم أى مخلوق ، قبل أن تفحصهم بنفسك .

قال رئيس القسم فى عصبية شديدة :

ـ لست أدرى كيف يفكّر رجل المخابرات العلمى هذا بالضبط ! المستشفى متخم بكبار الأطباء ، فى مختلف التخصصات ، ولكنه يصرّ على ألا يفحص رفاقه سوى طبيب موتى .

ارتسمت ابتسامة رصينة على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ لو أن هذه كل معلوماتك عن الطب الشرعى ، فأنصحك بإعادة دراسته أيها الطبيب ، وستكشف أن تعاملاته مع الأحياء تفوق بكثير تلك التى يقوم بها مع الموتى .

انعقد حاجبا رئيس القسم فى توتر غاضب ، ولكن الدكتور (حجازى) تجاهل هذا ، وهو يربّت على كتف (نور) ، قائلاً :

ـ هيّا يا (نور) .. دعنا نفحص رفاقك أولاً ، قبل أن نتعامل مع ذلك المخلوق ، الذى قتلته بسيارتك .

كانت (سلوى) راقدة على فراشها ، فى سكون وصمت تامين ، وأجهزة الفحص ، التى تتصل بجسدها تنقل معدّلات نبضها ، وتنفسها ، وإشارات مخها وأطرافها ، إلى عدد من الشاشات المحيطة بها ، فى حين جلست (نشوى) عند قدميها ، شاحبة الوجه ، زائغة العينين، ودموعها تسيل على وجنتيها فى صمت ..

الشىء الوحيد ، الذى تغيّر عن ذى قبل ، هو أن وجه (سلوى) وأطرافها كانت مغطاة بطبقة وردية باهتة ، كما لو أنها قد احترقت بفعل إشعاع حار قوى ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ عندما انشغل الجميع بقتال ذلك المخلوق ، الذى قتلته سيارتى ، كان شريك له يتسلل إلى هنا ، ويقتل بعض الأطباء والممرضات ، والعاملين بالمستشفى ، ثم يفعل هذا بـ (سلوى) و (رمزى) و (أكرم) .. العجيب أن أجسادهم قد احترقت على هذا النحو ، على الرغم من أن كل الآلات والأجهزة والمعدات هنا لم تمسّ بأدنى سوء .

قال الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وهو يرتدى قفازه المطاطى :

ـ هذا أمر طبيعى .

أدارت (نشوى) عينيها إليه فى دهشة ، فى حين غمغم (نور) فى عصبية :

ـ طبيعى ؟!

أزاح الدكتور (حجازى) تلك الطبقة الوردية بسبّابته ، عن وجه (سلوى) ، وهو يقول :

ـ ما ترونه أمامكما ظاهرة طبيعية ، تحدث عند تعريض الجسد البشرى للأشعة فوق البنفسجية ، التى تؤدى إلى احتراق الطبقة الخارجية الرقيقة من البشرة ، والتى تتحوّل إلى تلك النخالة الوردية ، التى يمكن نفضها عن الجسد ، دون أدنى ضرر .

هتفت (نشوى) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ احتراق البشرة ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا فى قلق :

ـ هل يمكنك مراجعة نتائج الفحوص والتحاليل على الكمبيوتر ؟!

أجابته فى حيرة متوترة :

ـ بالطبع ، ولكن ..

قاطعها فى حزم صارم :

ـ ابدئى عملك على الفور .

التقطت حقيبتها الوردية الصغيرة ، ونقلت جهاز الكمبيوتر الخاص بها إلى منضدة قريبة ، وراحت توصله بمصدر التيار الكهربى ، فى حين سأل الدكتور (حجازى) (نور) فى اهتمام :

ـ ما الذى يدور فى ذهنك يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء يا سيّدى ..

فمن الواضح أنها محاولة لمحو كل ما يتعلق بتلك التركيبة الكيماوية الغامضة ، التى سببت كل هذا .. أولاً نسف معمل مركز الأبحاث ، ومحو كل المعلومات من أجهزة الكمبيوتر هناك، ثم إصابة المعامل الرئيسية هنا ، وتدمير عينة المادة والبلّور النقى، وأخيرًا حرق الطبقة الخارجية الرقيقة من بشرة (رمزى) و(سلوى) و(أكرم) ، لإزالة كل أثر للمادة .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ ألا يمكن الحصول على عينة منها ، عن طريق الدم ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسف :

ـ من العجيب أنها لا تترك أثرًا كافيًا فى مجرى الدم ، وكأنما يتمّ امتصاصها من البشرة إلى الألياف العصبية مباشرة ، و ...

هتفت (نشوى) ، فى هذه اللحظة :

ـ ربّاه !

التفت إليها الاثنان فى تساؤل ، فأكملت متوترة :

ـ لقد تم محو كل النتائج ، من الكمبيوتر الرئيسى للمستشفى .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يقول :

ـ كنت أتوقّع هذا .

قال الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ ولكن لو أن تلك المادة تحوى بالفعل عنصرين مجهولين ، فلماذا يسعى أى كائن لمحو كل أثر لها ؟! الطبيعى أننا لن نتوصّل لكشف أمرها ، أو دراستها قط ، إلا إذا توصّلنا إلى طبيعة العنصرين المجهولين .

غمغمت (نشوى) :

ـ ربما يحاول منعنا من التوصّل إلى هذا فى المستقبل .

انعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، وكأنما جذبت عبارتها اهتمامه إلى أمر ما ، ولكنها انتزعته من أفكاره ، عندما هتفت فجأة :

ـ ربّاه ! هناك تلك المادة الأخرى .

سألها (نور) فى لهفة :

ـ أية مادة ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ المادة التى تم حقنها ، مع (بنتوثال الصوديوم)، والتى نعتقد أنها أخرجتهم مؤقتًا من تلك الغيبوبة .

سألها (نور) :

- هل تم تدمير كل ما يتعلق بها أيضًا ؟!

تراجعت متمتمة فى مرارة :

- للأسف .

ولكن الدكتور (حجازى) قال فى حماس :

- إنها ما زالت تسرى فى دمائهم على الأقل .

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا :

- اطلبى من الأطباء الحصول على عينة دم ، من كل منهم ، وسأقوم بفحص هذه العينات بنفسى ، فى معامل الطب الشرعى .

قالت (نشوى) فى حماس :

- سأفعل على الفور .

ربت الدكتور (حجازى) على كتف (نور) ، قائلاً:

- أما أنت يا بطل ، فانفض عن ذهنك كل التوترات، واطمئن إلى أن زوجتك لم تفقد حملها ، على الرغم من كل ما أصابها ، وهيا بنا لنؤدى الجزء الأكثر صعوبة من المهمة .

تساءل (نور) فى حذر :

- الجزء الأكثر صعوبة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى حزم :

- نعم .. سنقوم بفحص ضحيتك.. ضحيتك الفضائية .

★ ★ ★

طرق الدكتور (ياسر) باب مكتب رئيس إدارة الاتصالات الفضائية فى انفعال واضح ، ثم دفعه ، ودلف إلى الحجرة ، قبل أن يسمع رد رئيسه ، الذى رمقه بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- دكتور (ياسر) .. أما زلت تصرّ على أسلوبك هذا ؟!

بدت الحيرة على وجه الدكتور (ياسر) ، وهو يغمغم :

- أى أسلوب ؟!

تنهّد رئيسه فى نفاد صبر ، وهو يقول :

- لا عليك .. لا عليك .. أخبرنى ماذا لديك .

أشار الدكتور (ياسر) إلى التقرير الذى يحمله ، قائلاً :

- لقد راجعت تلك الإشارة بنفسى عدة مرات ، وأخشى أن النتائج ستكون مخيبة لأملك إلى حد كبير .

امتقع وجه رئيسه ، وهو يقول :

- مخيبة لأملى ؟! ماذا تعنى ؟!

ثم اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع، مستطردًا :

- أهى .. أهى إشارات غزو ؟!

نافسته عينا الدكتور (ياسر) فى اتساعهما ، وهو يهتف بدهشة مستنكرة :

ـ غزو ؟! إطلاقًا !

قال رنيسه فى عصبية :

ـ ولكنك أكدت أنها قادمة من الفضاء البعيد .

خفض الدكتور (ياسر) عينيه فى أسف خجول ، وهو يقول :

ـ هذا ما بدا فى البداية .

ثم استطرد فى توتر :

ـ ولكن أى عالم فى موضعى كان سيقع فى الخطأ نفسه .

سأله رنيسه فى توتر وحدة :

ـ أى خطأ ؟!

ازدرد الدكتور (ياسر) لعابه فى ارتباك ، وهو يجيب :

ـ الإشارة تم إطلاقها من هنا .. من الأرض ، باستخدام جهاز اتصال ليزرى متطور للغاية ، بحيث انعكست على أحد النجوم البعيدة ، وارتدت على نحو يوحى بأنها آتية من الفضاء البعيد .

بهت رنيسه للجواب ، وسأله فى انفعال :

ـ أتعنى أنها مجرد خدعة ؟!

هتف الدكتور (ياسر) فى حدة :

ـ خدعة سخيفة ، قام بها شخص غير مسئول ، ليوحى لنا بأننا نتلقى إشارات منتظمة من الفضاء .. مهزلة قذرة ، منحتنا الأمل فى إجراء اتصال مباشر ، مع حضارة عاقلة جديدة ، ثم خيب آمالنا فى عنف .

هتف رنيسه :

ـ أهذا ما تقصده بتخييب الأمل ؟!

قالها ، وانطلق يقهقه فى مرح عصبى ، جعل عينا الدكتور (ياسر) تتسعان فى دهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ سيدى .. ما المضحك فى هذا ؟!

التقط رنيسه سماعة هاتف الفيديو ، وهو يقول :

ـ لن يمكنك أن تتصور ما فعلته بنا يا رجل .. لقد عشنا الساعات الماضية فى رعب هائل ، متصورين أننا قد صرنا هدفًا لمحاولة غزو فضائية جديدة .

ظهر وجه الدكتور (جلال) فى تلك اللحظة ، على شاشة هاتف الفيديو ، فاستطرد رنيس إدارة الاتصالات الفضائية ، فى شىء من المرح :

ـ إنذار كاذب يا سيدى .. الإشارة التى تم التقاطها مجرد إشارة منعكسة ، بثها شخص ما من الأرض .. إنها ليست مقدمة غزو ، كما كنا نتصور .

سأله الدكتور (جلال) فى حزم ، دون أن يشاركه مرحه :

ـ وهل توصلتم إلى فحوى الرسالة ؟!

غمغم رئيس إدارة الاتصالات الفضائية فى توتر :

ـ قلت لك : إنها مجرد إشارة منعكسة ، و ...

كرر الدكتور (جلال) فى صرامة :

ـ هل توصلتم إلى فحواها ؟!

انقلبت ملامح رئيس الإدارة فى ضيق ، وهو يدير عينيه إلى الدكتور (ياسر) ، قائلاً فى عصبية :

ـ هل بذلتم شيئاً من الجهد ، لفك رموز تلك الرسالة المنعكسة ؟!

أجابه الرجل فى حماس :

ـ إنها لم تكن تستخدم شفرة معقدة ، كما كنا نتصور ، وإنما تستخدم نطاقاً ثنائياً بسيطاً ، و ...

قاطعه رئيسه ، فى عصبية أشد :

ـ هل عرفتم فحواها ؟!

أومأ الدكتور (ياسر) برأسه ، قائلاً :

ـ بالطبع ، ولكننى أعتقد أن الأمر لم يعد مجدياً الآن .. وعلى أية حال ، فهى عبارة بسيطة ، تقول : « كل شىء معد .. نحن فى انتظاركم » .

اتسعت عينا رئيسه عن آخرهما ، عندما سمع العبارة ، وفهم مغزاها على الفور ..

وبمنتهى العنف ، هوى قلبه بين قدميه ..

دفعة واحدة ..

★ ★ ★

رفع قائد فريق البحث منظاره المقرب ، المزود بجهاز الرؤية الليلية ، إلى عينيه ، وسيارة (الجيب) القوية تنطلق به ، على رمال الصحراء الكبرى ، وقال يملى جهاز التسجيل الخاص ، المتصل بكمبيوتر السيارة :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وعشر .. تم توسيع نطاق البحث ، إلى دائرة نصف قطرها كيلومترين كاملين ، فى المرحلة الثالثة من العملية .. لا توجد أية آثار للسقوط أو الارتطام .. كل شىء يبدو عادياً .. الرادار لم يسجل سوى وجود الصخور التقليدية ، وجبال الرمال .

تنحنح قائد السيارة ، وهو يسأله فى حذر :

- هل تعتقد أن هذا يمكن أن يقودنا إلى شيء يا سيدى ؟!

مطّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

- إننا نؤدّى واجبنا فحسب يا رجل .

هزّ السائق كتفيه ، قائلاً :

- ولكن الأمر واضح تمامًا يا سيدى .. لقد انفجر ذلك الشيء ، قبل أن يبلغ الأرض ، وتحوّل إلى مئات الشظايا الصغيرة ، التى انتشرت فى المنطقة ، والتى مررنا بها حتمًا ، دون أن تلفت انتباهنا .

هزّ قائده رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مستحيل يا رجل ! لو أن ذلك الجسم قد انفجر ، فى أية مرحلة من مراحل هبوطه ، قبل أن يبلغ رمال الصحراء ، لالتقطت أجهزة المتابعة صدى انفجاره حتمًا ، ولترك أثرًا فى الرمال ، على نحو أو آخر .

قال السائق فى توتر :

- ربما انفجر على ارتفاع كبير .

أجابه قائده فى حزم :

- ولماذا لم تلتقط الأجهزة التى تابعت هبوطه ذلك الانفجار المزعوم إذن ؟!

وعاد يرفع منظاره إلى عينيه ، مستطردا فى حزم أكبر :

- كلاّ يا رجل .. ذلك النيزك لم ينفجر حتمًا ، لا على مسافة كبيرة ، أو حتى ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يرتفع عن مقعده فى حركة حادة ، هاتفًا :

- أوقف السيارة يا رجل .. أوقف السيارة .

ضغط السائق فرامل السيارة بحركة آلية ، فتوقفت على نحو مباغت ، كادت عجلة القيادة تختلّ معه ، لولا أن أمسك بها الرجل فى قوة ، هاتفًا :

- ماذا هناك يا سيدى ؟!

تجاهل قائده سؤاله تمامًا ، وهو يلتفت إلى فنى الرادار ، هاتفًا :

- اتجه بالرادار إلى هناك .. إلى الشمال الشرقى .. عند الساعة الثانية.. هل تبدو لك الأمور عادية هناك؟!

وجّه الرجل جهاز الرادار ، إلى حيث أشار قائده ، وطالع الشاشة فى اهتمام بالغ ، وهو يقول :

- إنها مجموعة من الصخور ، مختلفة الأحجام والأشكال .

تطلّع القائد إلى تلك البقعة ، عبر منظاره المجهّز للرؤية الليلية ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ بالضبط .. وبين هذه المجموعة توجد صخرة ، في حجم سيارة كبيرة .. هل ترصدهما جيدًا ؟!

أجابه الرجل في شيء من الحماس :

ـ نعم أيها القائد .. ربّاه ! إنها تبدو أقل كثافة مما حولها ، كما لو .. كما لو أنها ..

هتف القائد ، مكملاً :

ـ مجوّفة .. أليس كذلك ؟!

برز حماس فني الرادار في وضوح ، وهو يهتف :

ـ بالضبط !

ثم تساءل مبهورًا :

ـ ولكن ما الذي أثار انتباهك بشأنها يا سيّدي ؟!

أجابه القائد في انفعال :

ـ كان يمكن أن نمرّ بها ، دون أن ننتبه إلى وجودها ، لولا أنها تحرّكت .

هتف السائق وفني الرادار ، في آن واحد ، وبدهشة عارمة :

ـ تحرّكت ؟!

أجابهما القائد ، وهو يلتقط بوق جهاز التسجيل ، المتصل بكمبيوتر السيارة :

ـ كانت خطوة حمقاء ، ولكن من حسن حظنا أنها قد حدثت في الوقت المناسب .

وضغط زر التسجيل ، قائلاً :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وعشرون .. تم رصد جسم ، تنطبق عليه صفات الهدف .. ونحن نتجه إليه مباشرة ، في الموقع ..

راح يصف الموقع ، الذي رصد عنده تلك الصخرة المتحرّكة ، ويحدّد احداثياته بمنتهى الدقة ، والكمبيوتر ينقل الموقف لحظة فلحظة ، إلى قسم المتابعة الخاص ، في إدارة المخابرات العلمية ، في نفس الوقت الذي تحرّكت فيه سيارات البحث الثلاث نحو موقع الرصد ..

ولم تستغرق الرحلة سوى ست دقائق فحسب ، توقّفت بعدها القافلة الصغيرة ، على بعد عشرة أمتار من الصخرة ، وقال القائد ، عبر جهاز التسجيل :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وست وعشرون .. نحن على بعد عشرة أمتار من الهدف .. الفحص الخارجي المباشر لا يشف عن شيء ، ولكن الفحص الراداري والإشعاعي يشير إلى أننا لسنا أمام

صخرة عادية .. إنه مجرّد مظهر خارجى فحسب ، ولكن الواقع أنه جسم مجوّف ، يستقر وسط الصخور

للتمويه .. سنحاول إجراء المزيد من الفحوص ، قبل أن نتعامل معه مباشرة .

انهمك الجميع فى عمليات الفحص ، ومحاولة كشف ما تحويه تلك الصخرة الزائفة المموّهة ، ونقل قائد الفريق الرسالة التالية ، عبر الكمبيوتر :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وخمسون .. كل الفحوص الخارجية تثبت أننا أمام الهدف المنشود .. ننتظر أوامركم بالتعامل المباشر .

ران الصمت بضع لحظات ، على أجهزة الاتصال ، قبل أن ينبعث منها صوت حازم ، يقول :

ـ اثبتوا فى موقعكم .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، بأى حال من الأحوال .. انتظروا حتى وصول إمدادات علمية وأمنية خاصة .. أكرّر .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، مهما كانت الأسباب .

مطّ قائد فريق البحث شفتيه فى استنكار ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا سيّدى .

ثم أنهى الاتصال ، قائلاً فى ضيق :

ـ يا له من أسلوب ! لقد حققنا ما عجز عنه الجميع، دون أن نحظى بكلمة شكر أو تهنئة واحدة .. والآن ما الذى سنفعله ، حتى تصل تلك الإمدادات العلمية الأمنية ؟! هل نكتفى باحتساء القهوة ، أم نشاهد بعض أفلام الفيديو ، عبر شبكة الأقمار الصناعية ، أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، هتف سائقه فى ذعر :

ـ ربّاه ! انظر يا سيّدى !

اتسعت عينا قائد الفريق، وهو يحدّق فى الصخرة ، التى راحت تهتزّ فى بطء ، وغمغم ، وهو يلتقط مسماع جهاز التسجيل فى توتر :

ـ إنها تتحرّك مرة ثانية ، وكأن وجودها لا يعنينا .

وعبر جهاز التسجيل ، هتف :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وثمان وخمسون .. الهدف بدأ يتحرّك .. سرعة حركته تزداد تدريجيًا .. يا إلهى ! إنه يرتفع عن الأرض .. أما زالت أوامر عدم التعامل سارية ، أم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت الصخرة الكبيرة عن الأرض فى بطء ، حتى ارتفاع ثلاثة أمتار ، ثم توقّفت

فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها من جهاز الاتصال صوت يقول فى توتر :

ـ نكرر .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة .. مهما كانت الأسباب .. ردود الفعل ما زالت مجهولة .. من أجل أمنكم وسلامتكم.. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة.

انعقد حاجبا قائد الفريق ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وماذا لو انطلق مبتعدًا ، وفقدنا أثره مرة ثانية ؟!

أتاه الصوت نفسه ، فى صرامة :

ـ لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة أبدًا .. الأوامر واضحة محدودة فى هذا الشأن .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، مهما كانت الأسباب .

ازداد انعقاد حاجبى قائد الفريق ، وهو يتابع ببصره الصخرة الكبيرة ، التى دارت حول نفسها فى الهواء فى بطء ، وكأنما تحدد هدفها ، وغمغم :

ـ وماذا لو فقدنا أثرها ؟!

قالها ، ثم التقط بندقية خاصة ، دفع داخلها جهاز اتصال وتتبع دقيق ، فى حجم رصاصة صغيرة ، فغمغم السائق ، فى توتر بالغ :

ـ سيدى .. الأوامر تحتم ألا ...

قاطعه قائده فى صرامة :

ـ اصمت .

ثم رفع البندقية الخاصة ، وصوبها إلى الصخرة الزائفة ، وهو يغمغم :

ـ لا يمكن أن نسمح لها بالفرار مرة أخرى .

نطق كلماته ، ثم ضغط زناد البندقية ..

وانطلق جهاز التتبع ..

وانغرس فى جسم الصخرة ..

وفى نفس اللحظة ، ارتجفت الصخرة الزائفة فى قوة ، وتألقت مقدمتها بضوء أحمر مخيف ،

فصرخ السائق :

ـ ربّاه ! ماذا يحدث يا سيدى ؟!

ومع آخر حروف صرخته ، انطلقت من مقدمة الصخرة الزائفة ثلاث كرات نارية كبيرة ..

واتسعت عينا قائد البحث فى ذهول مذعور ، وانطلقت صرخة مدوية ، من بين شفتى فى الرادار ..

ثم دوت ثلاث انفجارات عنيفة ..

وتناثرت شظايا سيارات (الجيب) الثلاث ، فى مساحة واسعة للغاية ..

وقبل أن يتلاشى دوى الانفجارات ، أو تتساقط الشظايا على رمال الصحراء ، انطلقت الصخرة

الزاحفة بسرعة خرافية ، وتلاشى الوهج الأحمر فى مقدمتها ، قبل أن تختفى وسط الرمال والصحراء .. دون أدنى أثر .

★ ★ ★

ألقى الدكتور (حجازى) نظرة طويلة ، على المخلوق الممدد أمامه ، على مائدة الفحص ، فى مشرحة المستشفى العسكرى ، وتبادل نظرة هادئة مع (نور) ، قبل أن يملى جهاز التسجيل الخاص به ، قائلاً:

ـ الجثة المسجاة أمامى لكائن غير أرضى .. يبلغ طوله المترين تقريبًا ، جسمه كله مغطى بحراشيف خضراء صغيرة ، يبدو أنها المسئولة عن ارتداد كل الرصاصات وخيوط الأشعة ، التى أطلقها عليه رجال الأمن .. الوجه أشبه بوجوه الثعابين .. لا أثر للأذنين أو الأنف .. فقط فم واسع بلا شفتين ، وعينان واسعتان ، لكل منهما شق طولى ، يجعلهما أشبه بعيون الزواحف .. الرأس أصلع تمامًا ، تنتشر فيه الحراشيف نفسها .. يوجد غشاء رقيق ، بين أصابع اليدين والقدمين ، أشبه بالموجود لدى البرمائيات ، وبعض أنواع الكائنات البحرية .. الجنس يصعب أو يستحيل تحديده من الفحص الظاهرى ، لعدم وجود

أية أعضاء خارجية .. الشكل العام يوحى بأننا أمام زاحفة كبيرة ، وليس أمام كائن بشرى مألوف(*).

غمغم (نور) :

ـ هناك نظرية علمية قديمة ، تشير إلى احتمال أن تنشأ الحياة على الكواكب المختلفة، الشبيهة بالأرض، فى صور متغيرة، كأن تتطور فى كوكب ما عن القردة ، وفى آخر عن الزواحف ، وغيرها(**).

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يلتقط مشرطه ، قائلاً :

ـ هل تؤمن بهذه النظرية حقًا يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ كلا فى الواقع يا دكتور (حجازى) ، فهى نظرية ناشئة عن نظرية النشوء والارتقاء للعالم (داروين) ، وأنا أؤمن بأن الله (سبحانه وتعالى)

(*) الزواحف : طائفة من الفقاريات ، متغيرة الحرارة ، تتنفس بالرئات ، أجسامها مغطاة بالحراشيف والصفائح العظمية ، أو الأصداف القرنية. وتشمل هذه الطائفة الغطاءات (السحالى)، والحيات، والحرابى ، والسلاحف ، والتماسيح ، وتمتد إلى الديناصورات المنقرضة .

(**) نظرية علمية حقيقية .

قد خلق الإنسان على شاكلته ، وأنه (عز وجل) ، لا يخلق أى كائن إلا على أفضل صورة(*).

تطلع الدكتور (حجازى) إلى مشرطه، وهو يقول:

ـ هذا لا يتعارض مع وجود حياة عاقلة أشبه بالزواحف ، على كوكب ما يا (نور) ؛ فالصورة الأفضل ، هى الصورة التى تناسب شكل الحياة ، فى مكان ما ، وربما كان الكوكب ، الذى أتى منه هذا الكائن ، هو جنة الزواحف .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

لوّح الدكتور (حجازى) بالمشرط فى يده ، قائلاً :

ـ والآن .. هل تعتقد أن المشرط العادى ، يمكن أن يخترق هذه الحراشيف القوية ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا بالطبع .. لقد صدت خيوط الليزر القاتلة ، ورصاصات رجال الأمن .

(*) تواجه نظرية (داروين) هجوما واعتراضات عنيفة ، منذ مطلع التسعينات .

أشار الدكتور (حجازى) بسبابته ، قائلا :

ـ هذا ما يبدو من الناحية النظرية ، ولكن الواقع يختلف تمامًا ، فتلك الحراشيف يمكنها أن تصد أقوى الرصاصات ، عندما تسقط عليها بشكل عمودى ، أما لو وضعت مشرطًا عاديًا كهذا أسفل أية قطعة منها ، ومررته عبر منطقة التقائها بزميلتها ، بزاوية حادة للغاية ، فسيمكنك انتزاع الحرشوفة من موضعها بمنتهى البساطة .

قرن قوله بالفعل ، وهو يشرح نظريته ، وانتزع إحدى حراشيف الجسد بالفعل ، ثم دس مشرطه فى الجزء الرخوى تحتها ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ أرأيت ؟!

هزّ (نور) رأسه مرة أخرى ، مغمغمًا :

ـ علمك يبهرنى دائمًا يا دكتور (حجازى) .

استخدم الدكتور (حجازى) وسيلته هذه ، لينتزع صفًا من الحراشيف الصغيرة ، فى خط طولى ، عند منتصف بطن المخلوق ، قائلاً :

ـ أعظم ما فى العلم ، هو أنه يجعل المستحيل

ثم دس مشرطه فى الجزء الرخوى تحتها ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ أرأيت ؟!

ممكنًا دائمًا ، ويثبت أن القوة ليست الوسيلة الوحيدة للفوز ..

غمغم (نور)، وهو يتابع عمل الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ وبخاصة فى عصرنا هذا .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بالضبط .. فعندما يصبح العلم هو الركيزة الأساسية للحياة ، لا ينبغى أبدًا أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فسأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟!

غمغم كبير الأطباء الشرعيين :

ـ مستحيل ! مستحيل تمامًا .

دار (نور) حول مائدة الفحص ، وهو يتساءل فى توتر زائد :

ـ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) خطوة إلى الخلف ، وهو يقول فى انفعال :

- الأنسجة كلها حقيقية وسليمة تمامًا ، حتى إننى لم أتوقع هذا .. لم أتوقعه قط ..

سأله (نور) ، وهو يلقى نظرة على ذلك الجزء ، الذى شقه مشرط الدكتور (حجازى) ، فى بطن الكائن الراقد أمامه :

- ما هذا الذى لم تتوقعه ؟!

ولم يكد يتمّ سؤاله ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذهول تام ، وهو يحدّق فيما أمامه ..

فما يطلّ من بطن ذلك الكائن ، كان يؤكّد أنه ليس بشريًا ..

بل وليس مخلوقًا حيًا ، بأى حال من الأحوال ..

لقد كان مجرّد آلة ..

مجرّد شخص آلى ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

أكبر مفاجأة .

★ ★ ★

٩ - النـــار ..

انبعثت موسيقى هادئة خافتة ، داخل حجرة واسعة خالية ، إلا من شاشة رصد كبيرة ، تتصل بجهاز كمبيوتر متطوّر ، وأمامها مقعد وثير كبير ، استقر فوقه ذلك الشخص ، الذى راح يراقب الشاشة فى اهتمام ، استغرق حواسه كلها ، وأصابعه تنقر متتبعة الإيقاع الموسيقى ، على لوحة الأزرار ..

ولدقائق طويلة ، لم ينبس الشخص ببنت شفة ، وهو يتابع بعض النقاط المضيئة ، المتحرّكة فى مواقع شتى على الشاشة ، ثم لم يلبث أن تمتم فى خفوت :

- تدخلك كاد يفسد الأمور كلها أيها المقدّم .. العجيب أنك تظهر دائمًا فى الوقت المناسب ، بالنسبة لك ، كما قالوا عنك ، وكأنما هناك مغنطيس مدهش ، يجذبك دومًا إلى مواقع الأحداث ..

نطقها ، وعاد يتطلّع إلى الشاشة بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتابع بنفس الخفوت :

– من سوء حظك أن هذا الاحتمال كان واردًا منذ البداية .. وهذا يعنى أنك لم ولن تفاجئنى أبدًا ، مهما تصوَّرت أنك الأبرع أو الأذكى .. إننى لن أقع فى تلك الأخطاء السخيفة ، التى وقع فيها الآخرون .. المأساة التى ستفاجئك أنت ، هى أننى أتميَّز بنقطة مهمة للغاية .

واسترخى فى مقعده الكبير الوثير ، مضيفًا :

– إننى أعلم كل شىء عنك ، وأنت تجهل كل شىء عنى .

فرد كفيه ، وضمهما ، وألصق إبهاميه بصدره ، معتمدًا بذقنه على سبَّابته ، وظلَّ فى هذا الوضع لدقيقتين كاملتين ، انهمك خلالهما فى تفكير عميق ، قبل أن يتمتم :

– فليكن .. كنت أدخرك للنهاية ، ولكن يبدو أن هذا بالتحديد هو الخطأ الأكبر ، الذى ارتكبه الآخرون .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

– والذى لن أقع فيه قط .

قالها ، وضغط زرًا فى لوحة الأزرار ، ولم يكد يفعل ، حتى تألَّقت نقطة حمراء مضيئة على الشاشة ، وراحت تتحرَّك فى سرعة ، متجهة نحو هدف جديد ..

نحو المستشفى ..

العسكرى .

★ ★ ★

لم تشعر (مشيرة) فى حياتها كلها بذلك الفيض من السعادة والحنان ، مثلما شعرت به فى تلك الساعات ، التى ضمت فيها إليها (محمود) الصغير ..

كل الأمومة ، الكامنة فى أعماق أنوثتها ، تفجَّرت دفعة واحدة ، وهى ترعاه وتعنى به ، وتمنحه كل اهتمامها ووقتها ..

لقد استحوذ على كل تفكيرها ..

كل مشاعرها ..

بل كل ذرة فى كيانها ..

ولعل أكبر دليل على هذا هو أنها قد قبعت فى منزلها طوال اليوم ، وتركت مهمة متابعة كل الأحداث الغامضة والمثيرة لمساعديها ، وطاقم التصوير الخاص بالجريدة ..

بل ولم تشعر حتى بأن عقارب الساعة قد أشارت إلى منتصف الليل ، دون أن يعود زوجها (أكرم) إلى المنزل كالمعتاد ..

وبكل الحب والحنان ، احتضنت الصغير ، الذى غلبه النوم ، وأرقدته فى فراشه ، و ...

وفجأة ، قرع جرس الباب ..

وانتفض جسدها كله ، وكأنما ارتكب ذلك القادم جريمة لا تغتفر ، وهو يزعج الصغير النائم بذلك الرنين ..

وعندما تكرر قرع الجرس ، على نحو يوحى بتوتر القادم وتعجله ، انطلقت تعدو نحو الباب على أطراف أصابعها ، وفتحته هاتفة فى صوت خافت غاضب :

ـ ماذا أصابك ؟! ألا يمكنك أن تقرع الجرس فى هدوء ؟!

حدق مساعدها الأول فى وجهها بدهشة ، وهو يتساءل :

ـ وكيف يمكن قرع الجرس فى هدوء ؟!

هتفت به محنقة ، وهى تخفض صوتها أكثر ، وتغلق الباب خلفه فى حرص :

ـ اقرعه مرة واحدة ، وامنحنى وقتًا للإجابة على الأقل .

ثم استطردت فى حدة :

ـ واخفض صوتك بقدر الإمكان .. الصغير نائم .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهم بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن عدل عنه ، وهتف فى انفعال :

ـ هل بلغك ما حدث ، فى المستشفى العسكرى ؟!

نجحت عبارته فى استفزاز فضولها الصحفى ، فسألته فى لهفة :

ـ وماذا حدث هناك ؟!

أجاب بنفس الانفعال :

ـ انفجارات ، وتبادل إطلاق نيران .. من الواضح أنها محاولة تخريب متعمدة .

قالت فى دهشة :

ـ محاولة تخريب ، فى المستشفى العسكرى ؟! ومن ذا الذى يسعى لتخريب المستشفى ؟! إى إرهابى سيسعى حتمًا خلف وحدة عسكرية ، أو مخزن للذخيرة ، وليس خلف مستشفى ، حتى ولو كان مستشفى عسكريًا .

وافقها مساعدها بإيماءة من رأسه ، وتابع فى حماس :

ـ هذا ما قدره الجميع ، والجهات العسكرية تخفى تفاصيل ما حدث كالمعتاد ، ولكن بعض الشهود

أشاروا إلى اقتحام المقدم (نور) للمكان ، فى أثناء تبادل إطلاق النار ، ويؤكدون أنه الذى حسم الموقف كله .

سألته فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أن لهذا علاقة بما أصاب زوجته هذا الصباح ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد ؛ فالأمر لا يتعلّق بزوجته فحسب .. الفريق كله مصاب ، ويرقد فى غيبوبة عميقة ، و ...

قاطعته مصدومة :

ـ الفريق كله ؟! ماذا تعنى ؟! ماذا عن (أكرم) ؟!

ارتبك مساعدها ، وهو يحدّق فيها ، قائلاً :

ـ ألا .. ألا تعلمين حقًا ما حدث ، يا سيّدة (مشيرة) ؟!

خفق قلبها فى قوة ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وخُيّل إليها أن أطرافها كلها قد ارتجفت دفعة واحدة ، وهى تسأله :

ـ وما الذى حدث ؟!

ازدرد لعابه فى ارتباك ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! كنت أتصوّر أن الأخبار قد بلغتك فور حدوثها ، و ..

صاحت به فى حدة :

ـ ما الذى حدث ؟!

حدّق فى وجهها لحظة فى تردّد ، قبل أن يجيب :

ـ لقد .. لقد أصيب السيّد (أكرم) أيضًا ، وهو يرقد الآن فى المستشفى المركزى ، فى غيبوبة عميقة ، و ...

أمسكت ذراعه بغتة ، وانغرست أصابعها فيه ، على نحو جعله يبتر عبارته ، ويهتف فى ألم ودهشة :

ـ سيّدة (مشيرة) .. إنك ..

قاطعته فى صرامة عصبية :

ـ إنك لن تغادر هذا المنزل .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنين يا سيّدة (مشيرة) ؟!

انتزعت أصابعها من ذراعه ، وابتعدت عنه ، وهى تلتقط معطفها ، قائلة بلهجة آمرة :

ـ أعنى أنك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستتولّى مهمة خاصة للغاية ، لحين عودتى .

سألها فى حيرة قلقة :

ـ أية مهمة ؟!

أجابته فى صرامة ، وهى ترتدى المعطف :

ـ سترعى (محمود) الصغير .

حدق فيها لحظة ، قبل أن يهتف معترضًا ومستنكرًا :

ـ أرعى الصغير ؟! سيدتى .. إننى لست مربية أطفال ، ولست أظننى أصلح لمثل هذه الـ ...

قاطعته ، وهى تفتح الباب ، قائلة فى صرامة عصبية ، لا تقبل النقاش :

ـ ولو أسأت إليه ، فالأفضل أن تبحث لنفسك عن وظيفة أخرى .

تدلى فكه الأسفل فى دهشة غامرة ، فى حين ألقت هى عبارتها ، وأغلقت الباب خلفها ، بمنتهى الـ ... هدوء .

★ ★ ★

« لم نعثر على أدنى أثر لتلك المادة فى دمائهم .. ».

ردد رئيس قسم العناية الخاصة العبارة ، فى توتر بالغ حائر ، وصوت مضطرب متوتر ، فاتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى أيها الطبيب ؟! لقد كانت هناك ، وتم الحصول على عينة منها بالفعل .

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ ولكنها لم تعد كذلك .. لقد تلاشت .. انتهى مفعولها .. ذابت فى بلازما الدم(*)، أو لفظها الجسم ، عبر أجهزة التنقية المختلفة .. البول أو العرق ، أو حتى الأنفاس التى تتردد فى الصدر . لا توجد مادة تبقى فى الجسد إلى الأبد .

عضت شفتيها فى مرارة ، هاتفة :

ـ إنها ليست مجرد مادة .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

ـ إنها الأمل .. آخر أمل فى إعادة أمى وزوجى و (أكرم) إلى وعيهم .

زفر الرجل فى أسى ، قائلاً :

ـ ربما لهذا بالذات حدث ما حدث .

حدقت فى وجهه ، والدموع تسيل على وجنتيها ، فتابع فى أسف :

(*) يتركب الدم من جزأين أساسيين .. ١ ـ البلازما ، وتكون ٥٥٪ من حجمه ، وبها بروتينات تقوم بوظائف شتى . ٢ ـ الخلايا الدموية ، وتشمل خلايا الدم الحمراء ، وكرات الدم البيضاء ، والصفائح الدموية .

- لقد قتل ذلك الشيء الدكتور (يحيى) المسكين ، الذى لم ينعم بالعمل مع فريقكم لأكثر من ساعات معدودة ، ودمّر المعامل الرئيسية بالكامل ، ومحا كل النتائج من شبكة الكمبيوتر ، وهو يعلم أن تلك المادة المضادة ستتلاشى تمامًا من الدم ، ولن يعود بوسعنا معرفة تركيبها ، أو استخدامها لإنعاش هؤلاء الغارقين فى غيبوبتهم الغامضة .

انتحبت بضع لحظات ، عجزت خلالها عن منع دموعها من الانهمار على وجهها ، ثم لم تلبث أن تساءلت :

- وماذا عن نتائج اختبارات التوصيل ؟!

قال فى اهتمام :

- أتقصدين تلك الخاصة بانتقال الإشارات عند رفاقك .. لقد تم محوها أيضًا بالطبع ، ولكن هذا ليس بالأمر الخطير ، فنحن نعيد إجراءها الآن ، ويمكنك متابعة النتائج الأولية على الكمبيوتر أولاً فأول ..

انعقد حاجباها ، وهى تغمغم :

- على الكمبيوتر ؟!

وبسرعة ، التقطت حقيبتها الوردية ، وأخرجت

منها جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وأوصلته بكابلات الشبكة الرئيسية ، وضغطت أزراره ، قائلة :

- لقد انتهوا من إجراء الاختبارات بالنسبة لأمى بالفعل ، وهم يجرونها الآن على (أكرم) .

سألها الرجل فى اهتمام :

- وماذا عن اختبارات السيدة (سلوى) ؟!

طالعت الأرقام فى سرعة ، وهى تجيب :

- هناك خلل واضح فى التوصيل ، يكمن فى الحبل الشوكى ، عند الفقرة العنقية السابعة تقريبًا ، وبسببه يتم انتقال خمسة فى المائة فحسب ، من إشارات المخ ، إلى الأجهزة الحيوية ، والألياف العصبية الطرفية .

بدا الاهتمام على رئيس القسم ، وهو يقول :

- عجبًا ! لقد فحصنا كل خلايا الحبل الشوكى ، ولم نجد أية إصابات واضحة أو حتى دقيقة ، خلال مساره كله .

غمغمت فى مرارة :

- إنها تلك المادة الغامضة .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ ولكن ما القاعدة التى تتبعها ، لتصل إلى هذه النتيجة العجيبة ؟! كيف يمكنها أن تعترض طريق الإشارات المخية ، أو تضعف تأثيرها ؟! ولماذا عند الفقرة العنقية السابعة بالذات ؟! إنها أمور لم يعرفها العلم والطب من قبل قط !!

كانت عيناها تتابعان نتائج الفحص ، التى ينقلها الكمبيوتر لحظة فلحظة ، وهى تقول :

ـ لهذا نشعر جميعًا بالحيرة ، فلو أن ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى توتر ، فسألها رئيس القسم فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ إنها نتائج فحص (أكرم) .. فبخلاف أمس ، يستطيع حبله الشوكى نقل أكثر من خمس عشرة فى المائة ، من الإشارات المخية .

تساءل رئيس القسم فى اهتمام :

ـ لأنه أكبر حجمًا ، وأكثر قوة ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم غمغمت ، وهى ترفع عينيها إليه :

ـ ربما .. هذا ما ستؤكده أو تنفيه نتائج فحص (رمزى) ، أو ...

بترت عبارتها هذه المرة أيضًا ، وهى تحدق فى نقطة ما خلفه ، فتساءل فى عصبية ، وهو يستدير ، ليلقى نظرة على ما أثار توترها وذعرها إلى هذا الحد :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع حاجباه إلى أقصاهما ، واتسعت عيناه فى دهشة مذعورة ، وهو يحدق عبر النافذة فى كرة من اللهب الأخضر ، مرقت أمامه بسرعة كبيرة ..

وانطلقت صرخة من حلق (نشوى) ، عندما بدا لها لحظة أن تلك الكرة ستنقض عليها مباشرة ، إلا أنها فوجئت بها تتجاوز النافذة ، وتواصل طريقها إلى أسفل ، فقفزت من مقعدها ، ووثبت نحو النافذة ..

وخفق قلبها بين ضلوعها فى عنف ..

فبكل سرعتها وإصرارها .. وشراستها أيضًا ، كانت كرة النار تندفع نحو مبنى صغير من طابقين ، فى الحديقة الخلفية للمستشفى .

المبنى الذى يضم ثلاجة حفظ الموتى .. ومشرحة المستشفى .

وانطلقت صرخة ذعر أخرى ، من حلق (نشوى) ..

لقد أدركت الآن ، من هى الضحية التالية للكرة .. كرة النار .. الرهيبة .

★ ★ ★

لثوان ، ظلّ (نور) والدكتور (حجازى) يحدقان فى كومة الأسلاك ، ودوائر السليكون الرقيقة ، التى بدت واضحة ، أسفل ذلك الغلاف الحرشفى للشخص الآلى ، الراقد أمامهما على مائدة الفحص ، وقد هبط عليهما صمت رهيب ثقيل ..

ثم قطع الدكتور (حجازى) ذلك الصمت ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ مستحيل ! إننى لم أتصوّر هذا قط .. الحراشيف والأنسجة تحتها بدت طبيعية للغاية .

غمغم (نور) :

ـ لا يمكن الجزم الآن .

مدّ الدكتور (حجازى) سبّابته ، ينتزع جزءًا من الأغشية الرقيقة شبه المخاطية ، التى تربط الحراشيف بعضها بالبعض ، وألقى عليه نظرة قريبة للغاية ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ مستحيل يا (نور) ! إنها أغشية حية ، دون

أدنى شك .. إنك تتحدث إلى طبيب شرعى خبير ، قضى أكثر من نصف عمره فى المهنة ، ومن غير الممكن أن أخطئ فى أمر كهذا .

ثم اندفع فى حركة متوترة نحو مجهر بسيط ، فى ركن القاعة ، وألصق الغشاء الرقيق على شريحة زجاجية بسيطة ، دفعها تحت عدسات المجهر ، وألقى عليها نظرة طويلة ، قبل أن يقول فى حسم ، وبلهجة رجل يدرك جيّدًا ما يقول :

ـ إنها أنسجة حية بالفعل .

حدّق (نور) فى ذلك الشىء الراقد أمامه ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل ! الأشخاص الآلية ، التى تجمع ما بين القطع الصناعية والأنسجة الحية مجرّد خيال ، لم يتوصّل إليه العلم بعد .

عاد إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ ولكن هناك محاولات جادة لهذا(*) .

(*) يسعى بعض العلماء إلى محاولة إنتاج شخص آلى ، له غلاف من الأنسجة الحية ، لاستخدامه فى التجارب العلمية والطبية . ويطلقون على المشروع اسم (سيبورج) ، ولكنهم لم يظفروا بنتائج مرضية ، حتى وقتنا هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .. هناك محاولات جادة فى هذا الشأن .

وانخفض صوته ، وهو يضيف :

- ربما تحقق نجاحات فى المستقبل .

قالها ، وانحنى يفحص الأجزاء الآلية البارزة من الشخص الآلى ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن ينتزع إحدى الدوائر الدقيقة المطبوعة ، وهو يغمغم :

- كل شىء يمكن تحقيقه مع الزمن .

تطلع إليه الدكتور (حجازى) فى قلق ، متسائلاً :

- ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط يا (نور) ؟!

اعتدل (نور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، حتى إن الدكتور (حجازى) كرر ، فى لهفة واهتمام :

- فيم تفكر يا (نور) ؟!

لم يبد على (نور) أنه قد سمع السؤال ، وهو يشير إلى الشخص الآلى ، قائلا :

- ذلك الشىء لا يجمع بين الآلة والخلايا الحية فحسب ، ولكن لديه أيضًا القدرة على ما يمكن أن نطلق عليه اسم التحور الجينى ، والذى أمكنه

بوساطته انتحال هيئة وتكوين الدكتور (فايز) ، والمرور عبر كل النطاقات الأمنية ، فى مركز الأبحاث.

تمتم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- التحور الجينى ؟! مصطلح جديد بالفعل يا (نور) .. ولكن هذا الأمر غير علمى على الإطلاق .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- الأفضل أن نقول : إنه أمر لم يدركه العلم بعد يا دكتور (حجازى) ، فقد رأيت بنفسى ، وسجلت أجهزة الفحص أنه قد حدث بالفعل ، والأمور التى تحدث ، هى أمور علمية بحتة ، حتى وإن كنا لم ندرك ماهيتها وقواعدها بعد .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى حزم :

- ولكننا سندركها حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .

نقل الدكتور (حجازى) بصره ، بين (نور) والآلى المسجى على مائدة الفحص، وزفر فى حرارة ، قائلاً :

- هل تعلم ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) بنظرة متسائلة ، فلوح كبير الأطباء الشرعيين بذراعه كلها وهو يكمل :

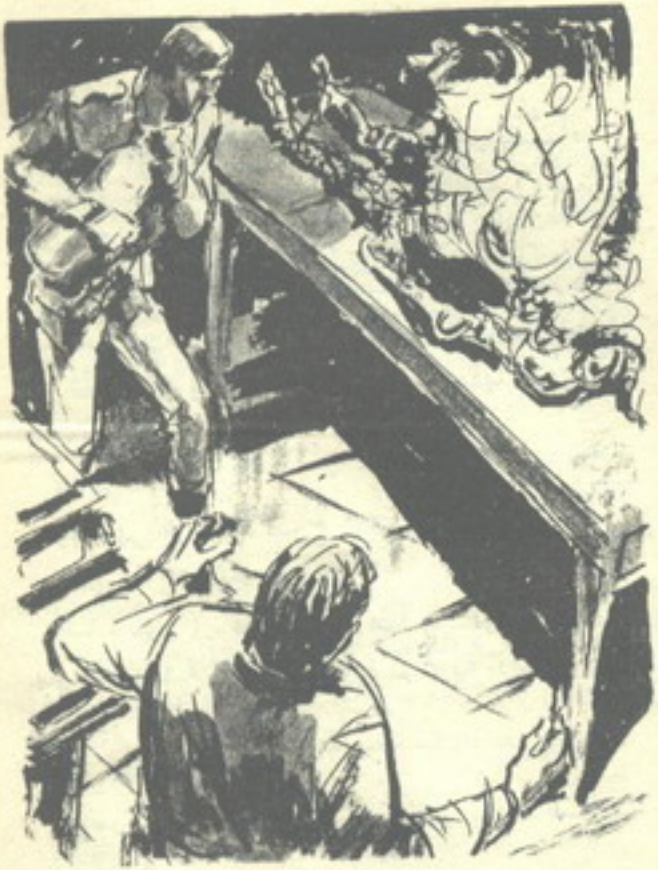

وهتف (نور) ، وهو يعدو نحو أسطوانة إطفاء الحريق :
– ربّاه !! إنه برنامج أمنى ، لمنع فحصه أو تحليله ..

– يعنى أننى سأقضى وقتًا طويلاً للغاية ، فى فحص ذلك الشىء .

لوّح (نور) بسبّابته ، قائلاً ، وهو يدس الدائرة الإليكترونية ، التى انتزعها من ذلك الشىء ، فى جيب سترته الجلدية :

– الأكثر أهمية ، هو أنه لم يعد بإمكانك أن تفحصه وحدك يا دكتور (حجازى) ، فلا بد أن ينضمّ إليك فريق من علماء مركز الأبحاث ، وخبراء الإليكترونيات ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعثت شرارة مباغتة فى الجسم الآلى ، فوثب الدكتور (حجازى) من مكانه ، هاتفًا :

– ربّاه ! هل ..

لم يكن تساؤله قد اكتمل ، عندما دوى انفجار مكتوم بغتة ، داخل ذلك الآلى ..

ثم اشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو نحو أسطوانة إطفاء الحريق :

ـ ربّاه ! إنه برنامج أمنى، لمنع فحصه أو تحليله ، إذا ما توقّف عن العمل .

وثب متجاوزًا منضدة الفحص ، وهو يتساءل : لماذا لم تعمل رشاشات الإطفاء الآلية ، وانتزع الأسطوانة الكبيرة عن الجدار ، و ...

وفى اللحظة نفسها تحطّمت نافذة المشرحة ، واندفعت عبرها كرة النار ، ولهيبها الأخضر يتحوّل إلى اللون الأزرق ، وهى تنقضّ نحو هدفها الجديد ..

نحو المقدّم (نور) ..

مباشرة ..

وبمنتهى الرعب ، صرخ الدكتور (حجازى) :

ـ ما هذا ؟! ربّاه ! ما هذا ؟!

أما (نور) ، فقد أدار فوهة أسطوانة الإطفاء بسرعة مدهشة ، وأطلق المادة الرغوية داخلها نحو كرة النار ..

بكل قوته ..

وغمرت المادة الرغوية كرة النار ، وأحاطت بها من كل جانب ..

وانخفضت سرعة الكرة ، على نحو كبير ، و ...

وفجأة ، انتفضت فى عنف ، وألقت عنها كل المادة الرغوية دفعة واحدة ..

ولوهلة ، توقّفت الكرة فى الهواء ، وقد خبت نيرانها ، وبدت أشبه بكرة بلورية شفافة ، تحوى داخلها سائلاً وردى اللون ..

ثم اشتعلت كلها باللهيب بغتة ..

وبسرعة مذهلة ، تحوّل لون لهيبها من الأخضر إلى الأزرق ، ثم البنفسجى ، ووثب دفعة واحدة إلى الأحمر ..

وعادت تنقض على (نور) ..

بمنتهى الإصرار ..

والشراسة ..

ووثب (نور) جانبًا ، محاولاً تفادى انقضاضة كرة النار ، وانتزع مسدسه الليزرى من حزامه ..

ولكن الكرة النارية كانت تنطلق بسرعة مخيفة ..

وعلى بعد نصف المتر من (نور) ، انفجرت كرة النار ..

وغمر المكان وهج أحمر رهيب ، جعل الدكتور (حجازى) يخفى وجهه بذراعيه ، وهو يصرخ :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) ..

ووسط ذلك الوهج ، سمع صوت ارتطام عنيف بالجدار ، ثم صوت سقوط جسم ما على الأرض بقوة ، فهتف ، وهو يضرب الهواء بذراعه ، وكأنما يحاول إزالة الوهج :

- أين أنت يا (نور) ؟! ماذا أصابك ؟ أين أنت ؟!

كان الوهج يتلاشى فى سرعة ، عندما اقتحمت (نشوى) المكان ، وهى تصرخ بكل لوعة وذعر وهلع الدنيا :

- أبى .

وانتفض جسدها كله بمنتهى العنف ، عندما وقع بصرها عليه ..

على (نور) ، الذى سقط أرضًا ، بتلك الحروق المنتشرة فى جسده ، وقد همد جسده واستكان تمامًا ..

وألقت (نشوى) نفسها على جسد والدها ، وهى تهتف :

- أجب يا أبى .. أجب بالله عليك ! من المستحيل أن يكونوا قد ظفروا بك أيضًا ! مستحيل !

وفى تلك اللحظة فحسب ، انطلقت أجهزة الإطفاء الآلية تعمل ، وتفجرت رشاشات المياه فى السقف ، لتغمر قطراتها أجساد الجميع ، وتغمر وجه وجسد (نشوى) ، التى اتسعت عيناها فى رعب هائل ، وهى تحدق فى والدها ، الذى لحق بالآخرين ، فى تلك الغيبوبة العميقة الغامضة ..

وعلى الرغم من وجود الدكتور (حجازى) ، ومن العشرات من رجال أمن المستشفى العسكرى ، الذين هرعوا إلى المكان ، تفجّر فى أعماق (نشوى) رعب بلا حدود ، وشعرت أنها قد صارت وحيدة ..

وحيدة تمامًا ، فى مواجهة خطر غامض مجهول ..

خطر يشتعل بلهيب مخيف ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى والأخير

(لهيب الرعب)

كرة النار

- ما سر كرات النار ، التى تطارد (نور) وفريقه ، بمنتهى الاصرار والشراسة ؟!
- من ذلك الشخص الغامض ، الذى أسقط افراد الفريق فى غيبوبة غامضة عميقة ؟
- ترى هل تنكشف كل الأسرار الغامضة ؟ أم يسقط (نور) وفريقه ضحية لكرة النار ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم ، لهيب الرعب

د: نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

125

الثمن فى مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع دار الهلال

ملف المستقبل
سري جدا!!

لهيب الرعب

126

نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الواحد للكل ..

انطلقت صفارات الإنذار تشقّ سكون الليل ، فى المنطقة المحيطة بالمستشفى العسكرى الجديد ، وتحرّك رجال أمنه فى سرعة ، لتطبيق خطة الطوارئ الاحتياطية ، فتم إغلاق كل مداخل ومخارج المكان ، وسرى تيار كهربى بقوة عشرة آلاف فولت(*)، فى كل الأسوار المحيطة به ، وأضيئت أنوار كاشفة قوية ، فى الحديقتين ، الأمامية والخلفية ، وفى الممرين الجانبيين ، اللذين انتشر فيهما فريق من الرجال المسلحين ، وصدرت الأوامر ، عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة فى المكان كله ، بإغلاق عنابر وحجرات المرضى ، وإخلاء ممرات المستشفى ، إلا من الحد الأدنى والحتمى من

(*) الفولت : الوحدة العملية للقوة الدافعة الكهربية وفرق الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربائى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج تيارًا مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيرًا ثابتًا على موصل مقاومته الكهربية أوم واحد .

العاملين ، ومنع أية تحركات غير ضرورية ، مع تشغيل كل آلات المراقبة والفحص ، فى المكان كله ..

وفى توتر ملحوظ ، وصلت (مشيرة محفوظ) ، مديرة ورئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) إلى المكان ، ولم تكد توقف سيارتها ، على بعد ثلاثة أمتار من المدخل ، طبقًا للوحة الإرشاد ، التى تم زرعها ، فور بدء تطبيق خطة الطوارئ ، حتى قفزت منها ، وهرعت إلى رئيس طاقم حراسة البوّابة الرئيسية ، هاتفة :

ـ أريد أن أدخل .. زوجى راقد فى غيبوبة عميقة هناك ..

رفع الرجل يده يصدّها فى حزم صارم ، وهو يجيب :

ـ مستحيل يا سيّدتى .. الدخول والخروج محظوران تمامًا الآن .

صاحت فى غضب :

ـ كيف تجرؤ على منعى .. إننى (مشيرة محفوظ) .. رئيسة تحرير (أنباء الفيديو) .. أشهر جريدة مرئية ، فى القرن الحادى والعشرين .

أجابها الرجل فى صرامة :

ـ هذا سبب أكثر وجاهة ، لمنعك من الدخول ، فى مثل هذه الظروف ، يا سيّدة (مشيرة) .

احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :

ـ هذا دأبكم دائمًا أيها العسكريون .. لماذا تصرُّون على إحاطة كل شئونكم بالسرية والغموض ؟! لماذا لا تكشفون الحقائق للشعب ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

ـ سأنقل اقتراحك هذا للقيادة يا سيّدة (مشيرة) .

احتقن وجهها أكثر ، من فرط الغضب ، فاندفعت نحوه فى حدة ، هاتفة :

ـ إننى أصرّ على الدخول .

لم يتحرّك الرجل من مكانه ، وظلّ واقفًا بقامته المفرودة ، وكفيه المعقودتين خلف ظهره ، فى حين تحرّك رجاله فى سرعة ، وارتفعت مدافعهم الليزرية فى وجه (مشيرة) ، التى شهقت فى فزع ، وتراجعت مذعورة ، فابتسم هو فى شماتة ، وقال فى صرامة :

- وأنا أصرّ على عدم دخولك يا سيّدة (مشيرة) ، ولدى أوامر صريحة بإطلاق النار مباشرة ، وبلا مواربة ، عند أية محاولة لكسر تعليمات الأمن ، مهما كانت شخصية المقتحم أو مكانته ، فأرجوك الاتجبرينى على تنفيذ الأوامر .

كان الغضب المعربد فى أعماقها قويًا عنيفًا ، إلا أن امتزاجه بخوفها وجزعها على المصير الغامض لزوجها (أكرم) ، جعلها تقول بلهجة شبه متوسّلة :

- اسمع يا هذا .. ربما كانت أوامرك صارمة حازمة ، فى هذا الشأن ، ولكن زوجى بالداخل ، يواجه ذلك الخطر ، الذى صدرت بشأنه هذه الأوامر ، وكل ذرة فى كيانى تشعر بالخوف والهلع من أجله .. أرجوك .. أريد الاطمئنان عليه بأى ثمن .

كان لأسلوبها هذا أثر عجيب على الرجل ، على نحو أبرز معدنه الأصيل ، ومصريته التلقائية الموروثة ، عندما تلاشت ابتسامته الساخرة الظافرة على الفور ، وبدا عليه ارتباك متعاطف ، وهو يشير لرجاله بخفض أسلحتهم ، قائلاً :

- صدقينى يا سيّدتى .. لو أن الأمر بيدى ، لما تردّدت لحظة واحدة فى السماح لك بالدخول ،

والاطمئنان على زوجك ، ولكننى أقسم لك إن الأوامر لا تقبل المناقشة أو الاستثناء ، فى مثل هذه الظروف ، مهما كانت الأسباب .. صدقينى .

زفرت فى مرارة ، وهى تتمتم :

- إننى أصدّقك .

وتراجعت فى أسى ، عائدة إلى سيارتها ، وعقلها يتساءل : تُرى لماذا كل هذا ؟!

ما الذى يحدث هنا ؟!

انطلقت التساؤلات فى عقلها ، وهى تحاول الربط بين الموقف الحالى ، وإصابة (سلوى) فى الصباح ..

والواقع ، وعلى الرغم من جهلها التام بالأمر ، أن ما يحدث أمامها ، فى تلك اللحظة ، كان نتيجة مباشرة لما أثار خوف وقلق وتوتر جهاز المخابرات العلمية كله ، فى ذلك الصباح ..

فلقد بدأ الأمر بكُرَة ..

كُرَة من النار ، اقتحمت أحداث اليوم بغتة ، لتطارد (رمزى) فى إصرار وشراسة عجيبين ، وهى تشتعل بلهب أخضر مخيف ..

وحاول (رمزى) الفرار ..

حاول .. وحاول .. وحاول ..
ولكن الكرة النارية لم تخسر معركتها ..
لقد هاجمت ..
وانقضّت ..
وأصابت الهدف ..
بمنتهى العنف ..

وفى غيبوبة غامضة عميقة ، سقط (رمزى) ، الذى عجز الجميع عن تفسير ما أصابه ، وراحوا يدرسون حالته بمنتهى الدقة ، وخاصة (نور) ورفاقه ، الذين تم حل فريقهم بقرار متعسّف للقائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية ، ونائبه ورئيس مركز الأبحاث التابع له ، الدكتور (جلال) ..

ثم أصيبت (سلوى) بكرة نار ثانية ..
وسقطت بدورها فى غيبوبة عميقة ..

وهنا راح (نور) و (أكرم) و (نشوى) يقاتلون بكل قوتهم ، فى محاولة لكشف لغز وغموض كرة النار ، التى تحصدهم واحدًا بعد الآخر ..

وبسبب الروح العدوانية ، التى تواجههم بها الإدارة ، واضطرارهم للعمل ضد القانون ، تصوّر

الثلاثة أن ما يحدث هو محاولة داخلية للقضاء عليهم ..

حتى تعرّض مركز الأبحاث العلمية لهجوم عنيف ، من مخلوق عجيب ..

مخلوق فضائى ، يمتلك القدرة على التحوُّر الجينى ، الذى أتاح له انتحال هيئة أحد علماء المركز ، بكل تكوينه الظاهرى ، وسماته الجينية ، ليجتاز كل فحوص واختبارات الأمن ، دون أن ينكشف أمره ..

عندئذ أدرك الجميع ، وعلى رأسهم القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، أن العالم كله يواجه خطرًا جديدًا ..

خطر غزو آخر ، قادم من الفضاء الخارجى ..
غزو قد ترزح الأرض كلها بثقله ، كما حدث من قبل(*).

ولأن الأمر لم يعد يحتمل المزيد من الصراعات ..
أو حتى الخلافات ..
كان من المحتم أن تعود الأمور إلى نصابها ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وأن يعود (نور) وفريقه إلى العمل ..

ولكن بعد فوات الأوان ..

لقد سقط (أكرم) أيضًا ، وصار الموقف بالغ الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

ولم تنته المفاجآت ، أو تتوقف عند هذا الحد ..

لقد ظهرت مركبة فضاء مجهولة ، نسفت بلا رحمة ، فريقًا من فرق البحث ، التابعة للمخابرات العلمية ، قبل أن تختفى تمامًا ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

وفى الوقت ذاته ، قام ذلك المخلوق الفضائى بهجوم آخر ..

هجوم على المستشفى العسكرى ، حيث يرقد (أكرم) و (رمزى) و (سلوى) ، فى غيبوبتهم الغامضة العميقة ..

وحتى عندما حسم (نور) ذلك الهجوم ، وأوقع بالفضائى ، باغتته مفاجأة أكثر عنفًا ..

مفاجأة كشفها الدكتور (حجازى) ، وهو يقوم بتشريح جثة ذلك المخلوق ..

ذلك الذى لم يكن سوى شخص آلى عجيب ، يجمع فى تكوينه بين الدوائر الإليكترونية ، والخلايا الحية ..

وفى نفس اللحظة ، التى انكشفت فيها هذه الحقيقة المخيفة ، ظهرت كرة نار جديدة ..

وانقضّت بنفس العنف والإصرار والشراسة ، على هدفها الجديد ..

على (نور) ..

المقدّم (نور الدين محمود) ..

ولقد حاول (نور) أن يتفادى ذلك الهجوم الرهيب ..

حاول بكل قوته ..

ولكن الكرة النارية أطلقت لهيبها ..

وانتصرت مرة أخرى ..

وهكذا سقط الفريق كله ..

فيما عدا (نشوى) ..

وكان عليها أن تتصدّى وحدها لذلك اللهيب المخيف ..

لهيب الرعب(*).

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (كرة النار) .. المغامرة رقم (١٢٥) .

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتراجع (مشيرة) أو تستسلم ..

لم يكن هذا يناسب طبيعتها أو تكوينها ..

ثم إن زوجها كان خلف تلك الأسوار ، وهى تجهل كل شىء عما أصابه ..

لذا ، فقد اتخذت قرارًا حازمًا ..

صارمًا ..

مجنونًا ..

وبكل هذه المشاعر ، عادت إلى سيارتها ، وجلست خلف عجلة القيادة ، وهى تلتقط نفسًا عميقًا ، ملأت به صدرها ، قبل أن تغمغم فى حزم :

ـ فلتعلم يا (أكرم) أننى أفعل هذا من أجلك .

ثم أدارت محرك السيارة ، مستطردة :

ـ من أجلك وحدك .

قالتها ، وضغطت دواسة الوقود ، وانطلقت بسيارتها لثلاثة أمتار ، ثم انحرفت بها بغتة ، ووثبت نحو واحدة من سيارات الأمن ..

وانطلقت من حلقها صرخة قوية ، تردّدت فى المكان كله ، وهى تتخلّى عن عجلة القيادة ، وتخفى وجهها بذراعيها ..

وارتطمت سيارتها بسيارة الأمن فى عنف ..

وطارت فى الهواء ، على نحو مخيف ، و (مشيرة) تواصل إطلاق صرختها ، التى امتزجت برنة رعب قوية ، والسيارة تتجاوز ساحة الانتظار الكبيرة ، ثم تهوى خارجها ، وترتطم بالأرض فى عنف ، وتنقلب على جانبها ، ثم تزحف فى هذا الوضع لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن تتوقّف ، وإطاراتها تدور حول نفسها فى قوة :

ـ وهتف مسئول الأمن برجاله :

ـ أسرعوا لإخراجها ، قبل أن يشتعل خزان الوقود .. أسرعوا .

لم يغادر مكانه ، طبقًا للأوامر ، ولكنه تابع ببصره ، فى قلق بالغ ، فريقًا من رجاله ، أسرعوا نحو السيارة المقلوبة ، وراح بعضهم يخرج (مشيرة) منها ، فى حين انهمك البعض الآخر فى إطلاق أسطوانات الإطفاء نحو السيارة ، لمنع وقودها من الاشتعال ..

وفى الوقت ذاته ، وإثر اتصال عاجل من مسئول الأمن ، انطلقت سيارة إسعاف صغيرة ، تعبر حديقة

المستشفى العسكرى ، وتجاوزت البوّابة ، ليحمل رجالها (مشيرة) على محفة خاصة ، وأحدهم يهتف :

ـ لقد فقدت وعيها .. أسرعوا إلى حجرة الطوارئ .. هيّا .

وعلى الرغم من اهتمامهم الواضح ، وفحصهم السريع الممتاز لها ، إلا أن أحدًا منهم ، على الرغم من خبراتهم الطويلة ، لم يلمح تلك الابتسامة السريعة ، التى جرت على طرف شفتى (مشيرة) للحظة واحدة ، وهم يحملونها إلى داخل المستشفى ..

كانت الآلام تملأ جسدها ، وتسرى فى كيانها كله ، ولكن كل هذا اختفى تمامًا ، خلف شعورها بالانتصار ، ولهفتها لإجابة ذلك السؤال ، الذى جعلها تهرع إلى المستشفى العسكرى ، بعد منتصف الليل ..

تُرى ماذا يحدث ، خلف تلك الأسوار ؟!

ماذا ؟!

★ ★ ★

من العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل ما حدث ، فإن (نشوى) لم تذرف دمعة واحدة ، وهى تقف

عند باب الحجرة ، التى تم نقل والدها إليها ، تراقب الأطباء ، الذين راحوا يبذلون قصارى جهدهم فى يأس ؛ لإنقاذه من تلك الغيبوبة ، التى عجزوا عن إخراج رفاقه منها ..

وفى حنان ، ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها ، هامسًا :

ـ اطمئنى يا بنيتى .. كل شىء سيصبح على ما يُرام بإذن الله .

أدارت إليه عينين خاويتين ، وتطلّعت إليه لحظة ، بدت خلالها كالمغيّبة عن الوعى ، قبل أن تعيد عينيها إلى والدها ، متمتمة :

ـ بإذن الله .

شعر الدكتور (حجازى) بقلق عارم نحوها ، فربّت على كتفها مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أفرغى انفعالاتك يا ابنتى .. ابكى .. اصرخى .. افعلى أى شىء ، ولكن لا تقفى ساكنة هكذا .. أفرغى توتراتك ومشاعرك كلها ، من أجل صالحك ، وإلا انهارت أعصابك دفعة واحدة .

عادت تدير عينيها إليه ، وقالت فى صرامة وحزم ، لم يكن يتوقعهما قط :

– لا يمكن أن تنهار أعصابى الآن يا دكتور (حجازى) .. اطمئن .

اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع ، قبل أن يقول :

– (نشوى) .. لا تفعلى هذا بنفسك يا بنيتى .. الأطباء سيتولون أمر الجميع ، وهناك علاج لهذه الحالة حتمًا ، و ...

قاطعته بغتة ، عندما أحاطت أصابعها بمعصمه فى قوة ، وجذبته خارج الحجرة فى عنف لم يعتده منها أبدًا ، وما إن أصبحا على مسافة ثلاثة أمتار من الحجرة ، حتى واجهته فى توتر شديد ، وهى تقول فى حزم عجيب ، وأسلوب قيادى مدهش :

– اسمع يا دكتور (حجازى) .. أعلم أن الموقف يبدو عنيفًا عصبيًا ، من الناحية التى تنظر منها إليه ، حتى إنك تخشى أن تنهار أعصابى ، أو أسقط للحاق بالجميع ، ولكن هذا خطأ .. خطأ وألف خطأ .. فالتى تقف أمامك الآن ليست (نشوى نور الدين) ، ابنة قائد الفريق ، وزوجة خبيره النفسى ، التى رأت أقرب الناس إليها يتساقطون وينهارون أمام عينيها ،

ويرقدون فى أربع حجرات متجاورة ، فى قسم العناية الخاصة ، الذى يعجز أكبر خبرائه وإخصائييه عن تفسير أو علاج ما أصابهم .. كلا يا دكتور (حجازى) .. إنها ليست كذلك أبدًا .

ثم شدّت قامتها ، مستطردة بلهجة جعلت قلبه يخفق فى قوة :

– التى تقف أمامك الآن هى (نشوى) .. آخر من تبقّى من فريق (نور) ، بكامل الوعى والإدراك ، وهذا يعنى أن قيادة الفريق قد انتقلت إلىّ ، طبقًا للتدرج القيادى الطبيعى ، ويعنى أيضًا ، وهذا هو الأهم ، أن مصير الجميع صار معلقًا بعنقى ، ورهن مسئوليتى .

والتقطت نفسًا عميقًا ، لتسيطر على الانفعال المتفجّر فى أعماقها ، قبل أن تضيف فى صرامة حازمة :

– هل علمت الآن لماذا لا يوجد وقت للانهيار العصبى ؟! لأن أى انهيار يعنى أن يفقد الفريق كله آخر أمل له فى النجاة ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .. الفريق الذى يضمّ أبى ، وأمى ، وزوجى ، وأفضل صديق لى ، فى العالم كله .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهها لحظة ، بدهشة وانفعال بالغين ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فهمت .

ثم استطرد فى حماس :

ـ والآن ، ما الخطوة التالية فى رأيك ؟! هل سنبحث عن العلاج لتلك الغيبوبة الغامضة ؟!

أجابته فى حزم :

ـ أنت قلتها يا دكتور (حجازى) .. الأطباء سيتولون هذا الأمر أفضل منا ، لذا فعلينا أن نتولّى الأمور ، التى نجيدها أفضل منهم .

سألها فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

ارتطم السؤال بكيانها ، وفجّر حيرتها وتوتراتها إلى أقصى حد ..

نعم .. مثل ماذا ؟!

ما الذى يمكن أن تبدأ به بحثها ، فى مثل هذه الظروف ؟!

كيف يمكن أن تتولّى مسئولية رهيبة كهذه ؟!

كيف ؟!

صحيح أنها تبذل قصارى جهدها ، إلى الحد الذى جعلها تبدو قوية متماسكة ، أمام الدكتور (حجازى) ، إلا أن واقعها ، الذى تشعر به فى كل خلية من خلاياها ، كان يختلف تمامًا ..

كانت حائرة إلى حد الضياع ..

وخائفة إلى حد الفزع ..

وأمام سؤال الدكتور (حجازى) ، قفزت كل تلك المشاعر إلى السطح ، وأفصحت عن نفسها فى ملامحها ، وأطلّت فى عناد من عينيها ..

والتقط الدكتور (حجازى) الرسالة ..

واستوعبها بخبراته الطويلة ، وعلمه الغزير ..

ثم أخفاها فى أعماقه ، بحكمته البالغة ، وهو يميل نحوها مكملاً فى بساطة ، وكأنه لم يلق سؤالاً منذ لحظات :

ـ أعتقد أن أفضل وسيلة ، لبدء مهمة عسيرة كهذه ، هى أن نتساءل :

ـ تُرى ماذا كان (نور) سيفعل ، فى ظروف مماثلة ؟!

هتفت فى حماس ، متشبّثة بعبارته :

ـ بالضبط .

ثم هرشت رأسها فى توتر ، متابعة :

ـ نعم .. ما الذى سيفعله أبى ، فى موقف كهذا ؟!

اتعقد حاجباها بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، وهى تطرح السؤال ذاته على نفسها ألف مرة ومرة ..

ما الذى يمكن أن يفعله (نور) ، فى موقف بلغ هذا الحد من التعقيد ؟!

إنه سيلتقط حتمًا طرف خيط ..

أى خيط ، يمكن أن يقوده إلى الحقائق والمعلومات رويدًا رويدًا ..

السؤال إذن هو : أين طرف الخيط هذه المرة ؟!

أين ؟!

لم تدر ما الذى دار فى ذهنها بالضبط ، خلال تلك الأجزاء الضئيلة من الثانية ، ولكنها وجدت نفسها تقول فى حزم :

ـ دعنا نلق نظرة على بقايا ذلك الآلى .

ولا أحد يمكنه أن يتصوّر كم شعرت بالارتياح ، عندما هتف الدكتور (حجازى) فى حماس شديد :

ـ بالضبط .. هذه هى الخطوة الصحيحة .

لم تمض دقائق خمس على عبارته ، حتى كان كلاهما يقف أمام البقايا المحترقة ، التى بلغت حد الذوبان تقريبًا ، لما كان منذ قليل شخصًا آليًا متطوّرًا ، لا مثيل له على الأرض كلها ..

وفى توتر ، قالت (نشوى) :

ـ من الواضح أن الأمر مدروس بعناية فائقة ، بحيث لا نضع أيدينا على دليل واحد ، يمكن أن يقود إلى حل غموض الموقف .

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لقد ذاب ذلك الشىء ، حتى صار من المستحيل الحصول على أى شىء منه ، وبالذات الوصلات الخاصة ، بين الأجزاء الآلية والخلايا الحيوية ، التى تم صنعه منها .

عضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلّع إلى بقايا الآلى ، وعادت تتساءل : أين يمكن أن تجد طرف خيط آخر إذن ؟!

أين ؟!

كان السؤال يعربد فى أعماقها بقوة ، عندما اخترق أذنيها صوت صارم حازم ، يقول :

عضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلّع إلى بقايا الآلى ، وعادت تتساءل : أين يمكن أن تجد طرف خيط آخر ؟!

ـ سيّدة (نشوى) .. هل لى أن أسألك : ماذا تفعلين هنا ؟!

استدارت مع الدكتور (حجازى) إلى مصدر الصوت ، فى حركة حادة سريعة ، ووقع بصرهما على الرائد (أيمن) ، وهو يدلف إلى المشرحة ، وخلفه أفراد فريقه ، الذين انتشروا فى المكان فى سرعة عجيبة ، وهو يتقدّم نحو (نشوى) ، مستطردًا بنفس الصرامة الحازمة :

ـ المفترض أن هذه المنطقة تخضع لسلطة المخابرات العلمية ، فى الوقت الحالى ، و ...

قاطعته (نشوى) فى غضب :

ـ هل نسيت أننى أحد أفراد المخابرات العلمية أيضًا أم ماذا ؟!

رمقها (أيمن) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب ، وهو يشير إلى أفراد فريقه :

ـ كلا .. لم أنس يا سيّدة (نشوى) ، ولكن الأوامر التى تلقيتها من القائد الأعلى شخصيًا ، منذ دقائق قليلة ، والخاصة بإحاطة هذه العملية بالسرية البالغة ، تنتهى بعبارة تقول : « دون أية استثناءات ، مهما كانت الأسباب » .

ثم مال نحوها ، مستطردًا بلهجة تحمل رنة أسف حقيقية :

ـ وأعتقد أن هذا يشملك أيضًا .

احتقن وجهها ، وهى تقول فى حدة :

ـ ولكن هذه المهمة تخصّ فريقنا أيضًا ، وطبقًا للقواعد ، فالمفترض أن تنتقل إلىّ القيادة ، بعد أن ..

قاطعها (أيمن) هذه المرة ، قائلاً :

ـ أى فريق يا سيِّدتى ؟!

بُهتتْ لسؤاله ، وللهجة المتعاطفة المشفقة ، التى نطقه بها ، فحدّقت فى وجهه ، دون أن تحر جوابًا ، فتابع هو باللهجة نفسها :

ـ أقل عدد من الأفراد ، يمكن أن يحمل لقب فريق ، هو اثنين يا سيِّدتى ، وحتى هذا القدر لم يتبقّ لديكم ، فأية قيادة تلك التى تتحدثين عنها ؟!

كانت ترغب بشدّة ، فى أن تظلّ قوية متماسكة ، فى مواجهة (أيمن) وفريقه ، الذين تحركوا بسرعة ، لنقل بقايا الآلى إلى كيس كبير خاص ، له غلاف مزدوج ، عازل للضوء والحرارة ، وإغلاقه بإحكام شديد ، إلا أن دموعها الغزيرة لم تنجح فى الاختفاء خلف عينيها ، فتسللت تسيل على وجنتيها ، وهى تقول :

ـ حاول أن تستوعب الموقف أيها الرائد .. إنها ليست بالمهمة العادية ، التى يمكنك أن تطالبنى بالتخلّى عنها بهذه البساطة .. والفريق الذى تتحدّث عنه ، ليس مجرّد مجموعة من زملاء العمل ، شاركتهم بعض المهمات والمغامرات فحسب .. إنهم أهلى .. هل تفهم ؟! كل أهلى ، الذين لا يمكن أن أتخلّى عنهم قط ، لمجرّد أن الأوامر تحتم هذا .

زفر (أيمن) فى حرارة ، متمتمًا :

ـ أعلم هذا يا سيِّدتى .. أقسم لك إننى أعلمه ، وأتفهّمه جيّدًا ، ولكن طبيعتى العسكرية ترفض عدم إطاعة الأوامر ..

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ ربما هناك وسيلة ما ، و ...

قاطعه (أيمن) ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ أو التحايل عليها ، والدوران حولها .

ثم دفعها أمامه فى رفق ، لا يخلو من الحزم ، متابعًا :

ـ معذرة يا سيِّدتى .. أنا مضطر .

تفجّرت الدموع من عينيها ، فى قهر عاجز ، عندما أخرجها اثنان من فريق (أيمن) ، مع الدكتور

(حجازى) من القسم كلـه ، الذى صار يحمل شعار المخابرات العلمية ..

وفى مرارة ، هتفت :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن أستسلم أبدًا .. لا يمكن أن أتخلّى عن الجميع ، لمجرّد أن الأوامر تحتم هذا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حزن :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

هتفت بكل مرارة الدنيا :

ـ أى شىء .. أى شىء ..

ثم انفجرت باكية ، وهى تضيف فى ألم ثائر :

ـ المهم أن نفعل شيئًا .. من أجلهم .

انخرطت فى بكاء عنيف ، بعد أن فجّرت ثورتها ، وشعر الدكتور (حجازى) بمنتهى الشفقة والتعاطف مع موقفها ، فربّت عليها فى حنان ، مغمغمًا فى عجز مرير :

ـ رويدك يا بنيتى .. إننـى أشعـر بمـا تشتعـل بـه أعمـاقك ، ولكننـى عـاجز علـى أن أمـدّ يد المسـاعدة إليك .. حتى الكلمات لا تسعفنى لـ ...

اعتدلت فجأة ، وتجمّدت الدموع فى عينيها ، اللتين برقتا على نحو عجيب ، جعله يبتر عبارته ، ويتراجع

بحركة حادة ، محدقًا فيها بدهشة بالغة ، وهى تهتف فى وجهه :

ـ ماذا قلت يا دكتور (حجازى) ؟!

خُيّل إليه أنه يحدّق فى وجه (نور) نفسه ، وهو يغمغم مرتبكًا :

ـ كل ما قلته : هو أن الكلمات لا تسعفنى لـ ...

هتفت تقاطعه مرة أخرى ، فى لهفة شديدة :

ـ بالضبط .. أنت تشعر ، ولكن الكلمات لا تسعفك .

عاد يُحدّق فى وجهها بدهشة ، مغمغمًا :

ـ ماذا تعنين ؟!

برقت عيناها أكثر وأكثر ، حتى بدتـا شـبيهتين بعينى (نور) ، وهى تهتف :

ـ أعنى أننا قد أمسكنا به يا دكتور (حجازى) .

ولوّحت بقبضتها ، مستطردة ، بكـل حـزم وحمـاس الدنيا :

ـ أمسكنا طرف الخيط .

قالتها ، وقلبها يخفق بعنف ..

بمنتهى العنف .

★ ★ ★

٢ ـ غيبوبة ..

ارتسم مزيج من القلق والتوتر البالغين ، على وجه القائد الأعلى ، وهو يتابع التقارير الأخيرة ، الواردة من فرق المراقبة ، ثم أشار بيده إلى الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ الأمر صار بالغ الخطورة بالفعل .. إنها مركبة فضائية .. لا شك فى هذا .. مركبة قادمة من مكان ما ، فى الكون الفسيح ، حاملة ما يمهّد لغزو جديد .

تنحنح الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر مماثل :

ـ لم يثبت بعد أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة عصبية :

ـ لم يثبت ماذا يا دكتور (جلال) ؟! ألدينا تكنولوجيا متطوّرة إلى هذا الحد ؟! بل ألدى أية دولة أخرى مثلها ؟! كلا يا دكتور (جلال) .. الأمر لم يعد بحاجة إلى مزيد من الإثباتات .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قبل أن يقول ، وقد تضاعف توتره :

ـ طبقًا للمنهج العلمى المحض ، لا يمكننا نفى أو إثبات هذه الحقيقة ، دون دليل واضح .. ربما لا تكون لدينا تكنولوجيا مماثلة ، ولكن لا يمكننا الجزم بأنه لا توجد مثل هذه التكنولوجيا المتطوّرة لدى دول أخرى .. (أمريكا) مثلاً ، أو (اليابان) .. أو حتى دول الكتلة الأوروبية ، ولو كسلاح سرى يتمّ تطويره .. وربما اختباره على أرضنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حدة ، قائلاً :

ـ لا يمكننا قط نفى احتمال الغزو الفضائى .. سنضعه على قائمة الاحتمالات ، ونتخذ كل الاحتياطات اللازمة لمواجهته ، إلى أن يثبت العكس .. ألم تقرأ مضمون تلك الإشارات المنعكسة ، كما ترجمها علماء مركز الاتصالات الفضائية ؟! « كل شىء معد .. نحن فى انتظاركم .. » .. ما الذى يمكن أن تعنيه رسالة كهذه فى رأيك .. وبالذات عندما تنطلق من الأرض ، عبر جهاز بث فضائى ، إلى منطقة ما فى الكون ؟! ألا تعنى ، وبكل وضوح ، أنه هناك من يبلغ رؤساءه بأن الأرض ممهّدة للغزو ؟!

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ لقد كانت إشارة منعكسة .

لوّح القائد الأعلى بيده ، هاتفًا :

ـ من حسن حظنا .

قال الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ أو من حسن تخطيطهم .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ أعنى أنه لو كنت جاسوسًا فضائيًا محترفًا ، على هذا القدر من الذكاء والبراعة والخطورة ، وأردت إرسال إشارة خاصة إلى كوكبى ، تمهيدًا لبدء حملة غزو فضائى ، فلن أقع فى خطأ انعكاس بسيط ، يمكن أن يعكس نسخة من إشارتى إلى الكوكب ، الذى ينوى قومى استعماره ، وأنا أدرك جيّدًا أن تقنيته قادرة على كشف مضمون الرسالة .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ هل توحى بأن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص على مكتبه ، فأشار بيده للدكتور (جلال) ،

وهو يضغط زر الجهاز فى سرعة ولهفة ، وتحرك هذا الأخير من مكانه ، فى خطوات سريعة متوترة ؛ ليلقى نظرة على الوجه ، الذى ظهر على شاشة هاتف الفيديو ، على الرغم من أن هذا يتنافى مع أبسط قواعد اللياقة والأمن ، وسمع صاحب الوجه يقول فى اهتمام :

ـ سيّدى القائد .. لقد تم تحديد الموقع الجديد للهدف .

هتف القائد الأعلى فى حماس :

ـ حقًا ؟!

أما الدكتور (جلال) ، فقد جفّ حلقه فى لحظة واحدة ، وهو يتمتم :

ـ هل توصّلوا إلى موقع المركبة الفضائية ؟!

أشار إليه القائد الأعلى بالتزام الصمت ، وهو يسأل الرجل :

ـ أأنتم واثقون من هذا ؟!

أجابه الرجل ، فى صوت حاسم واثق :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. لقد كانت أجهزة البحث والمراقبة تعمل بالفعل ، عبر الأقمار الصناعية ،

عندما نسفت تلك المركبة العجيبة فريق البحث ، مما جعل الأنظار كلها تتجه إليها ، وتتابع حركتها السريعة ، حتى اختفت وسط الصحراء ، وهنا قمنا بتحديد منطقة الاختفاء ، وفحصها بأجهزة المراقبة المقرّبة ، وأجهزة الفحص الطيفى(*)، وأجهزة الأشعة دون الحمراء ، حتى تم حصرها ، وتحديد موقعها الحالى بمنتهى الدقة ، على الرغم من اختفائها وسط أجسام شبيهة .

بدا الاهتمام البالغ على القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لاتحاولوا استفزازها ، أو إثارة انتباهها ، بأى حال من الأحوال .. لا نريدها أن تشعر بأننا قد كشفنا أمرها .. اكتفوا بمراقبتها طوال الوقت ، والتيقّن من موضعها بمنتهى الدقة .

أجابه الرجل فى حزم :

(*) كل معدن أو عنصر فى الوجود له مقياس طيفى خاص به ، ويترك طيفًا خطيًا خاصًا ، فى مقياس الطيف (سبكتروسكوب) ، ولا يمكن أن يتشابه عنصران ، أو تتشابه مادتان ، فى ذلك الطيف الخطى ، الذى يتم بوساطته تحديد هوية معظم الأجسام الفضائية .

ـ عُلِمَ وسينفَّذ يا سيّدى .

وما إن أنهى القائد الأعلى الاتصال ، حتى سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وهو يضغط أزرار هاتفه الخاص :

ـ سأجرى اتصالاً عاجلاً ، بقائد القوات الجوية .

سأله الدكتور (جلال) فى دهشة قلقة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حسم :

ـ ما دامت تلك المركبة مجهولة الهوية قد أعلنت الحرب ، فعليها أن تتحمّل كافة النتائج ، المترتبة على هذا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! هل تقصد أننا سـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى حزم صارم :

ـ ما الإجراء المنطقى ، الذى عليك أن تفعله ، إذا ما ظفرت بكتائب الاستطلاع الأولى للعدو ؟!

ألقى سؤاله ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها صورة قائد القوات الجوية ، على شاشة هاتف الفيديو الخاص ..

بكل وضوح .

★ ★ ★

بدت الحيرة ممتزجة بالدهشة ، على وجه رئيس وأطباء قسم العناية الخاصة ، وهم يراقبون ما تفعله (نشوى) بجهاز رسم المخ الإليكترونى ، المتصل برأس والدها (نور) ، وعملها الدءوب لمد بعض الأسلاك منه ، إلى جزء خاص ، فى جهاز الكمبيوتر النقّال الخاص بها ، ثم لم يلبث رئيس القسم أن قال ، فى شىء من العصبية :

ـ سيِّدتى .. هل تدركين ما تفعلينه بالضبط ؟!

أجابته فى حزم ، وهى تواصل عملها فى اهتمام بالغ :

ـ إننى خبيرة كمبيوتر محترفة أيها الطبيب .

أجابها فى عصبية :

ـ أعلم هذا يا سيِّدتى ، ولكنك لست على دراية طبية كافية ، للتعامل مع أمر كهذا .. ماذا لو تسبَّب

ما تفعلينه فى إيذاء والدك ؟! من سيتحمّل المسئولية عندئذ ؟!

رفعت رأسها إليه ، مجيبة فى حسم :

ـ ما أفعله لا يمكن أن يؤذى والدى أيها الطبيب ، وإلا ما جرؤت على فعله قط .. كل ما هناك هو أننى سأنقل الإشارات الصادرة من مخه إلى جهاز الكمبيوتر ، الذى سيستخدم برنامجًا خاصًا جدًا ، قمت بتطويره مؤخرًا ، لحساب القسم الطبى فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية .

سألها الرجل مبهورًا :

ـ أى برنامج هذا ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها بنفس الاهتمام :

ـ برنامج خاص بترجمة إشارات المخ ، وتحويلها إلى لغة خاصة ، يمكن للكمبيوتر ربطها بمفردات اللغات الحية المعروفة ، وتحويلها بالتالى إلى عبارات مكتوبة أو مسموعة ، تنقل ما يدور فى رأس صاحبها .

غمغم أحد الأطباء ، فى دهشة بالغة :

– ربّاه ! أهو برنامج قراءة الأفكار ، الذى قرأنا عنه فى طفولتنا(*)؟!

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

– بالضبط .. هذه نسخة مطوّرة منه .. ولو نجحت التجربة ، ستشاهد عملها بنفسك .

التقى حاجبا رئيس القسم بضع لحظات ، وكأنما يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يتساءل فى توتر :

– ولماذا تفعلين هذا يا سيّدتى ؟! ما الذى تتوقعين الحصول عليه ؟!

أجابته فى حماس :

– كل شىء .

هتف معترضًا :

– مثل ماذا ؟!

توقّفت عن عملها ؛ لتجيب فى حسم :

(*) منذ أواخر الثمانينات ، يعكف العلماء على دراسة الموجات والإشارات الصادرة عن المخ البشرى ، وبالذات موجات (جاما) ، على أمل أن يتوصّلوا فى المستقبل إلى وسيلة لقراءة الأفكار إليكترونيًا ، ولقد نجحت تجاربهم إلى حد محدود ، وأمكنهم فى نهاية التسعينات أن يتوصّلوا إلى خوذة خاصة ، تنقل بعض الأوامر المحدودة ، من لابسها إلى أجهزة إليكترونية ، بمجرّد التفكير فيها .

– لتحصل على جواب سؤالك ، دعنا نستعد ثلاثة أمور بالغة الأهمية أيها الطبيب .. أولها هو نتائج فحص التوصيل ، بين أمخاخ المصابين ، وأليافهم العصبية ، والتى تشير فى وضوح إلى أن المخ يعمل فى نشاط ، ولكن الأطراف لا تتلقّى ذلك النشاط ، بسبب خلل فى التوصيل ، عند الفقرة العنقية السابعة ، مع كل ما يثيره هذا من حيرة طبية وعلمية ، والثانى هو أن شخصًا ما قد انتحل هوية عالم من علماء مركز الأبحاث ، ليختلى بزوجى وأمى ، ويحقنهما بعقار خاص ، يستخدم لانتزاع المعلومات .. ألم يسأل أحدكم نفسه ، كيف يمكن أن ينتزع المعلومات ، من أشخاص فاقدى الوعى بهذا العمق ؟!

تبادل الأطباء نظرة متوترة ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى حماس :

– سؤال وجيه للغاية .

هتف أحد الأطباء :

– ولكنه حقنهما بمادة مضادة على الأرجح .

سألته (نشوى) فى سرعة :

ـ هذا يطرح السؤال الآتى .. مادة مضادة لماذا ؟! للغيبوبة ، أم للإصابة الحقيقية ، التى يعانون منها ؟!

غمغم الأطباء فى دهشة :

ـ إصابة حقيقية ؟!

أما رئيس القسم ، فقال فى عصبية :

ـ سيّدتى .. أنت تجعلين الأمر يبدو فى صورة معقّدة للغاية .

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ إنه كذلك بالفعل يا سيّدى ، ولتدرك هذا ، دعنا نتجه إلى الأمر الثالث ، والذى يبدو ، فى رأيى أنا ، الأكثر أهمية وخطورة .

سألها رئيس القسم فى توتر :

ـ وما هو ؟!

أجابت فى حزم :

ـ زميلنا (أكرم) .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، واعتدل الدكتور (حجازى) ، متسائلاً :

ـ وماذا عنه ؟!

قالت فى سرعة :

ـ كل شىء فيه يختلف عن الآخرين .

سألها رئيس القسم ، فى اهتمام حقيقى :

ـ كيف ؟!

أجابت فى انفعال ، جذب انتباه الجميع :

ـ فى البداية كان الوحيد الذى استعاد وعيه للحظات ، بعد أن أصابته تلك المادة الكيماوية الغامضة ، بعنصريها المجهولين للجميع .. والكلمات القليلة ، التى نطق بها ، كانت عجيبة للغاية .. « ربّاه ! إنها ليست غيبوبة يا (نور) .. لقد كنت أشعر بـ ... » .. قالها ، وفقد وعيه ، ليلحق بالآخرين ، وعندما قمتم بفحص قدرة أعصابه على التوصيل ، وجدتم أنها ثلاثة أضعاف قدرتها عند الآخرين ، فما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

غمغم رئيس القسم :

ـ أخبرينا أنت .

أجابت فى سرعة :

ـ يعنى أمرين بالغى الأهمية .. أوّلهما أن سقوطنا فى النيل ، بعد إصابة (أكرم) مباشرة ، قد أدّى إلى تغيّر ما فى طبيعة تلك المادة الكيماوية ، مما سمح لـ (أكرم) باستعادة وعيه لبضع لحظات .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ بالطبع .. إنه الماء .. ماء النيل .. سرّ الحياة .. لقد ذاب جزء كبير من تلك المادة فى ماء النيل ، مما خفّف من تأثيرها ، وجعله يستعيد وعيه لبعض الوقت .

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط ، لقد منع الماء عملية الامتصاص الكامل للمادة ، وهذا هو الأمر الأوّل ، أما الأمر الثانى ، فهى كلمات (أكرم) نفسها ، والتى كان ينبغى أن نتوقّف عندها منذ البداية ، وخاصة عبارته الأولى ، التى تحسم الأمر كله .

واتعقد حاجباها فى حزم ، وهى تكمل :

ـ إنها ليست غيبوبة يا (نور) .

عاد الأطباء يتبادلون نظرة متوترة ، فى حين غمغم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح يا (نشوى) .. كان ينبغى أن تحسم عبارة (أكرم) الأمر منذ البداية .. لقد خاض التجربة بنفسه ، وخرج منها بضع لحظات ، ليعلن أن ما أصابه لم يكن غيبوبة بالمعنى المعروف .

قال رئيس القسم متوترًا :

ـ وهل يمكنك أن تعتمد على معلومة ، نطقها رجل مصاب ، فى ظروف كهذه ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ بالتأكيد ، خاصة لو أضفنا إلى العبارة الأولى عبارته الثانية ، والتى قال فيها : إنه كان يشعر بشىء ما .. ألا تدركون ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها رئيس القسم ، وقد انتقل إليه حماسها :

ـ يعنى أنه كان يشعر ويحس ، فى أثناء وقوعه فى تلك الغيبوبة .. أقصد فى تلك الحالة .. ليس المهم ما كان يشعر به .. المهم أنه كان يشعر ، وهذا يعنى أنها ليست غيبوبة .. ليست كذلك على الإطلاق .. رائع يا سيّدتى .. عقليتك الاستنباطية المدهشة تفوّقت علينا جميعًا .

تمتم الدكتور (حجازى) مبهورًا ، بلهجة شديدة التأثُّر :

ـ لقد أنجبت يا (نور) .. أنجبت حقًا .

أما رئيس القسم ، فقد تضاعف حماسه ، وهو يواجه باقى الأطباء ، قائلاً :

- الآن فهمت الأمر كله .. لقد أخطأنا جميعًا منذ البداية ، عندما تعاملنا مع الأمر باعتباره غيبوبة .. كان ينبغى أن نقتنع بما أشارت إليه أجهزة رسم إشارات المخ ، عندما أكدت أنه يحتفظ بنشاطه كاملاً .

تساءل أحد الأطباء فى حيرة :

- لو أنها ليست غيبوبة عميقة ، فما هى إذن ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يشير إلى (نور) .. الراقد بلا حراك .

- حالة من الشلل الكامل ، ناشئة عن عقار مجهول .. شلل يصيب كل أجهزة الجسم ، بعد الفقرة العنقية السابعة .

قال أحد الأطباء فى دهشة :

- ولكن هذا يعنى أن الحواس الخاصة مازالت تعمل بكفاءة .

هتف رئيس القسم :

- بالضبط .

ثم عاد يشير إلى (نور) ، مستطردًا :

- ويمكننا إجراء تجربة عملية لذلك .

قالها ، واتجه نحو (نور) ، وهو يقول بنفس الحماس :

- سيادة المقدّم .. لدى اعتقاد علمى بأنك تسمعنا منذ البداية .. وتشعر بكل ما يدور حولك ، وأنك تفهم كل ما أقوله الآن ، لذا فأنا أطلب منك التعاون معنا .

قالت (نشوى) فى توتر :

- دعنى أوصل جهازى أوّلاً ، و ...

قاطعها رئيس القسم ، وهو يواصل حديثه مع (نور) ، الراقد أمامه فى سكون ، وكأنه لم يسمعها :

- امنحنا إشارة واحدة على ذلك .. ركز أفكارك ، واسترجع أية ذكريات ، تثير فى نفسك الانفعال .. ذكريات سعيدة جدًا ، أو حزينة للغاية .. المهم أن تنفعل ، وأن تنقل إلينا إشارات مخك هذا الانفعال .

تعلّقت عيون الجميع بشاشة رسّام المخ الإليكترونى ، وراحوا يتابعون إشاراته المنتظمة ، ورئيس القسم يتابع ، فى انفعال أكثر :

- هيّا أيها المقدّم .. هيّا .

تطلّعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، وقلبها يخفق فى قوة ..

ولكن الإشارات ظلّت على انتظامها ..

ورتابتها ..

تطلّعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسّام المخ الإلكترونى ، وقلبها يخفق فى قوة

وبطئها ..

وانتفض قلب (نشوى) فى عنف ..

تُرى هل أخطأت تفسير الأمر منذ البداية ؟!

هل بنت استنتاجاتها كلها على أخطاء ؟!

هل ..

قبل أن تكتمل تساؤلاتها ، اندفع أحد الأطباء إلى الحجرة بغتة ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ سيِّدى .. السيِّدة (سلوى) .. إنها ..

التفت إليه الجميع فى توتر ، وهتف به رئيس القسم :

ـ إنها ماذا ؟!

عجز الطبيب الشاب عن النطق لحظة ، ثم لم يلبث أن اندفع ، هاتفًا :

ـ إن حالتها تتدهور بسرعة مخيفة ، كما لو .. لو ...

واحتبس صوته ، قبل أن يكمل بصوت متحشرج :

ـ كما لو أنها تموت .

شهقت (نشوى) ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! أمى .

واندفعت مع رئيس القسم ، وعدد من الأطباء ، إلى حجرة أمها ..

واستدار الدكتور (حجازى) ؛ ليلحق بالجميع ، ولكن أحد الأطباء أمسك ذراعه فى قوة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ ربّاه ! انظر يا سيّدى .

استدار الدكتور (حجازى) فى سرعة ، إلى حيث يشير الطبيب ، ولم يكد يتطلّع إلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، حتى انتقل إليه انفعال الرجل فى عنف ..

هذا لأن إشارات المخ قد أصيبت بجنون ، وراحت تتقافز على نحو عجيب ..

نحو يؤكد أن (نور) ، الراقد فى صمت وسكون ، يعانى من انفعال شديد ..

شديد للغاية .

★ ★ ★

« قف .. دخول المستشفى ممنوع ، بأمر السلطات العليا .. » .

هتف جندى الحراسة بالعبارة فى صرامة ، فى وجه ذلك الرجل ، الذى تقدّم نحوه فى هدوء ، والذى

واصل تقدّمه ، وكأنه لم يسمعه ، فشهر الجندى مدفعه الليزرى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ خطوة أخرى وأطلق فى المليان مباشرة .. هذه هى الأوامر الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تحرّك ذلك القادم بسرعة مذهلة ..

مذهلة بمعنى الكلمة ..

لقد بدا لحظة وكأنه قد اختفى من موضعه ، قبل أن يظهر بغتة ، على مسافة نصف المتر ، إلى يمين الجندى ، ثم يقبض على عنقه ، قائلاً بصوت صارم مخيف :

ـ بالنسبة لى ، كل أوامركم لا تعنى شيئًا يا هذا .

اتسعت عينا الجندى فى ذعر وألم ودهشة ، وشعر بقنبلة من اللهب تنفجر فى عنقه ، وانطلقت من حلقه شهقة لم تكتمل ، و ...

وتهاوى جثة هامدة ..

وفى هدوء عجيب ، تجاوزه ذلك القادم ، وألصق راحته برتاج الباب الإليكترونى ، فانفتح بسرعة ، وكأنما استقبل شفرته السرية ، وانفتح الباب على مصراعيه ..

وبنفس الهدوء المستفز ، سار القادم عبر الممر الصغير ، الذى يقود إلى الحديقة الخلفية للمستشفى ، وتوقّف فى نهايته ، يلقى نظرة على رجال الأمن ، الذين انتشروا فى الحديقة ، قبل أن يغمغم :

ـ سبعة عشر مترًا .. أعتقد أن الزمن سيكفى .

قالها ، وضغط بضعة أزرار فى حزامه ، فانبعث من الحزام أزيز خافت ، و ...

واختفى جسده بغتة ..

وعبر الحديقة الخلفية ، بدت آثار أقدام واضحة لكائن خفى ، تحرّك فى سرعة ، حتى بلغ مبنى المستشفى ..

ولعشرة أمتار أخرى ، داخل ممرات المستشفى ، ظلّ الغلاف الكهرومغنطيسى المحيط به يعمل بكفاءة ، ثم لم يلبث الحزام أن بعث أزيزًا آخر ، يعلن انتهاء فترة الإخفاء الممكنة ، فتحرّك الشخص فى سرعة ، ليختفى خلف حاجز خشبى ، قبل أن يعود جسده للظهور ..

كان من الواضح أن قدرته على الاختفاء محدودة ، لذا فقد بدأ يتحرّك فى حذر ، عبر الممرات المختلفة ، حتى بلغ قسم العناية الخاصة ..

وفى هدوء ، وقف يتطلّع إلى الحراسة المكثفة ، عند حجرات أفراد الفريق ، ثم غمغم فى خفوت :

ـ هل تتصوّرون أن هذا سيعيقنى ؟! يا للسخافة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى رأى فريق الأطباء يندفع من حجرة (نور) إلى حجرة (سلوى) ، وبصحبته (نشوى) ، ثم تبعها طبيب آخر ، مع الدكتور (حجازى) ، فتمتم :

ـ لقد بدأت الأعراض الارتجاعية .. هذا يعنى أن أتحرّك بسرعة ، قبل أن تفسد العملية كلها .

قالها ، وعاد يضغط تلك الأزرار فى حزامه ، فانبعث الأزيز الخافت مرة أخرى ..

واختفى جسده ثانية ..

وعلى شاشة صغيرة أمام عينيه ، راح مصباح خافت يومض وينطفئ ، معلنًا أن الطاقة المتوافرة لا تكفى لعملية إخفاء طويلة ، مما دعا ذلك الشخص إلى التحرّك فى سرعة ، وهو يقول لنفسه :

ـ من المؤسف أنك الشخص الوحيد ، الذى يفسد قتله العملية كلها يا (نور) .. خاصة وأننى قد قرّرت نقل الخطة إلى المرحلة التالية .

وانعقد حاجباه ، وهو يتجه نحو حجرة (أكرم) ، مكملاً لنفسه :

ـ مرحلة التصفية الجزئية .

تجاوز حارسا الحجرة فى خفة وسرعة ، دون أن يشعرا به ، فى ردائه الكهرومغنطيسى الخفى ، الذى لم يكد يتجاوز باب الحجرة ، حتى تلاشى دفعة واحدة ، مع انبعاث ذلك الأزيز الخافت من حزامه ..

وفى هدوء ، دفع الشخص باب حجرة (أكرم) ، ليغلقه فى خفة ، من خلف ظهر الحارسين ، اللذين يراقبان الممر فى حزم صارم ، ثم وقف يتطلّع إلى (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقترب منه ، ويتوقّف إلى جوار فراشه ، قائلاً :

ـ أنت تسمعنى بالتأكيد أيها الهمجى .. هل تصدّق أننى انتظرت هذه اللحظة طويلاً ؟! طويلاً جدًا .. لم أكن أرغب قط فى أن أجعل منك ضحيتى الأولى .. كنت سأدخرك للنهاية .. كنت آخر من سيلقى مصرعه من أفراد الفريق ، طبقًا للخطة التى أعددتها بعناية بالغة ، طوال عامين كاملين .. (نور) وحده كان سيبقى فى النهاية ، ليحمل العار كله .. كل شىء

عنكم قرأته ودرسته بمنتهى العناية .. كل الأحداث .. كل التفاصيل .. حتى التقارير النفسية ، والعينات الحيوية الخاصة بكم .. كل شىء .. ولكن من الواضح أن الأمور لا يمكن أن تسير طبقًا لما يريده المرء .. سقوطك فى النيل أفسد كل شىء .. ولو ادخرتك للنهاية الآن ، فستفلت منى للأبد ..

وفى هدوء ، أخرج من جيبه كرة صغيرة ، وهو يتابع :

ـ لذا فسأقوم بتعديل بسيط فى الخطة .. سأنقل اسمك من نهاية القائمة إلى بدايتها ..

ورفع الكرة الصغيرة نحو رأس (أكرم) ، متابعًا فى صرامة :

ـ الوداع أيها الهمجى ..

وعلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، بدا من الواضح أن تلك الكلمات الأخيرة قد أثارت ، فى أعماق (أكرم) الكثير من الانفعال ..

انفعال عنيف ..

مخيف ..

ومميت .

★ ★ ★

٣ ـ الحصـــار ..

« من السرب السابع إلى القيادة .. نحن فوق الهدف مباشرة ، وننتظر الإذن بالهجوم .. » .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وسرى التوتر فى عروقه وملامحه وصوته ، وهو يقول لقائد القوات الجوية ، فى حجرة مكتب هذا الأخير :

ـ ما قولك الآن ؟!

مطّ قائد القوات الجوية شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، قبل أن يقول :

ـ الأمر لا يحتاج إلى مجرّد قول أيها القائد ، وإنما إلى قرار حاسم حكيم ، يستند إلى دراسة جيّدة ، وهذا ما لم يتوفّر لنا ، مع هذه التحركات السريعة .

هتف الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟! هل ستتراجع عن الهجوم الآن ؟!

هزّ قائد القوات الجوية رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ ليست مسألة تراجع أو إقدام ، وإنما مسألة حسابات استراتيجية ومنطقية ، وهذا يحتاج إلى قرار

مشترك .. لقد أصدرت أوامرى للسرب السابع بالانطلاق ، بناء على قول قائد المخابرات العلمية ، إن الأمر لا يحتمل الانتظار ، وعند وصولكما إلى هنا ، اتضح لى أننا لا نطارد طائرة متسلّلة ، أو جيشًا يهمّ بعبور حدودنا ، وإنما نسعى خلف مركبة فضائية مجهولة ، تمتلك قدرات قتالية وتكنولوجية تفوقنا بمراحل ، ثم إننا نجهل ردود أفعالها ، إزاء الهجوم الجوى المباشر .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ لقد أسفرت عن ردود أفعالها ، عندما نسفت فرقة البحث بلا رحمة .

أشار قائد القوات الجوية بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .. وهذا يعنى أنها متحفزة لرد الهجوم بآخر عنيف ، وبتكنولوجيا متفوّقة ، وأسلحة لم تصمد أمامها فرقة البحث سوى لحظات ..

زفر القائد الأعلى ، وتراجع فى مقعده ، متسائلاً :

ـ أتخشى أن تقوم بتدمير رجالك أيضًا ؟!

أجابه الرجل ، فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. رجال السرب السابع هم خيرة شبابنا ، وأكفأ طيارينا ، وليس من السهل أن نجازف بإرسالهم إلى مهمة نجهل عواقبها إلى هذا الحد .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ ولكنهم فوق الهدف بالفعل .

أجابه قائد القوات الجوية فى حزم :

ـ ولن يتراجعوا قط ، حتى تصدر إليهم الأوامر بهذا .. وإذا ما كان الأمر بالهجوم ، فسينقضون ، ويقاتلون ، حتى آخر طائرة ، وآخر رجل .. ليس لدى أدنى شك فى هذا ، وهذه ليست قضيتنا .. المهم هو هل نهاجم ، أيًا كانت النتائج ، أم نكتفى بالرصد والمراقبة والحصار ، حتى يجتمع مجلس الأمن القومى فى الصباح ، ويتخذ قرارًا مناسبًا ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حسم ، ونهض من مقعده ، وشبك كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ كلاّ أيها القائد .. لا يمكننا الانتظار للصباح .. الأحداث تجرى بسرعة ، وذلك الجاسوس الفضائى يدرك جيدًا أن أمره قد انكشف ، وأن القتال يتمّ الآن على نحو مختلف ، ولا أحد يمكنه استنتاج ردود فعله

إزاء هذا ، أو سرعة تحركاته القادمة ، وهذا يعنى أن لكل دقيقة ثمنها الآن .. بل لكل ثانية .

أومأ قائد القوات الجوية برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ وماذا لو كانت هناك مركبات فضائية أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ لدينا ما يدعونا للاعتقاد بأنه لا يوجد سوى تلك .

أومأ قائد القوات الجوية برأسه متفهمًا مرة أخرى ، وعاد يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة ، بعد منتصف الليل ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .

ثم ضغط زر الاتصال ، وقال :

ـ من القائد إلى السرب السابع .. أما زلتم ترصدون الهدف ؟!

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يجيب :

ـ إننا فوقه مباشرة أيها القائد .

بدا صوت قائد القوات الجوية قويًا ، حازمًا ، حاسمًا ، وهو يقول :

ـ اهجم .

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يقول بحزم مماثل :

ـ عُلِمَ وسينفذ يا سيّدى .

أنهى قائد القوات الجوية الاتصال ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يرفع عينيه إلى القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ أتعشم أن نكون قد اتخذنا القرار المناسب .

ولم يجب أى من الرجلين ..

بل لم ينبس أحدهما ببنت شفة ..

فقط تبادلا نظرة متوترة ، تحمل كل قلق الدنيا ..

نظرة تعنى أن ما يأمله قائد القوات الجوية ، هو نفسه ما يأمله الجميع ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

انتشر فريق الأطباء بسرعة مدهشة ، فى حجرة العناية الخاصة ، التى ترقد فيها (سلوى) ، وراح بعضهم يقيس معدلاتها الحيوية ، والبعض الآخر يفحص الأجهزة المتصلة بها ، ليتأكد من أنها تعمل

بكفاءة ، فى حين أنهمك رئيس القسم فى مراجعة ما سجلته أجهزة القياس الرئيسية ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! معدلاتها تتدهور بسرعة مخيفة بالفعل .. اتخذوا الإجراءات لتنشيط القلب والدورة الدموية بأقصى سرعة ، و ...

هتف أحد الأطباء فجأة ، بصوت يشفّ عن دهشة بالغة :

ـ سيّدى .. انظر .. شاشة مراقبة الجنين .

أدار الجميع رءوسهم ، إلى حيث يشير الطبيب ، وتعلّقت عيونهم بشاشة صغيرة ، تنقل ، على نحو منتظم ، صور بالموجات فوق الصوتية ، للجنين الذى تحمله (سلوى) ، والذى بدا وكأنه يتحرك فى عصبية شديدة ، على نحو غير مألوف ، بالنسبة للأجنة البشرية على الأقل ..

وفى قلق أقرب إلى الذعر ، تساءلت (نشوى) :

ـ ماذا يحدث ؟! ربّاه ! ماذا يحدث ؟!

هزّ رئيس القسم رأسه ، فى حيرة بالغة ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا سيّدتى .. صدقينى .. لست أدرى .. لقد كان الجنين فى حالة جيّدة ، منذ وصول أمك إلى

هنا ، على الرغم من إصابتها العنيفة ، وتلك المادة الكيماوية الغامضة فى دمائها ، ولست أدرى ماذا أصابه فجأة ؟! ولماذا ؟!

ثم التفت إلى أحد الأطباء ، مستطردًا فى توتر :

ـ استدع أحد كبار الإخصائيين ، من أقسام النساء والتوليد .. أريد فحص هذه الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، توقّف الجنين عن تحركاته العصبية بغتة ، وعاد إلى هدوئه الطبيعى البسيط ، فى حين راح جهاز فحص الدم الدائم يرسم إشارات سريعة متزايدة ، على شاشة العرض الخاص به ، والتى حدّق فيها الجميع ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكأنما أذهلهم ما يرونه إلى أقصى حد ..

الدكتور (حجازى) وحده تكلّم ، وقال بدهشة كبيرة :

ـ ربّاه ! ذلك الهرمون .. إنه يتزايد فى دمائها بسرعة مدهشة .

غمغمت (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ أى هرمون ؟!

أجابها ، وعيناه معلقتان بشاشة الجهاز :

ـ هرمون خاص ، تفرزه المشيمة(*)، فى فترات الحمل الأولى ، ومهمته حماية الجسم من أية تدهورات ، ومنحه الطاقة اللازمة للجهد الزائد ..

سألته فى حيرة :

ـ ولماذا يتزايد إفرازه على هذا النحو ؟!

غمغم مبهورًا :

ـ بسبب حركة الجنين غير الطبيعية على الأرجح .

تمتمت :

ـ ولماذا هذه الحركة غير الطبيعية ؟!

لم يجب الدكتور (حجازى) هذه المرة ، وإنما بدا مبهورًا بحق ، وهو يشير بسبّابته إلى لوحة المعدلات الحيوية ، التى راح الجميع يحدقون فيها بذهول ..

(*) المشيمة : قرص غليظ مقوّس ، شبه لحمى ، ملتصق بباطن جدار الرحم ، ويتصل بالجنين بوساطة الحبل السرّى ، قطره حوالى (١٥ سم) ، وسمكه حوالى ($2\frac{1}{2}$ سم) ، ووزنه المعتاد فى حدود رطل واحد ، وهو عضو مؤقت ، يرتبط بفترة الحمل ، وتتخلله أوعية دموية كثيرة ، ووظيفته إجراء عمليات التبادل الغذائى والأكسجين ، بين دم الأم ودم الجنين ، كما أنه يفرز عددًا من الهرمونات ، بعضها معروف ، وبعضها مازال قيد البحث والدراسة .

فبسرعة مدهشة ، راحت المعدلات المتدهورة تتحسّن ، وترتفع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى عادت إلى ما كانت عليه ، قبل أن يحدث ذلك التدهور مباشرة ..

وفى انبهار ، اتسعت عيون الجميع ، وهبط عليهم جبل من الرهبة والخشوع ، ورئيس القسم يتمتم :

ـ سبحان الله (العلى القدير) .

ثم غمغم طبيب آخر فى انبهار :

ـ لقد أنقذها ذلك الجنين ، دون أن يدرى .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، متمتمًا :

ـ ومن أدراك أنه لا يدرى ؟!

بدت الدهشة على وجوه الأطباء ، وهمّ أحدهم بقول شىء ما ، و ...

وفجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، ردّدته جدران الحجرة فى عنف ..

انفجار حدث فى الحجرة المجاورة مباشرة .

حجرة (أكرم) ..

★ ★ ★

كل شرّ وشراسة الدنيا أطلّ من عينى ذلك الشخص ، فى حجرة (أكرم) ، وهو يصوّب كرته القاتلة ، نحو هذا الأخير ..

لم يكن يحتاج لأكثر من ضغطة بسيطة على جدارها ، لتنطلق منها كرة من النار ..

ويتحوّل (أكرم) إلى تاريخ ..

مجرّد تاريخ لبطل سابق ، من أبطال المخابرات العلمية ..

وعلى الرغم من صمته وسكونه الظاهريين ، كان (أكرم) يعانى من انفعال عنيف ..

عنيف للغاية ..

كان يشعر ويحسّ بما حوله ، منذ أصابه ذلك الشلل العجيب ، إلا أنه لم يكن قادرًا على تحريك إصبع واحد ..

أو حتى الصراخ ..

لسانه متجمّد فى فمه ، وجفناه متثاقلان ، وحلقه مسدود بغصة كبيرة ، مع شعوره بالعجز واليأس ، إلى أقصى حد ..

مرات عديدة فى الماضى ، راوده شعور بالعجز واليأس ..

وفى كل مرة كان يتصوّر أنه لم يشعر بهما كتلك المرة ..

أما فى هذه اللحظة ، فقد أدرك أنه فى قمة اليأس والعجز ..

أعلى قمة ..

إنه يرقد مشلولاً ، متهورًا ، وذلك الوغد على قيد سنتيمترات منه ، يصوّب إليه سلاحًا قاتلاً ، ويهمّ بنسفه نسفًا ، و ...

وفجأة ، اخترق مسامعه صوت خشن ، يهتف :

- إلى أين يا سيّدتى ؟! هذا محظور تمامًا ..

ثم سمع صوت باب الحجرة يُفتح فى عنف ..

ووقع أقدام نسائية تعدو إلى الداخل ، مع صوت زوجته (مشيرة) ، وهى تهتف فى عصبية شديدة :

- لا تحاولى منعى .. زوجى يرقد هنا ، ولن ...

ثم بترت عبارتها ، لتطلق شهقة قوية ، ثم تهتف :

- ربّاه ! من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه ..

بمنتهى العنف ..

وكم تمنى لحظتها لو استجاب جفناه وانفرجا ؛ ليلقى نظرة على ما يحدث ..

كم تمنى ؟!

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

أو يراه ..

ففى تلك اللحظة ، كانت (مشيرة) تواجه ذلك الشخص ، الذى بوغت بدخولها المفاجئ ، فأدار سلاحه نحوها ، ونحو رجلى الأمن ، اللذين لحقا بها ، و ...

وأطلق كرته النارية ..

وبحركة غريزية ، مالت (مشيرة) جانبًا ، وهى تطلق صرخة فزع رهيبة ..

وبفارق سنتيمترات ثلاثة ، تجاوزتها كرة النار ، وواصلت طريقها ، لترتطم بأحد رجال الأمن ، وتقتلعه من مكانه ، لتلقى به إلى الخلف فى عنف ، جعله يتجاوز ممر المستشفى كله ، ليصطدم بالجدار المقابل لباب حجرة (أكرم) ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وقفزت إشارات مخ (أكرم) أكثر وأكثر ، مع صرخات (مشيرة) المتصلة ، ورجل الأمن الثانى

ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحو ذلك الشخص ، الذى أدار كرته نحوه بسرعة أيضًا ..

وارتطم خيط الليزر بسترة الشخص ، وانعكس عنها فى عنف وقوة ، ليرتطم بالجدار ، ويصنع فيه فجوة كبيرة ..

وضغط الشخص كرته ..

وانطلقت كرة النار ..

وفى خفة ، وثب رجل الأمن جانبًا ، متفاديًا الكرة ، التى تجاوزته ، لترتطم بالجدار ، وتنفجر بصوت مكتوم ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها رجل الأمن إلى الأمام ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، أصاب خيط الليزر طرف عنق ذلك الشخص ..

وتفجّرت الدماء ..

دماء حمراء قانية ، تناثرت على فراش (أكرم) ووجهه ..

دماء دافئة ، شعر بها البطل ، وهو يرقد صامتًا ، ساكنًا ..

عاجزًا ..

وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..

وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

أما ذلك الشخص ، فقد أصابه الجنون ، مع إصابة عنقه ، فأطلق زمجرة قوية ، وهو يطلق معها كرة نارية جديدة ، نحو رجل الأمن ..

ومرة أخرى ، تفادى رجل الأمن كرة النار ، فى مهارة مدهشة ، وتركها تنفجر فى الجدار خلفه ..

وقبل أن يتلاشى دوى انفجارها المكتوم ، تعالى وقع أقدام رجال الأمن الآخرين ، وهم يهرعون إلى المكان ..

وتفجّر الغضب فى أعماق الشخص ..

ووجهه ..

وملامحه ..

وحتى فى تلك الصرخة الغاضبة ، التى أطلقها ، وهو يتراجع فى سرعة ، نحو نافذة الحجرة ..

واقتحم رجال الأمن المكان ..

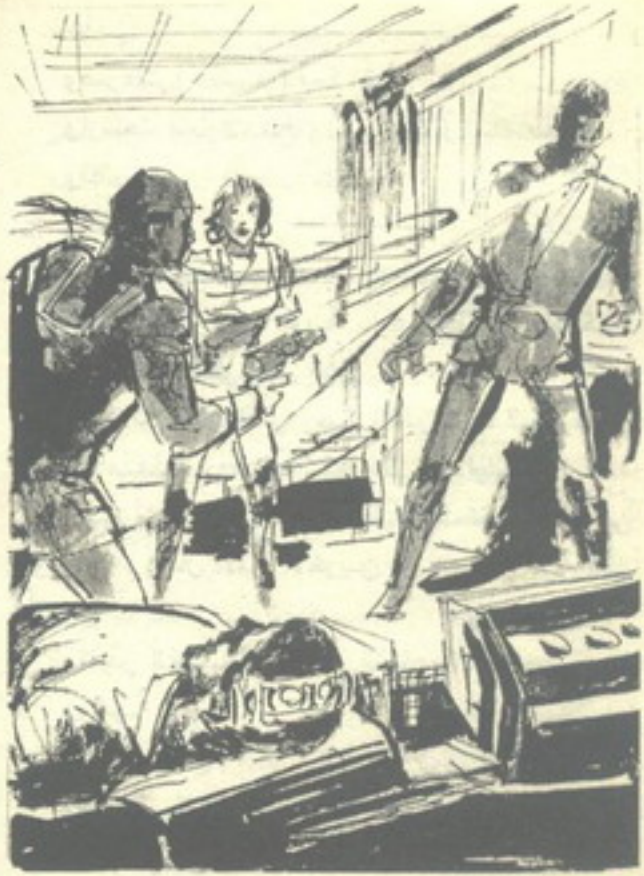

وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..
وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

وصرخت (نشوى) :

ـ أمسكوه .. لقد حاول قتل (أكرم) .. أمسكوه .

وأطلق ذلك الشخص صرخة غاضبة أخرى ، عندما ارتفعت فوهات الأسلحة الليزرية نحوه ..

ثم وثب نحو النافذة ..

ومع انطلاق خيوط الأشعة ، حطّم جسده النافذة ، وعبرها إلى حديقة المستشفى الخلفية ..

واندفع الجميع نحو النافذة المحطّمة ، و (نشوى) تهتف من خلفهم :

ـ لا تقتلوه .. ألقوا القبض عليه فحسب .. لا تقتلوه .

وما إن ألقى رجال الأمن نظرة على حديقة المستشفى الخلفية ، التى هرع إليها رجال الأمن الخارجين أيضًا ، حتى أدركوا أن هتافها لم يكن يعنى شيئًا ..

هذا لأن ذلك الشخص ، الذى وثب أمامهم عبر النافذة ، لم يعد له وجود ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

« السرب السابع .. استعد للانقضاض على الهدف .. سنستخدم الخطة الخاصة (م ـ ٣٠٠) ... » .

انتقلت العبارة ، من بين شفتى قائد السرب إلى رجاله ، عبر أجهزة الاتصال المحدودة ، فدارت المقاتلات كلها دورة كاملة ، ثم اتخذت تشكيلاً أشبه برأس السهم ، وهى تنقضّ على المركبة العجيبة ، التى ربضت ساكنة وسط صخور الصحراء ، مكتفية بشكلها المموّه المتقن ..

ولكن فجأة ، بدأت أجهزة الأمن داخلها تعمل ..

ورصدت تشكيل المقاتلات ، الذى ينقضّ عليها ..

وبسرعة ، راحت أجهزتها تفحص المقاتلات ، وتدرس تكوينها ، ثم أخذت تراجعه على الأرشيف الدقيق داخلها ..

وانطلق جهاز الإنذار ، والاستعداد للقتال ..

وفى غمضة عين ، تلاشى الغلاف المموّه المحيط بها ، وانطلقت محركاتها تعمل ..

ومن بعيد ، وعبر أجهزة الرؤية الليلية ، رصد قائد السرب السابع تلك الظاهرة ، فهتف بكل قوته :

ـ الآن ..

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، انطلقت صواريخ المقاتلات كلها فى آن واحد ..

ونحو هدف واحد ..

وبأقصى سرعتها ، انطلقت المركبة العجيبة ، محاولة تفادى ذلك السيل من الصواريخ ، وهى تطلق كراتها النارية نحو المقاتلات ..

وانفجرت إحدى مقاتلات السرب السابع ، وتحطّم جناح مقاتلة ثانية ، فهوت فى قلب الصحراء ، وانطلق المقعد القاذف بقائدها خارجها ، فى نفس الوقت الذى تفادت فيه المركبة العجيبة أمطار الصواريخ ، فيما عدا صاروخًا واحدًا ، انفجر على قيد متر واحد منها ، مما جعلها تميل فى عنف ، قبل أن تنطلق مرتفعة ، فى محاولة للفرار ..

وفى حزم وصرامة ، هتف قائد السرب :

ـ انطلقوا خلفها .. لا تسمحوا لها بالفرار .. تشكيل ثلاثى منفصل .

انقسم السرب إلى ثلاث فرق ، راحت تطارد المركبة فى سرعة خارقة ، وانطلقت صواريخها مرة أخرى ..

وفى هذه المرّة ، تفجّرت الصواريخ أكثر قربًا ..
وارتجّت المركبة الفضائية فى عنف ..
واختلّ توازنها لحظة ..
ومالت باتطلاقتها إلى أسفل ..
ومن مدافعها الخلفية ، انطلقت كرات النار مرّة أخرى ..
وسقطت مقاتلة ثالثة ، من مقاتلات السرب السابع ..
أما المقاتلات الأخرى ، فقد انفصلت فرقها الثلاث ، إلى اليمين واليسار والمنتصف ، وانطلقت صواريخها نحو المقاتلة العجيبة ..
وكان من الواضح أن تلك المركبة ، على الرغم من قدراتها العجيبة ، لم تكن مؤهّلة لمواجهة هجوم عنيف كهذا ..
لقد تفجّرت معظم الصواريخ حولها ، مع مناوراتها القوية ..
ثم انفجر صاروخ فوق قمتها مباشرة ..
واختلّ توازنها فى عنف ، حتى إنها راحت تدور حول نفسها ..

وبسرعة تقدير تستحق الإعجاب ، هتف قائد السرب :
ـ الصواريخ الإليكترومغنطيسية .. الآن ..
وبسرعة استجابة مدهشة ، نفذ رجاله الأمر ..
وأطلقوا الصواريخ الإليكترومغنطيسية نحو الهدف ..
ومع تفجُّر الصواريخ الحديثة ، حول المقاتلة العجيبة ، ارتفعت مقاتلات السرب السابع فى سرعة ، وابتعدت بأقصى قوتها وطاقتها ..
ولوهلة ، لم تدرك أجهزة المقاتلة سر هذا الابتعاد المباغت ..
ثم لم يعد بإمكانها أن تدرك شيئًا ..
أى شىء ..
هذا لأن تلك الصواريخ الإليكترومغنطيسية ، التى تفجّرت حولها ، قد أحاطتها بموجة قوية من المجال الكهرومغنطيسى المؤقّت ، على نحو أصاب كل أجهزتها بخلل عنيف ، اختلّ معه توازنها ، فهوت على نحو مخيف ..
ومع ارتطامها برمال الصحراء ، هتف قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال :

ـ سقط الهدف أيها القائد .

تلقّى قائد القوات الجوية الهتاف فى لهفة ، وهتف بدوره :

ـ انتقلوا إلى مرحلة السيطرة على الفور .

أجابه قائد السرب :

ـ سمعًا وطاعة أيها القائد .

وعلى شاشة المراقبة ، شاهد قائد القوات الجوية ، والقائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، طائرات السرب السابع ، وهى تقوم بدورة كبيرة فى سماء المعركة ، ثم تنقضّ مرة أخرى على المركبة المجهولة ، التى راحت تزحف بعنف على رمال الصحراء ، قبل أن ترتطم بكومة من الصخور ، وتتوقّف فى عنف ..

ومع ارتطامها ، عادت أجهزتها إلى العمل ، وعادت ترصد انقضاضة مقاتلات السرب السابع ، فأرسلت إشارة إليكترونية إلى نظامها الدفاعى ، الذى استعدّ لتوجيه ضربة جديدة ، و ...

ولكن مقاتلات السرب السابع أطلقت سلاحًا جديدًا .. وعجيبًا ..

لم تطلق الصواريخ ، أو مدافع الليزر ، أو حتى القنابل الموجّهة ..

لقد انطلق منها سيل من سائل لزج ، عبر مضخات قوية ، ليغمر المركبة من كل جانب ..

ولوهلة ، لم تدرك الأجهزة المتطوّرة داخل المركبة الموقف ..

إلا أنها راجعت أرشيفها بسرعة ..

وعثرت على تصنيف ذلك السلاح الجديد ..

كان مادة مغنطيسية عازلة ، مهمتها أن تعزل أى جسم إليكترونى عن الوسط المحيط ، وأن تعترض الذبذبات الإليكترونية داخله ، و ...

وكان هذا آخر ما سجّلته أجهزة المركبة المجهولة ..

ثم توقّفت كلها دفعة واحدة ..

وعبر جهاز الاتصال ، هتف قائد السرب فى حماس :

ـ تمت السيطرة على الجسم المجهول .

هتف القائد الأعلى ، عندما سمع العبارة ، فى حجرة قائد القوات الجوية :

ـ رائع .. لقد فعلها أبطالك بحق .

ولكن قائد القوات الجوية أشار بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ دعنا نتيقّن من أن كل شيء على ما يُرام ، قبل أن نبدأ احتفالنا .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

ـ قوموا بثلاث دورات حول المركبة ، وتأكّدوا من أن غلافنا قد أوقف كل أجهزتها عن العمل .

أتاه صوت قائد السرب ، يقول :

ـ عُلِمَ وسينفّذ .

وتطبيقًا للأوامر ، راح نسور السرب السابع يحومون حول المركبة ، التى أحاط بها غلاف أبيض اسفنجى ، وأخذ قائد السرب يقول :

ـ كل شيء يبدو على ما يُرام .. المركبة ثابتة ومستقرّة ، وأجهزتنا لا تلتقط أية ذبذبات صادرة منها .. لقد قمنا بدورة كاملة ، وكل شيء على ما يُرام .. سنبدأ الدورة الثانية على الفور ، و ...

بتر عبارته بغتة ، على نحو ارتجفت له أطراف الدكتور (جلال) ، وانعقد له حاجبا القائد الأعلى ، الذى تبادل نظرة عصبية متوترة ، مع هذا الأخير ، فى حين هتف قائد القوات الجوية ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ماذا حدث لديك يا (نسر ـ ٧) ؟!

أتاه صوت قائد السرب ، وهو يجيب فى توتر :

ـ ربّاه ! إننا نلتقط إشارات منتظمة أيها القائد .. إشارات تبدو وكأنها تأتى من .. من ...

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهمهم الدكتور (جلال) بعبارة مختنقة غير مفهومة ، فى حين هتف قائد القوات الجوية فى توتر شديد ، عبر جهاز الاتصال :

ـ من أين يا (نسر ـ ٧) ؟! من أين ؟!

أجابه قائد السرب ، فى عصبية واضحة :

ـ إنها تزداد قوة وقربًا .

هتف قائد القوات الجوية مرة ثانية :

ـ من أين تأتى تلك الإشارات يا (س ـ ٧) .. من أين ؟!

بدا صوت قائد السرب شديد التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

ـ من أعلى .

ومع آخر حروف كلماته ، نقلت أجهزة الاتصال دوى انفجار قوى ..

ثم توقّف البث دفعة واحدة ..

ولم ينطق أى من الرجال الثلاثة كلمة واحدة ، أو ينبس بحرف واحد ..

ولكن عيون ثلاثتهم التقت بنظرة عجيبة ..

نظرة حملت كل ذعر وتوتر ودهشة الدنيا ..

أو ما هو أكثر ..

بكثير .

★ ★ ★

٤ ـ الكل للواحد ..

« كل ما عثرنا عليه هو حارس صريع .. » .

ألقى رئيس طاقم الأمن العبارة فى حنق ، ولوّح بذراعيه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ ذلك الشخص اختفى تمامًا ، وكأنما تلاشى فى الهواء ، ولم يعد له أدنى أثر .. لقد فحصنا كل شبر فى المكان ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

أجابه رئيس القسم ، فى شىء من الحزم :

ـ لقد ترك أثرًا هنا .

سأله قائد الأمن فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أشار رئيس القسم إلى قطرات الدم ، التى تناثرت على وجه (أكرم) وفراشه ، وهو يجيب :

ـ ها هو ذا .

هتفت (نشوى) :

ـ آه .. دماؤه .. إنها أهم أثر يمكن أن نحظى به .

احتضنت (مشيرة) يد (أكرم) فى قوة ، تشفّ عن كل توترها ، وخوفها ، ولهفتها ، وجزعها ، وهى تقول :

ـ لقد حاول قتل زوجى .. حاول قتل (أكرم) ..

ربّت (نشوى) على كتفها ، قائلة فى تعاطف :

ـ وصولك غير القانونى أنقذ حياته يا عزيزتى .

أغمضت (مشيرة) عينيها ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

واحتضنت كف (أكرم) فى حنان ، متسائلة فى لهفة :

ـ كيف حاله ؟! متى سيعود إلى وعيه ، ويشعر بوجودى ؟!

تطلّع رئيس القسم إلى إشارات المخ ، التى تذبذبت على نحو واضح ، وهو يجيب فى تأثُّر :

ـ إنه يشعر بالفعل يا سيّدتى .

هتفت (مشيرة) :

ـ حقًا ؟!

ثم طبعت قبلة حانية على يد زوجها ، مستطردة :

ـ عد إلىّ يا حبيبى .. لم أعد أحتمل غيابك هذا .

ربّتت (نشوى) على ظهرها مرة أخرى ، فى حين أشاح رئيس القسم بوجهه ، فى محاولة لإخفاء تأثُّره ، وهو يقول للأطباء فى حزم :

ـ هيّا .. تحرّكوا بسرعة .. احصلوا على عينة الدم هذه .. أريد فحصها بأقصى سرعة ، وأفضل وسيلة ممكنة .

تدخّل الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى حزم :

ـ دع لى هذه المهمة أيها الطبيب ؛ فأنا شغوف بمعرفة الفصيلة ، التى ستنتمى لها دماء هذا الغريب .

غمغم أحد الأطباء فى توتر :

ـ هل تتصوّر أننى قد شعرت بالدهشة ، لأن لونها أحمر كدمائنا .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ ولماذا الدهشة ؟!

صمت الطبيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. ربما كنت أتصوّر دائمًا أن دماء المخلوقات الفضائية ستكون خضراء أو زرقاء ، أو ...

هتف أحد رجال الأمن فى دهشة مستنكرة :

ـ مخلوقات فضائية ؟! ذلك الشخص بدا لى بشريًا مثلنا !

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ هذا ما بدا لى أيضًا .

هزّ الطبيب رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ هل نسيتما أنه ينتمى لذلك المخلوق ، الذى أثار كل الرعب ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بسبّابته ، وهو يقول :

ـ هل نسيت أنت أن ذلك المخلوق كان مجرّد تكوين آلى ؟!

مطّ الطبيب شفتيه ، وتمتم :

ـ كلاّ .. لم أنس ، ولكن كل شىء يبدو مضطربًا مشوّشًا ، ويحتاج إلى ألف تفسير لتوضيحه .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن أعود إلى عملى الأصلى .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

ـ مع بعض التطوير .

سألها رئيس القسم فى اهتمام :

ـ أى تطوير ؟!

أجابته ، وهى تشير إلى جهاز رسم إشارات المخ ، المتصل برأس (أكرم) :

ـ لن أكتفى بنقل وترجمة إشارات مخ أبى فحسب ، وإنما سأوصل أجهزة رسم المخ ، الخاصة بالجميع ، بجهاز الكمبيوتر الخاص بى ، عبر أربع قنوات مختلفة .

ثم تنهّدت فى حرارة ، قبل أن تستطرد :

ـ إننى أرغب فى عقد اجتماع عاجل للفريق .

بدت كلماتها عجيبة مثيرة ، فى مثل هذه الظروف ، حتى إن أحدًا من الحاضرين لم ينبس ببنت شفة ، وقد غرقوا جميعًا فى صمت مهيب ، قطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يتمتم :

ـ معذرة أيها السادة .. أستأذنكم فى الانصراف .. إننى أرغب فى فحص عينة الدم على وجه السرعة ، وسأضطر لاستخدام أدواتى الخاصة ، بعد أن تحطّمت معاملكم ، وهذا يحتاج إلى وقت أطول .

اعتدلت (نشوى) فى حزم ، وهى تشير إليه ، قائلة :

ـ لحظة يا دكتور (حجازى) .

ثم استدارت إلى رئيس طاقم الأمن ، مستطردة بلهجة آمرة :

ـ ذلك الشخص ، أيًا كانت هويته ، يدرك جيدًا أن الدماء التى تركها خلفه ستفيدنا ، على نحو أو آخر ، وهذا يرجح أنه سيحاول منع عملية فحصها بأى ثمن ، لذا فسيكون عليك والرجال أن تحيطوا الدكتور (حجازى) بحراسة مكثفة ، وأن تعملوا على حمايته ، وحماية نتائج فحصه ، بأى ثمن كان .. استخدموا أجهزة رصد صوتية وحرارية ، ومقياس للذبذبة ، واحتفظوا بالمكان ، الذى سيجرى فيه الدكتور (حجازى) فحصه سرًا .. هذا الأمر يتعلق بأمن الدولة ، وربما بمصير الأرض كلها ، لذا فلا تترددوا فى التضحية بحياتكم نفسها ، فى سبيل منع أى عدو ، من إفشال عمل الدكتور (حجازى) هذه المرة .

كانت تتحدث بأسلوب قيادى محض ، اهتزت له أوتار مشاعر الجميع ، وجعل الدكتور (حجازى) يغمغم :

ـ لقد أنجبت يا (نور) .. حقًا أنجبت .

ثم أشار إلى قائد الأمن ، قائلاً :

ـ هيا يا رجل .. لدينا عمل مهم لننجزه .

واندفع مع طاقم من رجال الأمن خارج المكان ، فى حين التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، للسيطرة على مشاعرها ، قبل أن تلتفت إلى الباقين ، قائلة :

ـ نحن أيضًا لدينا عمل لننجزه .

قالتها بنفس الحزم واللهجة القيادية ..

ولكن الواقع أن هذا كان يخفى توترًا واضطرابًا عنيفين فى أعماقها ..

ربما لأنها ما زالت تجهل ما الذى يمكن أن يقود إليه كل هذا ؟!

وكيف يمكن أن تواجه الخطوات القادمة ؟!

ومتى ؟!

★ ★ ★

تصاعدت تلك الذبذبة ، القادمة من أعلى ، وتزايدت بسرعة مخيفة ، معلنة اقتراب جسم مجهول ، من مقاتلات السرب السابع ، التى راحت أجهزتها تعمل بأقصى قوتها وسرعتها ، محاولة رصد وكشف ذلك الجسم المجهول ، إلا أن كل الأجهزة لم تعلن عن رصد شىء ما ، على الرغم من تزايد الذبذبة أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..
ثم فجأة ، ظهر ذلك الجسم ..
والتقطته كل الأجهزة فى آن واحد ..
وأدرك الجميع ، فى لحظة واحدة ، لماذا لم يتم رصده من قبل !
لقد كان جسمًا صغيرًا للغاية ، فى حجم برتقالة عادية ، برز بغتة وسط طائرات السرب ، ثم انفجر ..
ودوى الانفجار وسط مقاتلات السرب ، التى توقفت أجهزتها الإليكترونية كلها دفعة واحدة ، وانقطعت كل الاتصالات منها وإليها ، واختل توازنها ، وراحت تهوى على نحو مخيف ، نحو رمال الصحراء ..
كان من الواضح أن ذلك الشىء الصغير ، هو قذيفة إليكترومغنطيسية ، أكثر تطورًا من تلك الصواريخ ، التى أطلقوها نحو المركبة المجهولة ..
لقد فقدوا السيطرة على كل الأجهزة الإليكترونية فى مقاتلاتهم دفعة واحدة ..
وراح السرب كله يهوى ..
ويهوى ..

ويهوى ..
وكان من الطبيعى أن ينتهى هذا السقوط بالارتطام برمال الصحراء ..
والانفجار ..
وفناء السرب السابع ..
عن آخره ..
ولكن ..
وكل تصاريف القدر تتبع كلمة (لكن) هذه ..
فمن حسن الحظ ، ودقة التقدير ، وبراعة القيادة ، ورحمة الله (سبحانه وتعالى) ، أن مقاتلى السرب السابع ، باعتبارهم أفضل نسور القوات الجوية المصرية ، قد تدرّبوا على التصرّف ، فى حالة تعرُّضهم لخلل إليكترومغنطيسى ..
وكانت طائراتهم مزوّدة بالقدرة على القيادة اليدوية ، فى حالات الطوارئ القصوى ..
تمامًا مثل قيادة الطائرات الشراعية ، التى لا تحوى أية محركات ..
ولم يكن الأمر بحاجة حتى إلى أوامر مباشرة ..
أو حتى غير مباشرة ..

ففى آن واحد تقريبًا ، سيطر كل مقاتل على طائرته ، وألغى كل الاتصالات الإليكترونية داخلها ، وراح يتعامل معها باعتبارها مجرّد طائرة شراعية عادية ، على الرغم من ثقلها ، ودرجة تسليحها العالية ..

واعتدلت الطائرات فوق رمال الصحراء ..

وراحت تهبط على نحو منتظم ..

لم يكن الهبوط سهلاً أو هينًا ..

لقد ارتطمت المقاتلات برمال الصحراء ، وراحت تزحف فوقها لعدة أمتار ..

بعضها ارتطم بصخور الصحراء ..

وبعضها اختلّ توازنه ، مع الهبوط على الرمال ، فمال أحد جناحيه ، وارتطم بالتباب ، وتحطّم فى عنف ..

والبعض الأخير نجا بأعجوبة ..

ومن هذه الفئة الأخيرة ، كان قائد السرب ، الذى راح يضغط أزرار جهاز الاتصال الداخلى فى توتر ، هاتفًا :

ـ هل هبط الجميع بخير ؟! هل يسمعنى أحدكم ؟!

ولما لم يتلق جوابًا ، استخدام ذراع الإزاحة اليدوى ، ليدفع قمة كابينة القيادة إلى الخلف ، ووثب خارجها ، وهو يهتف بأقصى قوته :

ـ هل الجميع بخير ؟!

أتاه صوت أحد رجاله ، يهتف :

ـ رقم (١٠٠٤) بخير .

ثم تلاه صوت يقول :

ـ رقم (١٠٠٧) بخير .

وتوالت الهتافات ، لتعلن أن الجميع بخير ، مما عدا نسر واحد ، أصيب بكسر فى ذراعه ، مع عنف الهبوط ..

وبسرعة ، راح المقاتلون يعاونون زميلهم المصاب ، فى حين التفّ بعض منهم حول قائدهم ، وسأله أحدهم فى توتر :

ـ ترى ما هذا الشىء أيها القائد ؟!

لوّح القائد بيده ، قائلاً :

ـ إنها قنبلة كهرومغنطيسية فائقة القوة ، تتبع تلك المركبة المجهولة حتمًا .. نوع من الحراسة الاحتياطية ، التى تتدخل لإتلاف معدات الهجوم ، إذا ما تعرّضت المركبة الأولى للخطر .

رفع أحدهم رأسه إلى أعلى ، مغمغمًا فى توتر :

- ومن أدرانا أنه لا توجد حراسات احتياطية أخرى ؟!

هزّ القائد كتفيه ، وألقى نظرة بدوره إلى السماء ، مجيبًا :

- لا أحد يمكنه الجزم .

ثم تلفّت حوله متوترًا ، وهو يضيف :

- ثم إنه لا فارق ، فى وضعنا الحالى .. لقد انقطعت كل وسائل الاتصال ، واضطررنا للهبوط فى قلب الصحراء ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما هتف أحد رجاله ، مشيرًا إلى المركبة ، المحاطة بتلك المادة الرغوية الكثيفة :

- ربّاه !! انظر أيها القائد .

استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم إلى ذروتها ..

فعلى الرغم من الغلاف الرغوى الكثيف ، ومن الصواريخ الإليكترومغنطيسية ، التى يفترض أن تصيب كل أجهزتها بخلل عنيف ، كانت تلك المركبة

استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم إلى ذروتها ..

المجهولة تتألق بوهج أزرق عجيب ، وترتفع عن رمال الصحراء فى بطء مثير ..
ومخيف .

★ ★ ★

ران صمت مهيب على حجرة (نور) ، فى المستشفى العسكرى ، وتعلقت العيون كلها بأصابع (نشوى) ، وهى تتنقل على أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تضغط زرًا أخيرًا ، ثم تتراجع لتلقى نظرة نهائية على برنامجها المركب ، وتغمغم :

ـ أتمثم أن يكون كل شىء على ما يُرام .

لم يعلق أحد بحرف واحد على عبارتها ، وإنما أشرأبت أعناقهم ، للتطلع أكثر وأكثر إلى شاشة الكمبيوتر ، التى انقسمت إلى أربع خانات ، تحمل كل منها صورة أحد أفراد الفريق ، الذى يرقد فى حالة الشلل الكامل ، فى حين امتدت من الكمبيوتر نفسه حزمة من الأسلاك ، اتصلت بجهاز خاص ، ينقل إشارات أجهزة رسم المخ إليه ، ويقوم بترجمتها ، عبر البرنامج الخاص ، إلى لغة معروفة ، تتحول بفعل برنامج آخر بسيط إلى صوت مسموع ، يختلف من خانة إلى أخرى ..

باختصار ، كان ذلك البرنامج قادرًا ، على تحويل ما يدور فى أذهان أفراد الفريق ، إلى أصوات وانفعالات واضحة ، على الرغم من رقدتهم الساكنة الصامتة ، وعجزهم التام عن السيطرة على حواسهم ..

وبأصابع مرتجفة ، أمسكت (نشوى) بوق الكمبيوتر ، وضغطت أحد الأزرار ، قائلة :

ـ أبى .. طبقًا لحساباتى ، المفترض أن تسمعنى ، وأن تستوعب كل ما أقول الآن ، بمنتهى الدقة والوضوح ، فهل هذا صحيح ؟!

أنهت عبارتها ، واحتبست أنفاسها ، وتضاعف الصمت أكثر وأكثر ، حتى بدا وكأنه أقل همسة ، ستبدو فى هذه الحجرة أشبه بدوى الطبول ..

وانقسمت عيون الجميع وأفكارهم إلى قسمين متساويين ..

قسم بصرى ، يتنقل فى سرعة وتوتر ، بين شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، وشاشة كمبيوتر (نشوى) ..

وقسم سمعى ، أُرهِفَ بالكامل ، فى انتظار رد فعل (نور) ، الذى سيحوله برنامج الكمبيوتر إلى صوت مسموع ، و ...

« أحسنت يا (نشوى) .. » ..

انبعث الصوت من مسماع الكمبيوتر ، فسرت ارتجافة فى أجساد الجميع ، فى حين انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! لقد نجحت .. يا إلهى !

وتفجّرت الدموع غزيرة من عينيها ، غير مصدّقة أن فكرتها قد تكللت بالنجاح ، فانبعث صوت (نور) من الكمبيوتر مرة أخرى ، وهو يقول :

- فكرتك عبقرية .. لم يكن من الممكن أن يفعل الفريق كله ما هو أفضل ، لو أنه فى موضعك .. لقد تفوّقت علينا جميعًا .

كانت دموعها تغرق عينيها ، وسط انبهار الجميع ، وهى تقول :

- المهم أننى نجحت يا أبى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

هتف رئيس القسم فى حماس :

- نجحت ؟! بل حققت معجزة يا بنيتى .. معجزة على أى مقياس طبى وعلمى .

كان جهازها ينقل كل الأصوات فى الحجرة إلى حجرات العناية الخاصة الأخرى ، التى يرقد فيها

(رمزى) و (أكرم) و (سلوى) ، عبر أجهزة اتصال خاصة ، لذا فقد انبعث صوت (سلوى) ، وهى تقول :

- إنها ابنتى .

هتف طبيب آخر فى حماس منقطع النظير :

- وخير من أنجبت يا سيّدتى .

انبعث صوت (أكرم) ، قائلاً :

- أشكرك يا (نشوى) .. أخيرًا لم أعد أشعر بذلك العجز السخيف ، الذى كاد يقتلنى .. كيف حال (مشيرة) ؟!

أجابته من وسط دموعها :

- لقد أعادوها إلى منزلها يا (أكرم) .. هذا أفضل لها ، فى الوقت الحالى .

أتاها صوت (رمزى) ، وهو يسأل :

- وكيف حال (محمود) الصغير ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تمسح دموعها فى تأثُّر :

- هذا سبب آخر لعودة (مشيرة) إلى منزلها يا (رمزى) ؛ فهى تتولّى العناية به ، حتى أنتهى من مهمتى .

قال (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال الخاص جدًا :

ـ إننى أشعر بالفخر لما فعلت يا عزيزتى .

انبعث صوت (نور) ، يقول :

ـ كلنا نشعر بالفخر لما فعلته (نشوى) يا (رمزى) ، ولكن علينا أن نؤجّل كل هذه المشاعر لما بعد ؛ فلن يمكننا التعبير عنها فى وضوح الآن .. المهم أن نتآزر ؛ لحل لغز ذلك الفضائى المزعوم .

سألته (نشوى) فى دهشة :

ـ ولماذا تصفه بالمزعوم يا أبى ؟!

صمتت الأصوات الإليكترونية بضع لحظات ، قبل أن ينبعث صوت (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ هذا اجتماع خاص بالفريق ، والأفضل أن يتم بصورة مغلقة كالمعتاد .

بدا الحرج على الأطباء ، ولكن رئيس القسم قال فى صرامة :

ـ هيّا .. سنتركهم لعلهم ، ونعود نحن لعملنا .

لم تمض دقائق ، حتى خلت الحجرة تمامًا ، وأعلنت (نشوى) ذلك ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فقال (نور) ، بذلك الصوت الخالى من الانفعالات ، الذى يصنعه برنامج الكمبيوتر المتطوّر :

ـ الآن أريد معرفة كل ما حدث ، منذ سقطت فى حالة الشلل السخيفة هذه ، وبأدق التفاصيل .

غمغمت (نشوى) :

ـ كنت أتوقّع هذا .

ثم راحت تروى له كل ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

واستمع إليها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يسأل (نور) :

ـ وماذا عن الأحداث الأخرى ؟!

سألت (نشوى) فى حيرة :

ـ أية أحداث أخرى ؟!

أجابها :

ـ ماذا عما يعلمه القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، حتى لحظتنا هذه ؟!

أومأت برأسها متفهّمة ، وقالت ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ سأوصلك بالقناة السرية الخاصة ، لتنقل إليك كافة التفاصيل ، لحظة فلحظة .

استغرق عقل (نور) فى متابعة التفاصيل ، فى حين قالت (سلوى) :

ـ منذ سقطت فى حالة الشلل هذه ، وأنا ألقى على نفسى سؤالاً واحدًا .. كيف طاردتنى تلك الكرة على هذا النحو ؟! ولأن جسدى كان مسترخيًا تمامًا ، رحت أراجع كل معلوماتى عن التوصيل والتتبُّع ، ولم أجد سوى تفسير واحد ، قد يفتقر إلى المنطقية بعض الشىء ، ولكن له أسس علمية .

أتاها صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ أهى عملية تتبُّع البصمة الجينية ؟!

قالت (سلوى) :

ـ بالضبط .. لقد شاركت مع بعض علماء البيولوجيا ، فى بعض التجارب الأوّلية لشىء مشابه يا (نور) .. قذيفة تتبُّع البصمة الجينية لنوع خاص .. الأسود مثلاً أو التماسيح ، وأعتقد أنه يمكن تطوير مثل هذه القذيفة فى المستقبل ، لتعقُّب بصمة جينية بعينها .

قال (نور) :

ـ بالضبط .. كل شىء يمكن التوصُّل إليه فى المستقبل .

تساءل (أكرم) :

ـ حتى ذلك الآلى ، الذى يعتمد على خلايا حية ؟!

أجابه (نور) :

ـ حتى ذلك يا (أكرم) .. هناك تجارب بالفعل فى هذا الشأن ، ولكنها لم تكلَّل بالنجاح بعد ، ويطلق عليها اسم مشروع (سيبورج) (*).

قال (أكرم) :

ـ إذن فعدونا آت من كوكب يفوقنا تقدُّمًا بالفعل يا (نور) .

فقال (نور) :

ـ ربما يثبت فحص عينة دمه أمرًا آخر .

تدخل (رمزى) ، قائلاً :

ـ أى أمر يا (نور) ؟! إنها محاولة غزو فضائية ولا شك .. هل نسيت العنصرين المجهولين ، فى تلك المادة الكيماوية ، التى فعلت بنا كل هذا ؟!

قالت (نشوى) فى دهشة :

ـ وكيف علمت بأمر العنصرين المجهولين ؟! إنك أو ضحية لتلك المادة يا (رمزى) ؟!

صاحبها فى سرعة :

أنسيت أننى كنت أستمع إلى أحاديثكم طوال الوقت ؟!

(*) حقيقة .

غمغمت :

ـ آه .. كيف نسيت هذا ؟!

تساءل (نور) :

ـ وماذا عن عملية فحص بقايا الآلى ؟! هل أسفرت عن شىء ؟!

أجابته فى ضيق :

ـ لست أدرى .. لقد استولى الرائد (أيمن) وفريقه على كل بقايا الآلى .

قال :

ـ فيما عدا قطعة واحدة .

سألته فى لهفة :

ـ وأين هى ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ فى جيبى .

أسرعت إلى سترته ، المعلّقة فى دولاب الحجرة ، وراحت تفتش جيوبها فى سرعة ، حتى التقطت الدائرة الإليكترونية الصغيرة ، فهتفت :

ـ أهى تلك الدائرة الصغيرة ؟!

أجاب :

ـ بالضبط .. هل يمكنك فحصها ؟!

التقطت عدسة مكبّرة كبيرة من حقيبتها ، قائلة :

ـ بالطبع .

وضعت الدائرة الإليكترونية تحت العدسة الكبيرة ، وراحت تفحصها باهتمام بالغ ، قبل أن تقول فى حيرة :

ـ عجبًا ! إنها تشبه الدوائر التى نصنعها هنا ، ولكنها أكثر دقة وتطورًا إلى حد كبير .

سألها (نور) :

ـ هل ترين أية كلمات عليها ؟!

عادت تفحص الدائرة بدقة أكثر ، قبل أن تقول :

ـ نعم .. هناك كلمات فى طرفها ، ولكنها صغيرة ودقيقة للغاية .

سألها (نور) :

ـ هل يمكنك تكبيرها أكثر ؟!

أجابته ، وهى تضغط بضعة أزرار ، فى طرف العدسة ، فتضاعفت قوة تكبيرها مرة ، وأخرى ، وثالثة ..

ومع كل مرة ، كانت تلك الكلمات الدقيقة تتضح أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..
ومع وضوحها ، شهقت (نشوى) ، هاتفة :
ـ ربّاه ! إنها حروف عربية واضحة .
قال (أكرم) :
ـ عربية ؟!
وقالت (سلوى) :
ـ أعتقد أنه باستطاعتى استنتاجها .
أما (رمزى) ، فقال :
ـ أخشى أن ..
قبل أن يتمّ الكمبيوتر عملية تحويل إشارات مخه إلى كلمات مسموعة بصوته ، اقتحم الدكتور (حجازى) الحجرة ، هاتفًا :
ـ (نشوى) .. لن يمكنك أن تتخيّلى نتيجة فحص عينة دم الغريب .
فوجىء بصوت (نور) ، يقول :
ـ مرحبًا يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننى أستطيع استنتاج ما لديك .
هتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ ربّاه ! لقد فعلتها إذن يا (نشوى) ! فعلها برنامجك العبقرى !
سألته (نشوى) فى توتر :
ـ ما الذى أسفر عنه فحص عينة الدم يا دكتور (حجازى) ؟!
قبل أن تنفرج شفتا الطبيب الشرعى ، أجاب (نور) ، بذلك الصوت الآلى الرتيب ، الخالى من أية انفعالات :
ـ إنها ليست عينة دماء غير عادية .
هتف الدكتور (حجازى) :
ـ يا إلهى ! بالضبط يا (نور) .. إنها عينة دم بشرية ، من فصيلة (أ) موجبة .
قالت (نشوى) فى دهشة بالغة :
ـ مستحيل ! هل يمكن أن يحمل سكان الكواكب الأخرى نفس فصائل دمائنا .
أجابها (رمزى) :
ـ ألم تستوعبى الأمر بعد يا (نشوى) .. حديث القائد واضح للغاية .
واتبعث صوت (أكرم) ، يكمل :
ـ خصمنا ليس فضائيًا مجهولاً .

وأكملت (سلوى) :

- إنه بشرى .. مجرّد بشرى عادى .

اتسعت عينا (نشوى) فى ذعر ذاهل ، وهى تهتف :

- مستحيل ! هذا مستحيل تمامًا .. لو أنه مجرّد بشرى ، فكيف يمكن تفسير الأسلحة المتقدّمة ، والآلى ذى الخلايا الحية ، والعنصرين المجهولين ، والمادة الغامضة ، و ...

قاطعها (نور) ، قائلاً :

- لكل هذا تفسير آخر يا (نشوى) .

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- وما هو ؟!

وبالصوت الآلى ، الخالى من الانفعالات ، ألقى (نور) تفسيره ..

واتسعت عيون الدكتور (حجازى) و (نشوى) عن آخرهما ..

فقد كان التفسير مدهشًا وعجيبًا !! للغاية .

★ ★ ★

٥ - الغـــد ..

تراجع نسور السرب السابع فى حذر ، أمام مشهد المركبة ، التى تألّقت بذلك الضوء الأزرق ، وارتفعت عن الأرض فى بطء شديد ، وانتزع كل منهم مسدسه الليزرى فى تحفز ، وأحدهم يتساءل فى انزعاج :

- ماذا يحدث أيها القائد ؟!

أجابه قائد السرب ، وهو يصوّب مسدسه الليزرى إلى المركبة ، وكأنما يتوقّع إسقاطها بأشعته :

- من الواضح أن تلك القنبلة ، التى أوقفت أجهزتنا الإليكترونية ، كان لها تأثير معاكس ، على أجهزة هذه المركبة العجيبة .. لقد أعادتها إلى العمل ، على نحو أو آخر .

قال رجل آخر فى عصبية :

- أ .. أليس من المفترض أن تعزلها المادة الرغوية عن أية تأثيرات إليكترونية خارجية ؟!

هزّ قائد السرب كتفيه فى حيرة ، وهو يجيب :

- بلى .. من المفترض هذا ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دارت المركبة حول محورها في بطء ، لتواجه نسور السرب السابع بمقدمتها ، فهتف أحدهم ، وهو يصوّب إليها مسدسه الليزرى بدوره :

ـ رباه !.. إنها تستعد لإطلاق أسلحتها علينا .

انعقد حاجبا قائد السرب ، وراح عقله يدرس الموقف في سرعة ..

حركة المركبة توحي بأنها تستعد لاقتناصهم بالفعل ..

والصحراء أمامهم ممتدّة إلى ما لانهاية ..

ولا يوجد ما يمكن الاحتماء به .

سوى مقاتلاتهم ..

وانفجار المقاتلة أكثر عنفًا في كرات النار العادية ..

وهذا يعني أنه لا مفر من الموت ..

« أيها النسور .. » .

انطلقت صيحته حاسمة حازمة ، وهو يصوّب مسدسه إلى المركبة في إحكام ، متابعًا بلهجة قوية :

ـ فليكن ثمن دمائكم غاليًا .

فهم الجميع ما يعنيه ، فارتفعت مسدساتهم الليزرية في وجه المركبة ..

وأطلت من العيون نظرة حازمة ، حاسمة ..

كل العيون ..

وأكملت المركبة استدارتها ..

وأصبحت تواجههم تمامًا ..

« الآن أيها النسور .. » .

انطلقت صيحة قائد السرب هذه المرة قوية هادرة ..

وانطلقت معها مسدسات النسور..

وهوت على المركبة كالسيل ..

أو أشد قوة ..

وتفجّر جزء من الغلاف الرغوى ، في مقدّمة المركبة ..

وانطلقت عبره كرة من النار ، أصابت أحد النسور ، وتفجّرت في صدره ، وانتزعته من مكانه في عنف ، لتلقى به على مسافة خمسة أمتار ، فوق رمال الصحراء ..

وانطلقت أشعة النسور ثانية ..

وأجابت المركبة بكرة نارية ثانية ..

وضحية جديدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتراجع أحد النسور خطوة واحدة ..

لقد انطلقت أشعة مسدساتهم الليزرية بلا توقُّف ..

وبلا هوادة ..

وعلى الرغم من شعورهم بأنه ليس هناك أمل من المقاومة ..

أدنى أمل ..

ولكن فجأة ، ظهرت الحوامات الحربية فى سماء المعركة ..

ودون مقدمات ، انقضَّت على المركبة الغريبة ..

وما إن لمح قائد السرب السابع تلك الشبكة المعدنية ، التى تمتدّ أطرافها إلى الحوامات ، حتى هتف برجاله :

ـ تراجعوا .. بأقصى سرعة ..

وانطلق الرجال يعدون مبتعدين ..

وتوقَّفت المركبة عن إطلاق كراتها النارية ..

وتحرَّكت أجهزتها ؛ لترصد تلك الحوامات الحربية ..

وفى نفس اللحظة ، أسقطت الحوامات شبكتها المعدنية ..

وفى لحظة واحدة ، كانت تلك الشبكة المعدنية تحيط بالمركبة العجيبة ..

ثم تفجَّرت داخلها صواعق عجيبة ..

عشرات الصواعق ، انتقلت من نقطة إلى أخرى ، عبر الشبكة المعدنية ..

وانتفضت المركبة العجيبة ..

وانتفضت ..

وانتفضت ..

ثم توقَّفت تمامًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، هبطت الحوامات ، وسط نسور السرب السابع ..

أما المركبة العجيبة ، فقد سكنت حركتها تمامًا ، معلنة هزيمتها الفادحة هذه المرة ..

دون أدنى شك ..

★ ★ ★

« من المستقبل ؟! .. » .

هتفت (نشوى) بالعبارة فى ذهول ، مردِّدة ما ذكره والدها ، عبر إشارات مخه ، التى يترجمها برنامجها الخاص ، وحدَّقت فى شاشة الكمبيوتر لحظات فى ذهول ، قبل أن تستطرد فى عصبية :

ـ تفسير أكثر غرابة يا أبى .. إننى قد أصدّق كونه مخلوقًا فضائيًا، فسيكون لديه عندئذ ما يبرّر أفعاله ، أما كونه من المستقبل ، فهذا يجعل الأمور أكثر غرابة وتعقيدًا !

انبعث من الكمبيوتر صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ على العكس يا (نشوى) .. هذا التفسير يجعل الأمور كلها أكثر منطقية ، على الرغم من غرابته ؛ فكل ما يستخدمه ذلك الشخص هو تطوير لأشياء تحققها معاملنا بالفعل ، ولو واصلنا تطوير هذه الأشياء لعشرة أعوام أخرى ، فربما صارت أفضل مما لديه بالفعل .. قذائف تعقُّب البصمات الجينية ، وكرات البلور النقى ، الملينة بكيماويات الأعصاب ، وحتى الأغلفة الكهرومغنطيسية الخفية .. صدقينى يا بنيتى ، ما قاله والدك يبدو أكثر منطقية بالفعل ..

غمغم الدكتور (حجازى) مبهوتًا :

ـ وماذا عن ذلك الآلى ، صاحب القدرة على التحوّر الجينى ، والذى يجمع بين الإليكترونيات والخلايا الحية ؟

أجابه (رمزى) :

ـ تطوير آخر لمشروع حالى ، لم يحقّق نجاحًا بعد .. مشروع (سيبورج) .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ والعنصران المجهولان ؟!

كان (نور) هو صاحب الجواب هذه المرة ، وهو يقول :

ـ كانت هذه النقطة التى تثير حيرتى منذ البداية .. العنصران المجهولان !! كنت أتساءل : كيف يمكن أن يحصل مخلوق أرضى مستقبلى على مادة كيماوية ، تحوى عنصرين مجهولين ؟!

غمغمت (نشوى) فى توتر :

ـ ما زلت ألقى السؤال ذاته على نفسى .

أجابها (نور) :

ـ الجواب أيضًا هو المستقبل يا (نشوى) .. المستقبل وحده يمكن أن يكشف عناصر جديدة ، ما زالت مجهولة فى حاضرنا .. الرحلات الفضائية ، والكشوف الكونية ، والتحاليل الجيولوجية للصخور والنيازك ، التى تتساقط على الأرض والقمر ، ستكشف حتمًا بعض العناصر المجهولة ، مع تقدُّم أجهزة الفحص ، وطرق التحليل ..

قال الدكتور (حجازى) :

ـ ليس بالضرورة .

قال (نور) فى سرعة :

ـ وليس هناك ما يمنع أيضًا .

صمت الدكتور (حجازى) وبدت عليه علامات التفكير العميق لبضع لحظات ، ثم سأل (نشوى) فجأة :

ـ ما الكتابات العربية ، التى وجدتها ، على تلك الدائرة الإليكترونية الدقيقة .

صمتت (نشوى) لحظة ، قبل أن تلوّح بالدائرة الدقيقة ، مجيبة :

ـ صُنِعَ فى (مصر) .

ارتفع حاجباه إلى أقصاهما ، حتى ارتطما بمنابت شعر رأسه ، واتسعت عيناه الضيقتان ، حتى بان لونهما الأخضر فى وضوح ، وهو يحدّق فيها ، قبل أن يعود حاجباه إلى الانعقاد ، فتختفى قزحيتاه خلف أجفانه المتقاربة ، ويلوذ بالصمت بضع لحظات ، ثم يقول فى عصبية :

ـ ربما .. ربما كنت على حق يا (نور) .

قالها ، واندفع يغادر الحجرة فى شىء من الحدة ، جعل (نشوى) تتساءل فى حيرة :

ـ ماذا به ؟!

أجابها زوجها (رمزى) :

ـ إنه يشعر بالتوتر والاضطراب ، ولا يمكنه استيعاب استنتاج (نور) ، وهذا يجعله شديد العصبية ، ويدفعه إلى الفرار من الموقف كله .

غمغمت (نشوى) :

ـ هذا يجعلنا اثنين ؛ فأنا أيضًا أعجز عن استيعاب الأمر هذه المرة ..

لا يمكننى أن أتصوّر أن يعود شخص ما من المستقبل ، بهدف تدميرنا فحسب ، خاصة وأنه هناك أمور أخرى ، لا تتفق مع هذا .

سألها (نور) :

ـ مثل ماذا ؟!

قالت فى عصبية :

كل ما حصلنا عليه ، من شبكة المعلومات السرية للإدارة .. أمر تلك المركبة المجهولة ، والإشارات الفضائية المنعكسة .. « كل شىء على ما يرام .. نحن فى انتظاركم .. » .. هذا يرجح ، من وجهة نظرى ، فكرة غزاة الفضاء .

أجابها (نور) :

- بالضبط ، وهذا هو الغرض الرئيسى لوجود المركبة وإطلاق الإشارة الفضائية .. إرباك الخصم .. وضع الأمور فى شكل يوحى بعملية الغزو الفضائى هذه .. ولو راجعت كل الأمور ، ستجدين أنها معدّة بحيث يمكن كشفها ، وليس على نحو يمنع فضح أمرها ، وهذه سمة من يرغب فى جذب الاهتمام إلى أمر ما ، وليس من يحاول إخفاء سره .

تساءلت فى توتر :

- ولكن تلك المركبة جاءت من الفضاء ، ورصدتها أجهزة المحطة الفضائية فى أثناء هبوطها بالفعل !

اندفع (أكرم) يقول :

- لو أردت رأيى ، فتلك المركبة عبارة عن آلة زمن .. لقد انطلق بها صاحبها من المستقبل ، خارج الغلاف الجوى الأرضى ، وعبر بها أحد الثقوب الزمنية ، ليعود إلى عصرنا هذا .

غمغمت :

- أتقصد مثلما فعل (طارق) ؟! (*).

(*) راجع قصة (فارس الزمن) ... المغامرة رقم (١١٧) .

أجابها (أكرم) :

- بالضبط .

مضت لحظة من الصمت ، بدت خلالها ملامح التفكير العميق على وجه (نشوى) ، حتى انبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- مرحى يا (أكرم) .. إنك متألق أكثر مما ينبغى .

أجابه (أكرم) :

- يبدو أن انخفاض كل المعدلات الحيوية للجسم ، مع النشاط الزائد للمخ ، قد أدّى إلى زيادة معدلات الفهم والذكاء بصورة ما .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :

- هذا استنتاج عبقرى آخر .

ثم زفرت فى توتر ، مضيفة :

- ولكننى ما زلت عاجزة عن استيعاب الموقف .

سألها (نور) :

- هل اقتنعت بأن تلك الكرات النارية كانت تتعقّبنا بوساطة بصماتنا الجينية ، المسجّلة داخلها ؟!

أجابت بسرعة :

- بالتأكيد .. إنه افتراض علمى منطقى للغاية ، ويتوافق تمامًا مع ما شاهدته بنفسى .

قال (نور) :

ـ عظيم .. سلى نفسك إذن : كيف حصل خصمنا على بصماتنا الجينية ؟!

باغتها السؤال ، فانتفض جسدها لحظة ، قبل أن ينعقد حاجباها بشدة ، وتلقى على نفسها السؤال ذاته ..

نعم .. كيف حصل على بصماتهم الجينية ؟!

المكان الوحيد ، الذى يحفظ بصماتهم الجينية ، هو مركز الأبحاث التابع لجهاز المخابرات العلمية ، كجزء من برنامج الأمن والتحقق من الشخصية ..

وذلك الشخص لم ينجح فى دخول المركز أبدًا ..

ربما فعلها رجله الآلى ، ذو التحوُّر الجينى العجيب ..

ولكنه هو لم يفعلها ..

ثم إن بصماتهم الجينية ما زالت محفوظة كما هى ، داخل خزانة الأمن الإليكترونية المحكمة للغاية ، فى أعماق مركز الأبحاث ..

لقد تحققت من هذا بنفسها ..

فكيف حصل هو على بصماتهم الجينية ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

لم تكن قد ألقت سؤالها هذا ، عندما أتاها صوت (نور) ، يجيب :

ـ لقد حصل عليها من مستقبلنا يا (نشوى) .. من زمن لم يعد لنا فيه وجود .. زمن أصبحنا فيه مجرَّد ذكرى أو تاريخ .. لقد حصل عليها من محفوظات تاريخية لفريقنا ، تضمّ فيما تضمّ ، بصماتنا الجينية .

كان تفسيره منطقيًا ..

ومخيفًا ..

للغاية ..

حتى إن كل ذرة فى كيانها قد ارتجفت فى قوة ..

وفى رهبة ..

وعنف ..

ولثوان ، ظلّت صامتة ، ساكنة ، شاردة ، قبل أن تغمغم :

ـ نعم .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .

قال (نور) :

ـ يسعدنى أن استطعنا إقناعك ؛ فأنت أملنا الوحيد ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى تجاوز هذه الحالة السخيفة .

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :

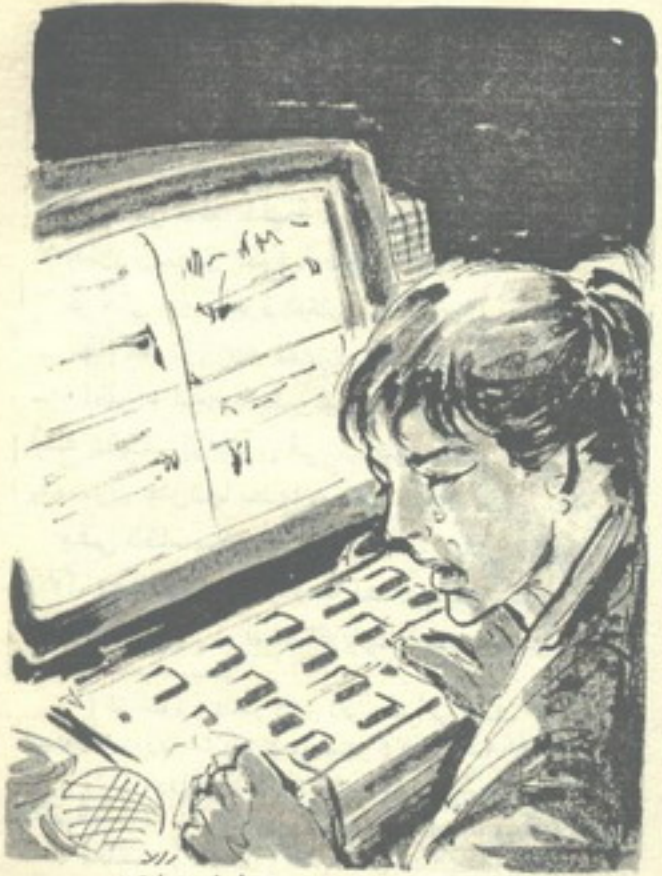

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :
- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة ..

- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة المضادة ، التى تم حقن (رمزى) وأمى بها ، لاستجوابهم ، مع مصل الحقيقة .. ليته لم يتلف كل البيانات فى شبكة كمبيوتر المعامل .

بكت فى مرارة ، وسط صمت حزين ساد المكان ، قبل أن ينبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- ربما كانت هناك وسيلة .

سألته فى لهفة :

- وما هى ؟!

أجاب فى سرعة :

- سأخبرك ..

ولنصف ساعة أخرى ، راح الكل يناقشون تفاصيل خطتهم الجديدة ..

خطة مواجهة عدو غامض ، آت من الغد ..

لو أنه ما زال هناك غد ..

★ ★ ★

بلغت استحكامات الأمن ذروتها ، فى القاعدة الفضائية المصرية ، مع وصول مركبات النقل

الخاصة ، فى الثالثة صباحًا ، حاملة تلك المركبة المجهولة ، المحاطة بالشبكة الإليكترومغنطيسية ، التى تفسد عمل أجهزتها تمامًا ..

وتحت إشراف الدكتور (جلال) شخصيًا ، تم نقل المركبة إلى قاعة خاصة ، تم تجهيزها مسبقًا ، بحيث لا يمكن أن تعمل المركبة داخلها قط ..

أو حتى أية أجهزة إليكترونية أخرى ..

لذا، فقد تم إعداد أجهزة يدوية خاصة ، مع فريق من الخبراء أحاطوا بالمركبة ، وراحوا يزيلون عنها ذلك الغلاف الرغوى فى حرص شديد ، ثم أخذوا يفحصون جدرانها بعدها بمنتهى الدقة ..

وفى الخامسة والنصف صباحًا ، خرج تقريرهم الأوّل ، يعلن أن المركبة مصنوعة من مادة (التيتانيوم)(*)، أما تكوينها العام ، فهو أشبه

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى نادر ، يقع فى الصف الرابع من الجدول الدورى ، كشفه (جريجور) ، عام ١٧٩٠ م ، عدده الذرى (٢٢) ، ووزنه الذرى (٤٧,٩٠) ، ويعتبر معدن المستقبل ، بالنسبة لصناعة الطيران ، ومركّباته بالغة الأهمية ، ولبلورات ثانى أكسيد التيتانيوم (الروتايل) أعلى معامل انكسار معروف (٢,٧) ، لذا فيمكن وضعها فى صورة بلورات (ماسات) متعدّدة الأوجه .

بالمقاتلات الفضائية ، التى تم تصميمها ، فى مشروع دفاعى جديد ، يعرف باسم (حرب النجوم) ..

وفى حجرته الخاصة ، راح القائد الأعلى يراجع التقرير ، قبل أن يسأل الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ ألا يمكننا أن نلقى نظرة على ما يفعله الخبراء ، عبر دائرة تليفزيونية مغلقة ، أو ما يشبه هذا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ ليس فى الوقت الحالى ، فلقد تم عزل قاعة الفحص بأكملها ، لمنع أية أجهزة إليكترونية من العمل داخلها ، خشية أن تعود آلات المركبة للعمل ، فتعرّضنا جميعًا للخطر .

سأله القائد الأعلى ، فى توتر بالغ :

ـ متى سيمكننا هذا إذن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) وهو يلقى جسده المرهق على أقرب مقعد إليه :

ـ فى هذه اللحظة ، يحاول خبراؤنا تحديد موقع باب المركبة ، بوساطة الطرق ، والرنين ، وفور توصلهم إليه سيتم استخدام شعاع خاص جدًا من الليزر ؛ لشقّ المدخل ، واختراق المركبة ، وعندئذ

سيقوم الخبراء بعزل كل آلاتها عن مصدر الطاقة الرئيسى ، وبعد التأكد من عدم وجود مصدر طاقة فرعى ، ستبدأ عملية الفحص الإليكترونى .

تنهد القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هذا سيحتاج إلى ساعتين أخريين على الأقل ..

أشار الدكتور (جلال) بيده ، مؤمنًا :

ـ على الأقل .

ثم اعتدل فى مقعده ، متابعًا فى اهتمام متوتر :

ـ ولكن ذلك الفحص المبدئى قاد تفكيرى إلى نقاط أخرى ، بالغة الأهمية والخطورة ، بشأن هذه المركبة .

سأله القائد فى قلق :

ـ أية نقاط ؟!

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ لو راجعت الرسوم المبدئية اليدوية ، للتكوين الخارجى لتلك المركبة ، مع المادة التى تم صنع هيكلها منها ، ستلاحظ أنها تبدو أشبه بالتصميمات الأولية ، التى قام الخبراء بوضعها ، لأول مركبة زمن .. أعنى تلك التى استقينا أسس تشغيلها من

ملفات الكمبيوتر ، التى نقلها (نور) ورفاقه عن مركبة فارس الزمن (طارق) .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، قائلاً فى توتر :

ـ حقًا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، وهو يقول :

ـ التشابه لا يمكن تجاهله ، خاصة وأنه يتعلّق بالحجم والتكوين ، المقترحين لمركبة الزمن القادمة ، بل وبانسيابية التصميم ، ومقاومة الهواء ، والتفاصيل الفنية الأخرى ، حتى لقد خطر ببالى أن ...

بتر عبارته ، ولم يستطع إكمالها لسبب ما ، ولكن القائد الأعلى أكمل ، قائلاً فى حزم :

ـ أنها آله زمن .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وتراجع فى مقعده ببطء ، وأسند مرفقيه إلى طرف مكتبه ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وراح يتطلّع إلى الرسم اليدوى أمامه بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هناك وسيلة لحسم الأمر .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

ألقى القائد الأعلى نظرة أخرى على الرسم اليدوى ، قبل أن يجيب :

ـ إننا نعرف على الأقل موضع الباب ، فى تصميمات مركبتنا الزمنية .

تألقت عينا الدكتور (جلال) وهتف ، وقد أدرك مغزى عبارة القائد الأعلى :

ـ آه .. فهمت .

ثم ضغط زر جهاز اتصال داخلى محدود ، وهو يقول :

ـ أنا الدكتور (جلال) .. أريد التصميمات الأولية لمركبة الزمن .

لم تمض دقائق ، حتى كانت التصميمات كلها أمامهما ، فأشار القائد الأعلى إلى موضع الباب عليها ، قائلاً :

ـ دعهم يحاولون .

وبسرعة مدهشة ، وإتقان يرتبط باسم المخابرات العلمية ، انتقل الأمر ، عبر جهاز اتصال خاص إلى

قسم المتابعة ، الذى أرسل أحد أفراده إلى قاعة الفحص ، وما إن أدرك خبراؤها المطلوب ، حتى اتجهوا إلى الموضع المحدود فى التصميمات بالضبط ..

ولم يستغرق الفحص سوى دقائق ثلاث ، أعلن الخبراء بعدها أنهم قد عثروا على الباب بالفعل ، فى الموضع نفسه ..

وهتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ رباه ! .. إنها إحدى مركباتنا إذن .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ تقصد أنها ستصبح كذلك .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ فى الغد .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ المفترض أن يساعدنا هذا على إنجاز العمل بسرعة ودقة أكبر .

قال الدكتور (جلال) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

أجابه القائد الأعلى :

ـ دع رجالك يعملون بأقصى طاقتهم إذن ، حتى نحصل على كل النتائج الممكنة ، فما كشفناه الآن لا يحلّ اللغز ، وإنما يضع أمامنا لغزًا آخر .

وشدّ قامته لحظة ، قبل أن يتابع فى توتر شديد :

ـ لماذا يسعى غدنا للقضاء علينا ؟! لماذا ؟!

ولم يحر الدكتور (جلال) جوابًا ..

فقد كان السؤال نفسه غامضًا ..

للغاية ..

★ ★ ★

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، داخل حجرة قائد المستشفى العسكرى ، قبل أن تستدير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلة :

ـ البرنامج الذى أشار به (رمزى) جاهز للعمل .

سألها الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـ وماذا عنك ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وأجابت بصوت يحمل الكثير من الانفعال :

ـ أنا مستعدة تمامًا .

سألهما قائد المستشفى :

ـ هل لى أن أعرف ماذا يحدث هنا ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ إنه برنامج كمبيوتر خاص ، يمكن أن يقودنا إلى معرفة تركيب المادة المضادة ، التى يمكنها إعادة الجميع إلى حالتهم الأصلية .

سألها فى توتر :

ـ ولماذا يتم استخدامه فى حجرتى بالذات ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) هذه المرة :

ـ لأنها آخر مكان يمكن أن يخطر ببال أحد أيها القائد .

بدا عدم الاقتناع على وجه الرجل بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ فليكن .. ما دامت هذه وجهة نظركم ، فمن المؤكّد أن لها ما يبرّرها ، ولكن هذه الحجرة تحوى الكثير من الوثائق والأوراق ، ولن يمكننى السماح لكما بالبقاء فيها وحدكما ، مهما كانت أسبابكما .

أجابته (نشوى) :

ـ لا ضرورة لهذا .. إنه برنامج تنويم مغنطيسى فحسب .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ تنويم مغنطيسى ؟!

أجابت (نشوى) :

ـ نعم أيها القائد .. تنويم مغنطيسى .. الوسيلة المثلى لاستعادة جزء مفقود من الذاكرة ، أو إضاءة جانب مظلم من العقل .. فطبقًا لنظرية علمية صحيحة ، لا يمكن أن ينسى الإنسان أى شىء اختبرته حواسه .. لا يمكن أن ينسى شيئًا رآه ، أو سمعه ، أو قاله ، أو شمّه ، أو حتى لمسه .. كل ما فى الأمر أن الذاكرة البشرية لا تضع كل ما اختبرته فى موضع واحد ، وإنما تقسمه إلى فئات مختلفة ، فهناك الذاكرة الأساسية ، التى تحكم حياتنا اليومية ، والتى تحوى كل خبراتنا عن المشى والكلام والرؤية ، والسمع ، وغيرها ، وبوساطتها يمكننا التحدُّث ، وتمييز الأشياء والتعايش مع البيئة المحيطة ، وهناك ذاكرة دارجة ، تحوى كل ما تختبره حياتنا ، وكل ما نتعلّمه من علوم ولغات ، وكل المعارف الأخرى ، ثم هناك الذاكرة الاحتياطية ، التى يخزن فيها العقل كل ما نمرّ به ، دون أن نتوقّف عنده طويلاً ، أو كل ما لا يتم استخدامه

بصفة دورية ، وهذه الذاكرة الأخيرة هى ما نحتاج إليه الآن(*) .

سألها قائد المستشفى مبهورًا :

ـ كيف ؟!

أجابته فى حماس :

ـ بوساطة برنامج الكمبيوتر هذا ، يمكن إخضاع أى شخص لحالة من التنويم المغنطيسى ، لو أنه لم يقاوم هذا(**) ، وعبر هذا التنويم المغنطيسى ، يمكن أن نوقظ الذكريات النائمة ، فى تلافيف مخه ، أو نضىء الأماكن المظلمة منه ، ونستحثه على استرجاع كل ما رآه أو سمعه ، أو حتى لمسه ، فى أية لحظة من عمره .

سألها مبهورًا :

ـ وبم يمكن أن يفيدكم هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) هذه المرة :

(*) حقيقة .

(**) معظم الدراسات ، التى أجريت حول التنويم المغنطيسى ، تؤكد أنه من غير الممكن إخضاع شخص ما للتنويم المغنطيسى دون إرادته ، ومن العسير أيضًا إقناعه ، وهو تحت تأثيره ، بالقيام بأى عمل ، يتنافى مع طبيعته الأصلية ، أو معتقداته القوية .

ـ عدونا الغامض سعى لتدمير كل ما يتعلّق بالمادة المضادة ، التى يمكن أن تعيد أفراد الفريق إلى حالتهم الأولى ، ولكن (نشوى) رأت تقرير المعامل ، قبل أن يتم تدميره ، وبإنعاش ذاكرتها ، من خلال التنويم المغنطيسى ، يمكننا أن نحصل على تركيبة المادة المضادة .

بدا الانبهار أكثر على وجه قائد المستشفى ، وهو يقول :

ـ أظن أنه سيسعدنى كثيرًا أن أرى هذه التجربة بنفسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ يمكننا أن نبدأ .

تنحنحت فى توتر ، ثم جلست أمام شاشة الكمبيوتر ، وتمتم الدكتور (حجازى) ، وهو يضغط أزراره :

ـ لست بمهارة (رمزى) بالتأكيد ، فى هذا المضمار ، ولكن أظننى أستطيع إنجازه على نحو جيّد .

غمغمت (نشوى) :

ـ بالتأكيد .

ضغط الدكتور (حجازى) زرًا أخيرًا ، فأضيئت شاشة الكمبيوتر بضوء قوى ، ينبع من مركزها تمامًا ، وراحت تومض على نحو منتظم ، قبل أن تتكوّن فى منتصفها دائرة بنفسجية ، أخذت تتسع وتتسع ، وترسم مع حركتها مجموعة أخرى من الدوائر الزرقاء والخضراء ..

وفى نفس الوقت ، بدأ الدكتور (حجازى) يتحدّث بصوت هادئ عميق ، وهو يقول :

ـ استرخى تمامًا .. دعى أطرافك كلها تستكين وتهدأ .. اطردى كل شىء عن ذهنك ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، هتف قائد المستشفى بغتة ، وهو يشير إلى النافذة المقابلة له عبر الحجرة :

ـ رباه ! .. ما هذا ؟!

انتزع هتافه (نشوى) من استكانتها ، فوثبت من مقعدها ، واستدارت مع الدكتور (حجازى) يحدقان فى النافذة ..

ثم انطلقت من حلق (نشوى) شهقة قوية ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها شهقتها ، اقتحمت كرة من النار نافذة الحجرة ، وانقضت مباشرة على آخر أعضاء الفريق ..

على (نشوى) ..

وصرخ الدكتور (حجازى) :

ـ احترسى .

ولكن (نشوى) لم تتحرك قيد أنملة ..

لقد تجمدت فى مكانها ، وحدقت فى كرة النار بكل انفعالاتها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

وانقضت كرة النار ، متتبعة البصمة الجينية ، التى يحويها برنامجها ..

وفى أبعد مبنى فى المكان ، سمع الجميع دوى الانفجار المكتوم ..

ثم هبط على المكان صمت رهيب ..

رهيب للغاية .

★ ★ ★

٦ ـ الإشـــارة ..

« تم إيقاف كل مصادر الطاقة داخل المركبة .. » .

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى انفعال ، وهو يواجه القائد الأعلى ، الذى بدا عليه الانفعال ، وهو يقول :

ـ هل يمكننا أن نلقى نظرة عليها الآن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. إنها صورة مطوّرة من تصميمات مركبتنا ، مما يؤكد أنها قادمة من مستقبلنا بالفعل ، ولقد بدأ رجالنا يوصلون آلات المراقبة ، حتى يمكنك أن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ سأذهب لإلقاء نظرة عليها بنفسى ..

بدا القلق على وجه الدكتور (جلال) وهو يقول :

ـ ولكن ماذا لو ..

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى :

ـ سأذهب بنفسى .

كان ممر متحرك يقودهما إلى مبنى مركز الأبحاث ، عندما سأل القائد الأعلى :

ـ ما موقف فريق الرائد (أيمن) الآن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ لقد زوّدتهم بكل ما لدينا من أجهزة تعقُّب حديثة ، وهم يسعون الآن لتعقُّب الآثار الحرارية ، التى تركها ذلك الشخص خلفه ، عندما فرّ بغلافه الخفى ، من المستشفى العسكرى .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهل تعتقد أن لديهم فرصة للنجاح ، فى مهمتهم هذه ؟!

تنهّد الدكتور (جلال) ، مجيبًا :

ـ فرصة لا تزيد على الستين فى المائة .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ فليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .

لم يتبادلا حرفًا آخر ، حتى بلغا قاعة الفحص ، التى عادت كل أجهزتها الإليكترونية للعمل ؛ لفحص المركبة المجهولة ، التى بدت بالفعل كنسخة مطوّرة ، من مشروع إنتاج آلة الزمن الأولى ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهر رسم مجسّم للمركبة ، وهو يدور حول نفسه ، لتوضيح كل أسطحها وزواياها ، فأشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ مقاييسها انطبقت على تصميمات مركبتنا ، بنسبة ستة وتسعين فى المائة .

غمغم القائد الأعلى :

ـ مدهش :

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة ، التى انتشر الخبراء داخلها وحولها ، وقال :

ـ أجهزتها تتشابه كثيرًا مع أجهزتنا ، ولكنها أكثر تطوّرًا ، كما أنها تستخدم برامج تعتمد على نفس الأسس ، التى نعتمد عليها ، وهذا يثبت أنها بالفعل من مستقبلنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ وهذا يعيدنا إلى السؤال نفسه .. لماذا يسعى مستقبلنا للقضاء علينا ؟!

قال الدكتور (جلال) ، محاولاً تفسير الموقف :

ـ ولماذا نفترض أن مستقبلنا يسعى للقضاء علينا ؟! إن ذلك القادم من الغد يسعى للقضاء على (نور) وفريقه فحسب .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ لماذا ؟! لماذا (نور) وفريقه ؟! ما الذى يدفع مستقبلنا إلى السعى خلفهم ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ ربما هى محاولة انتقام ، من شىء ما فعلوه بقريب أو نسيب لذلك المجهول من قبل ، أو سيفعلونه به فى المستقبل القريب !!

هزّ القائد الأعلى رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة يا دكتور (جلال) .. من الواضح أن الفارق بيننا وبين زمن ذلك العدو ليس بالكبير ، لأن ما أتى به مجرّد أسلحة وأجهزة أكثر تطوّرًا مما لدينا ، وطبقًا لسرعة عجلة التطوّر ، فهذا يعنى أنه أتى من زمن يعقبنا بخمسة أو عشرة أعوام فحسب ، وعلى الرغم من أننا سنكون قد انتجنا مركبة الزمن بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، فى تلك الفترة تقريبًا ، إلا أنه من المؤكّد أنها لن تكون متاحة لأى شخص ، بل ستظل لسنوات أخرى طويلة سلاحًا بالغ الخطورة إلى حد كبير ، كما أن خريطة الزمن نفسها لن تتاح ، حتى بالنسبة للخاصة ، إلا بعد تجارب طويلة وشاقة .

بدا القلق على الدكتور (جلال) ، وهو يتساءل :

ـ ماذا تعنى بهذا أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ أعنى أنه طبقًا للعقل والمنطق ، فإن ذلك المستقبلى ، الذى يسعى خلف (نور) وفريقه ، قد أتى إلينا فى مهمة خاصة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ مهمة رسمية .

شهق الدكتور (جلال) ، مع تلك العبارة الأخيرة ، واتسعت عيناه فى ذعر واستنكار ، وهو يحدّق فى وجه القائد الأعلى ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما هتف أحد الخبراء بغتة :

ـ سيّدى .. نعتقد أنه هناك ما ينبغى أن تلقى نظرة عليه .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (جلال) نظرة متوترة ، ثم اندفع كلاهما إلى المركبة ، وما إن أصبحا داخلها ، حتى هتف الأخير .

ـ ما الذى ينبغى أن نلقى نظرة عليه ؟!

أشار الخبير إلى جزء مرتفع ، فى مؤخرة المركبة ، قائلاً :

ـ لقد أعدنا الطاقة إليها ، بعد أن فصلنا كل أجهزة القيادة والأسلحة الدفاعية منها ، ثم عثرنا على هذه الخزانة السرية ، وعندما نجحنا فى فتحها ، كانت أمامنا مفاجأة مذهلة .

قال القائد الأعلى فى صرامة محتدّة :

ـ ما الذى وجدتموه بالضبط ؟!

ضغط الخبير زرًّا خفيًّا فى جدار المركبة ، وهو يقول :

ـ هذا .

ومع ضغطته ، انفتح غطاء الخزانة السرية فى بطء ، وانكشف ما داخله ..

وكان الخبير على حق تمامًا ..

فالمفاجأة ، بالفعل ، مذهلة ..

بل وأكثر من مذهلة ..

★ ★ ★

غمر الوهج الأحمر مكتب قائد المستشفى العسكرى ، إثر انفجار كرة النار ، التى أطلقت كل المادة الكيماوية داخلها فى وجه (نشوى) ، التى اقتلع الانفجار جسدها ، وألقاها مترين إلى الخلف ، لترتطم بالجدار ، ثم تسقط عى وجهها ..

وبكل هلعه وذعره ، صرخ الدكتور (حجازى) :

ـ لا .. ليس (نشوى) .. لا ..

ومع صرخته ، اندفع نحوها ، وراح يضرب الهواء بيديه ، وكأنما يحاول إزاحة ذلك الوهج ، فى حين هتف قائد المستشفى ، وهو يقفز إلى هاتف الطوارئ :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! رباه ! ماذا يحدث هنا ؟!

والتقط سمّاعة الهاتف ، صائحًا بلهجة آمرة :

ـ خطة الطوارئ القصوى .. الآن ..

وبينما يطلق أوامره ، كان الدكتور (حجازى) ينحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها ، ولكنه لم يكد يقترب منها ، حتى فوجئ بها تهتف به :

ـ لا .. لا تلمسنى .

تراجع بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. أأنت بخير ؟!

نهضت ، قائلة ، والوهج يتلاشى فى سرعة :

ـ نعم .. أنا بخير .. اطمئن .

سألها مبهورًا :

ـ ولكن كيف ؟!

أجابته ، وهى تحرك أصابعها فى خفة ، لالتقاط غلاف رقيق شفاف عن جسدها :

كان الدكتور (حجازى) ينحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها .

ـ إنها فكرة أبى .. لقد اقترح أن أحيط جسدى بغلاف واق ، من الأغلفة التى يستخدمها أطباء أبحاث الفضاء ، حتى لا تمس المادة الكيماوية بشرتى ، أو يمتصها جسدى .

كانت تنتزع ذلك الغلاف الرقيق ، غير الملحوظ ، فى دقة وحرص شديدين ، فحدّق فيها ذاهلاً ، وهو يتساءل :

ـ وكيف حصلت على ذلك الرداء هنا ؟! إننى لم ألحظ وجوده قط ، حتى بدأت فى انتزاعه عن جسدك !

أجابته ، وهى تواصل نزع الغلاف عن جسدها ، فى حرص بالغ :

ـ هذا هو الغرض منه .. ألا يسبب أى عائق لمرتديه ، فهو رقيق للغاية ، وقوى أيضًا ، فى الوقت ذاته ، كما أنه لا يسمح بعبور أية ميكروبات أو مواد كيماوية أخرى ، فى حين يؤمّن عملية التنفس الهادئ ، فى الوقت نفسه ، ولقد عثرنا على رداءين منه هنا ، فى قسم أبحاث الطوارئ والسموم .

كانت قد انتهت من انتزاع الرداء كله ، فأسرع الدكتور (حجازى) يلتقط علبة محكمة من حقيبته ،

وعاونها على وضع الرداء داخله ، بكل ما التصق به من مادة كيماوية غامضة ، قبل أن يهتف :

ـ فكرة عبقرية بالفعل .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم رجال أمن المستشفى المكان ، فهتف بهم الدكتور (حجازى) :

ـ مهلاً ، لا تحاولوا الدخول ، قبل أن يتم تأمين المكان جيدًا .

توقف الرجال فى تردد وارتباك ، فهتف بهم قائد المستشفى .

ـ إنه على حق .. كلنا هنا بخير .. أرسلوا فى طلب خبراء المعامل .. هيا .

أسرع رجال الأمن لتلبية أوامر قائدهم ، فى حين قالت (نشوى) فى توتر :

ـ إنه لن يكتفى بهذه المحاولة الفاشلة ، وسيعاود الكرّة حتمًا ، وفى المرة التالية ، سيحاول تلافى أسباب الفشل ، وربما تكون لديه وسيلة لتجاوز الغلاف الواقى .

قال الدكتور (حجازى) بسرعة :

ـ هذا يعنى أنه من الضرورى أن نجد وسيلة أخرى لحمايتك .

أمسكت يده بقوة ، قائلة :

ـ بل يعنى حتمية أن نعمل بأقصى سرعة ، قبل أن يبدأ محاولته الثانية .

هتف فى دهشة :

ـ وماذا عن حمايتك ؟!

أجابت فى حزم :

ـ حماية الجميع أكثر أهمية .

ثم استدارت إلى جهاز الكمبيوتر ، وعادت تضرب أزراره فى سرعة ، مستطردة بكل اللهفة :

ـ دعنا نبدأ برنامج التنويم المغنطيسى مرة أخرى .

أجاب فى سرعة :

ـ فليكن .

انطلق أزيز متصل ، قبل أن يتحرك من مكانه ، فانعقد حاجبا (نشوى) فى توتر ، وهى تغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

سألها قائد المستشفى :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابته ، وهى ترفع ساعتها إلى وجهها :

ـ إنه جهاز الاتصال الخاص بالفريق .. المفترض أن نبذبته خاصة وسرية للغاية ، ولا يستخدمها سوى أفراد الفريق ، وكلهم يرقدون هنا، عاجزين عن ضغط زر واحد .

قالتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

ـ من المتحدّث ؟

أتاها صوت جاف عميق ، يقول بمزيج من الغضب والسخرية :

ـ إذن فقد نجوت من كرتى النارية .

انتفض جسدها فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

ـ أنت ؟!

أجابها بنفس الصوت واللهجة :

ـ نعم .. هو أنا يا عبقرية الفريق .. يا ابنة قاهر الغزو .. أنا الشخص الذى لن يمكنكم هزيمته أبدًا ؛ لأنه يعلم كل شىء عنكم .. حتى ما تحاولون إخفاءه طوال الوقت .

قالت فى عصبية :

ـ هل تعلم أننى أستطيع ، بوساطة اتصالك هذا ، أن أحدّد موقعك ، و ..

قاطعتها ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول ذلك الشخص :

ـ موقعى ؟! ومن قال : إننى أحاول إخفاء موقعى يا عبقرية الفريق ؟! على العكس تمامًا .. لقد اتصلت بك خصيصًا ، لأخبرك أين أنا .

سرت فى جسدها موجة عنيفة من التوتر ، وهى تقول :

ـ وأين أنت بالضبط ؟!

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يجيب فى شراسة :

ـ هناك من يمكن أن يخبرك أفضل منى .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتساءل عما يعنيه ، ولكن تساؤلها هذا لم يستغرق لحظة واحدة ، ففى اللحظة التالية مباشرة ، انبعث من جهاز الاتصال فى ساعتها صوت (مشيرة) ، وهى تقول فى ذعر شديد :

ـ (نشوى) .. إنه هنا .. ذلك المجرم ، الذى حاول قتل (أكرم) فى المستشفى .. لقد عدت من هناك لأجده بانتظارى .. لقد قتل مساعدى ، ويسيطر على (محمود) الصغير .. إنه هنا يا (نشوى) ..

وبمنتهى العنف ، سقط قلب (نشوى) بين قدميها ..
كالذبيح ..

★ ★ ★

« من الرائد (أيمن) إلى القيادة .. تم تحديد وكر العدو ، ونحن نحيط به الآن .. » .

همس الرائد (أيمن) بالعبارة ، وهو يتحرك فى خفة ، نحو فيلا صغيرة منعزلة ، فى أحد أطراف (القاهرة) الجديدة ، وأشار إلى فريقه ، الذى تحرك أفراده فى سرعة وبراعة ؛ ليحيطوا بالفيلا ، والرائد (أيمن) يكمل ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ أجهزة الرصد والتتبُّع قادتنا إلى هنا .. لقد سجلنا الانبعاث الحرارى للجسد الخفى ، الذى غادر المستشفى العسكرى ، إثر ذلك الاعتداء ، وتتبعناه إلى هنا، وننتظر الإذن بالهجوم .

أتاه صوت رئيسه المباشر ، يقول :

ـ لا تحاول الهجوم الآن أيها الرائد .. انتظر الإمدادات .. أكرِّر .. لا تحاول الهجوم الآن .

همس (أيمن) معترضًا :

ـ إننا هنا الآن ، ولدينا ما يكفى للهجوم .

أتاه صوت رئيسه المباشر ، مفعمًا بالغضب والصرامة :

ـ انتظر الإمدادات .

زفر (أيمن) فى توتر ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سننتظر الإمدادات .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى التقطت أجهزته إشارة غير مألوفة ، على نحو مباغت ، جعله يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

سأله رئيسه المباشر ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ ماذا حدث عندك أيها الرائد ؟!

انعقد حاجبا (أيمن) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى الفيلا فى توتر شديد ، مجيبًا :

ـ هناك أمر غريب يحدث .. لقد أضيئت نافذة صغيرة أعلى الفيلا ، وأجهزتنا كلها تتلقَّى إشارة عجيبة للغاية .

هتف به رئيسه :

ـ تراجع أيها الرائد .. انسحب وفريقك من منطقة الهدف على الفور .

قال (أيمن) فى عصبية :

ـ ولماذا نتراجع ؟! إننا نحاول أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى كرة مضيئة كبيرة ، عبرت تلك النافذة الصغيرة أعلى الفيلا ، وتعلّقت فى الهواء لحظة ، هتف خلالها رئيسه ، وكأنما يشاهد ما يحدث بنفسه :

ـ انسحب أيها الرائد .. انسحب بأقصى سرعة .. انسحب باللّه عليك .. انسحب .

ومع آخر هتافاته ، انفجرت الكرة فجأة ، وانطلقت منها عدة كرات نارية ، تفرّقت بسرعة مخيفة ..

ثم انقضت على أفراد فريق الرائد (أيمن) ..

بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والشراسة ..

وبحركة آلية سريعة ، تخلّى (أيمن) عن جهاز الاتصال ، وانتزع مسدسه الليزرى من غمده ، وهو يهتف بانفعال غامر :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى ! ..

وأمام عينيه ، رأى كرة من النار تنفجر فى صدر أحد أفراد فريقه ، وتطيح به على نحو مخيف ، وأخرى تطارد فردًا ثانيًا ، وثالثة تنقض على آخر فى عنف ..

ثم رأى واحدة من كرات النار تتجه نحوه مباشرة ..

وصرخ (أيمن) ، وهو يرفع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحوها :

ـ رباه ! .. إنه يهاجمنا جميعًا فى آن واحد .

انطلقت أشعة مسدسه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة كانت ترتطم بالكرة ، التى تتألّق فى قوة ، ثم تواصل طريقها بسرعة أكبر ..

ومع شعوره بعدم جدوى هذا ؛ استدار (أيمن) ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، محاولاً بلوغ سيارته الخاصة ، وتشغيل درعها الواقى ..

ولكن الكرة النارية لحقت به بسرعة مخيفة ..

ثم ارتطمت بظهره ..

وانفجرت فى عنف ..

ومع الانفجار ، طار جسد (أيمن) على نحو مخيف ، حتى إنه تجاوز سقف سيارته ، وعبرها بسرعة رهيبة ، قبل أن يهوى أرضًا بمنتهى العنف .. ومن جهاز الاتصال المحدود ، المعلّق بيده ، انبعث صوت رئيسه المباشر ، وهو يهتف بتوتر بالغ :

ـ ماذا يحدث عندك يا (أيمن) .. ماذا يحدث عندك ؟!

فتح (أيمن) عينيه فى صعوبة ، وحاول أن يقول شيئًا ما ..

أى شىء ..

ولكن الألم كان رهيبًا ..

والشلل كان يسرى فى أطرافه بسرعة ..

وعلى الرغم من هتاف رئيسه ، الذى ينبعث بصفة متصلة ، من جهاز الاتصال المحدود ، فإن (أيمن) لم يسمع شيئًا ..

لقد تثاقل جفناه ..

وانهارا ..

ثم انتشر الظلام أمام عينيه المفتوحتين بسرعة ..

حتى شمل كل شىء ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

لثوان ، لم تستطع (نشوى) النطق بحرف واحد ، وقد تجمّدت مشاعرها عن آخرها ، وتجمّدت معها كل خلية فى جسدها ، و (مشيرة) تصرخ :

ـ إنه يسيطر على (محمود) الصغير .. يسيطر علينا جميعًا .

ثم انطلقت منها صرخة مذعورة ، نقل جهاز الاتصال بعدها صوت ذلك العدو ، وهو يقول ، بنفس اللهجة العصبية :

ـ أظنك قد استوعبت الموقف الآن يا عبقرية الفريق .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تغمغم :

ـ نعم أيها الوغد .

هتف بها الدكتور (حجازى) ، فى توتر بالغ :

ـ إنه هو .. أليس كذلك ؟!

أشارت إليه بالصمت ، وهى تقول فى عصبية بالغة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ كيف يمكن أن ينحدر جاسوس مستقبلى مثلك إلى هذا الدرك ، فيتحوّل إلى خاطف أطفال حقير ؟!

أجابها فى عصبية زائدة :

- جاسوس مستقبلى ؟! إذن فقد أدركتم نصف الحقيقة .. عجبًا ! لقد أشار تاريخكم إلى أن (نور) وحده كان عبقرى الاستنتاج فى الفريق .

قالت فى حدة :

- وما زال ، وسيظلّ كذلك .. لقد كشف أمرك ، وفضح خطتك كلها .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول العدو :

- لست أظن هذا .. كل ما كشفتموه هو أننى من المستقبل ، وهذا وحده لا يعنى الكثير ، ما لم تدركوا النصف الآخر .

سألته فى حذر :

- وما النصف الآخر ؟!

أجاب فى شراسة :

- ماذا تفعلين بالضبط ؟! هل تحاولين إضاعة الوقت ، أم أنك تسخرين من ذكائى ؟!

قالت فى غضب :

- بل ما الذى تفعله أنت بالضبط ؟! هل فشلت فى القضاء على الكبار ، فاستدرت لتحارب الأطفال ؟!

قال فى شراسة شديدة :

- اسمعينى أيتها المتحذلقة ، وكفى عن هذه السخافات الأنثوية .. إننى لم آت إلى هنا، ولم أسيطر على صغيرك ، لنتحدّث عبر جهاز اتصالكم الخاص هذا .. إنها ، وبكل وضوح ، وسيلة لاستعادة السيطرة على الأمور .

قالت فى عصبية :

- إذن فأنت تعترف بأنك قد فقدت السيطرة على الأمور .

هتف فى حنق :

- هذا لأنكم عنيدون أكثر مما ينبغى .. لقد كان كل شىء يسير على ما يرام ، وكان من المفترض أن تتم المهمة على خير ما يرام ، طبقًا للجدول الموضوع ، ولكنكم أفسدتم كل شىء .. كل شىء .

قالت فى توتر :

- لذا فقد ..

قاطعها بصرخة هادرة :

- اصمتى ، واستمعى إلىّ جيّدًا ..

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، فى حين تابع هو فى حدة :

ـ لو أردت استعادة ابنك حيًا ، فعليك أن تضعى خدماتك كلها تحت تصرفى .

هتفت مستنكرة .

ـ ماذا ؟! هل تطلب منى خيانة فريقى وحاضرى ؟!

قال فى شراسة :

ـ بل أطلب منك أن تطيعى أوامرى بلا مناقشة ، وإلا ..

قالت فى عصبية :

ـ وإلا ماذا ؟!

أجاب فى صرامة شديدة :

ـ وإلا فسأذبح ابنك بلا رحمة .

عاد قلبها يهوى بين قدميها ، وكادت أصابعها تنغرس فى جهاز الاتصال ، وهى تقول فى حدة ، محاولة التظاهر بالشجاعة :

ـ لن تجرؤ .

جاوبتها ضحكة ساخرة ، عصبية ، عالية ، شرسة ، قبل أن يقول :

ـ هل تظنين هذا ؟!

ثم سمعت صوت (مشيرة) تصرخ ، فى ذعر وألم ، على نحو يوحى بأن ذلك الشخص يجذبها فى قسوة شديدة ، ثم بدا صوتها واضحًا ، وهى تصرخ فى رعب :

ـ إنه قادر على فعلها يا (نشوى) .. صدقينى .. إنك لم ترىْ كيف ذبح مساعدى المسكين ، دون أن يطرف له جفن .

قالتها (مشيرة) ، ثم صرخت مرة أخرى ، على نحو يوحى بأن ذلك العدو قد استخدم معها القسوة ثانية ، قبل أن ينبعث صوته هو ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

ـ أريدك هنا ، بعد عشرين دقيقة فحسب ، وقبل أن تشرق الشمس ، ودون أن يعلم مخلوق واحد بما دار بيننا .. عشرون دقيقة ، وبعدها سأذبح ابنك .

وأنهى الاتصال فى عنف ، فامتقع وجه (نشوى) على نحو مخيف ، وزاغت عيناها فى محجريهما ، مما دعا الدكتور (حجازى) إلى أن يسألها فى توتر :

ـ ماذا حدث يا بنيتى ؟! ماذا يريد ذلك الوغد ؟!

تردّد سؤالاه فى رأسها ، وكأنهما يأتيان من أعمق أعماق الكون ، وراح ذهنها يستعيد عشرات المشاهد لوالديها ، وزوجها ، و (أكرم) ، و (مشيرة) ..

ثم احتلّت صورة واحدة كياتها كله ..

صورة ابنها (محمود) ..

وفى نفس اللحظة ، سألها الدكتور (حجازى) فى إلحاح :

ـ ماذا ستفعلين يا بنيتى ؟!

سالت الدموع من عينيها ، وهى تغمغم :

ـ يبدو أنه ليس لدى خيار يا دكتور (حجازى) .

نطقتها ، وتفجّرت الدموع من عينيها فى غزارة ..

نعم .. ليس لديها خيار ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

٧ ـ قاتل من المستقبل ..

لم يكن من السهل أبدًا أن يستوعب الجميع هذه المفاجأة المذهلة ..

لذا ، فقد هبط على القاعة كلها صمت رهيب مهيب ، والكل يحدّق فى تلك الخزانة الزجاجية ، التى يحملها الرجال من داخل المركبة الزمنية ، وفى الجسد المسجى داخلها ، فى صمت وسكون تامين ..

ومن كل العيون ، أطلّ مزيج من الذهول والحيرة والاضطراب والتوتر ..

مزيج لم يختف لحظة واحدة ، حتى استقرّت الخزانة الشفافة فوق قاعدة كبيرة ، فى ركن المكان ، وبدا الجسد داخلها واضحًا جليًا ، مع الإضاءة المباشرة ..

وفى توتر ، قطع القائد الأعلى ذلك الصمت الرهيب المهيب ، عندما دلف الدكتور (جلال) إلى القاعة ، وسأله :

ـ هل تأكّدت من أنه هناك ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، مجيبًا :

ـ نعم .. إنه هناك ، ولم يغادر المكان قط ، منذ وصل إلى المستشفى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يعيد بصره إلى ذلك الجسد ، داخل الخزانة الزجاجية ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! .. من هذا إذن ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الجسد بدوره ، قائلاً :

ـ بل فلنقل : ما هذا ؟! ، حتى نتيقّن مما إذا كان هذا الشيء بشريًا أم ماذا ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، يسأله :

ـ هل اتصلت بخبراء الفحوص البيولوجية ، وأخصائيى الأنسجة البشرية ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كلهم فى طريقهم إلى هنا .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل تعتقد أن تلك الخزانة الزجاجية المحكمة ، تحوى غازًا ما أو أية مادة خاصة ، للإبقاء على ذلك الجسد سليمًا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ سيتم فحصها على الفور .

مع آخر حروف كلماته ، وصل فريق الخبراء الجديد ، فأشار إليهم الدكتور (جلال) ، على نحو جعلهم يتجهون إلى الخزانة الزجاجية ، ويبدءون عملهم على الفور ، فى حين مال هو على أذن القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لدى أخبار غير سارة ، بشأن الرائد (أيمن) وفريقه .

التفت إليه القائد الأعلى فى توتر شديد ، فتابع فى أسف :

ـ لقد توصّلوا إلى وكر العدو ، ولكن شيئًا ما هاجمهم هناك بمنتهى العنف .

سأله القائد فى قلق :

ـ وهل ..

أجابه الدكتور (جلال) ، قبل أن يتم عبارته :

ـ لم ينج من الموت سوى الرائد (أيمن) ، وخبيرة الاتصالات ، وكلاهما بحالة سيئة للغاية .

مطّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للخسارة !!

ثم عاد يسأل فى توتر :

ـ وماذا عن الوكر نفسه ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

أربع من فرق القوات الخاصة لدينا تحاصره الآن ، والحوامات الإليكترونية تستعد لإحاطته بشبكة إليكترومغنطيسية عازلة .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يزفر متمتمًا :

ـ أتعشّم أن يفلح هذا .

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة الزمنية ، مغمغمًا :

ـ لقد أفلح معها .

أتاه فى هذه اللحظة صوت أحد الخبراء ، يقول :

ـ هذه الخزانة تحوى غازًا حافظًا ، مهمته الإبقاء على خلايا الجسد داخلها فى حالة سبات عميق .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل يمكنكم التعامل مع ذلك الغاز ؟!

أجابه الخبير :

ـ بالتأكيد .. نحتاج إلى أمر بذلك فحسب .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ لكم هذا .

بدأ الخبراء فى إفراغ الغاز من الخزانة ، بمنتهى الدقة والحرص ، وراح القائد الأعلى يتابعهم فى اهتمام ، وهو يسأل الدكتور (جلال) :

ـ ترى لماذا أحضر هذا الـ ... الشىء معه ؟!

غمغم الدكتور (جلال) ، وهو يتابع بدوره :

ـ هذا سيتوقّف على نتائج الفحص .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ السؤال الذى يشغلنى الآن هو لماذا ؟! لماذا أحضره معه ؟! لماذا هو بالذات ؟!

جاوبه الدكتور (جلال) بهز رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع عمل الخبراء بدوره ..

كانوا قد انتهوا من فتح الخزانة الزجاجية الشفافة ، وبدءوا فى أخذ العينات اللازمة ، من سوائل الجسم وخلاياه ، فى حين انشغل بعضهم فى فحص البصمات وقزحية العين ، والبشرة ..

وبينما يراقب القائد الأعلى عملهم ، دلف إلى المكان أحد ضباط الإدارة ، واقترب منه ، هامسًا :

ـ سيِّدى .. لقد تم اقتحام الوكر .

التفت إليه القائد الأعلى ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

ـ هل عثرتم عليه ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ المكان كان خاليًا تمامًا ، ولقد أشعل اقتحامنا له جهاز أمن خاصًا ، نسف كل الأجهزة والمعدات داخله .

سأله القائد الأعلى فى غضب :

ـ لماذا لم يتمّ استخدام الشبكة العازلة ؟!

قلب الرجل كفيه ، مجيبا :

ـ لقد استخدمناها بالفعل يا سيِّدى ، ولكن يبدو أن الأجهزة والمعدات كانت مبرمجة بحيث يشتعل جهاز التفجير ، فور توقُّف إليكترونياتها عن العمل .

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ وكيف عملت إليكترونيات جهاز التفجير إذن ؟!

بدت الحيرة على وجه الضابط ، ممتزجة بالارتباك والتوتر ، فلوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى حنق :

ـ فليكن .. لقد اقتحمتم المكان ، ولم تعثروا عليه .. الأمر يسهل استيعابه ، على الرغم مما يثيره فى النفس من غضب .

غمغم الضابط :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكننى تصوّرت أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى غضب :

ـ فليكن .. فليكن .. هيا .. واصلوا عملكم ، وأبلغونى النتائج أوّلاً فأوّلاً .

انصرف الضابط لتنفيذ الأوامر ، فى حين غمغم الدكتور (جلال) :

ـ لقد قسوت عليه كثيرًا .. الرجال أدوا واجبهم كما ينبغى ، ولكن خصمهم ليس هينًا .

قال القائد الأعلى :

ـ وهذا ما يحنقنى .. إنها أوّل مهمة أتابعها ، منذ تسلّمت منصبى هذا ، وأجد نفسى أمام كل هذا الغموض .

زفر الدكتور (جلال) ، متمتمًا :

ـ نعم .. كل هذا الغموض .

عادا يتابعان الخبراء مرة أخرى ، وهم يفحصون ما حصلوا عليه ، وتدور بينهم مناقشات حارة ، قبل أن يتجه كبيرهم نحوهما ، ويقول فى توتر :

ـ سيِّدى .. لسنا نستطيع استيعاب هذا ، ولكن النتائج كلها جاءت إيجابية ، بنسبة مائة فى المائة .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل :

أما القائد الأعلى ، فقال فى عصبية :

ـ من هذا إذن ؟! ومن الآخر ؟! وأيهما من نعرف ؟!

قالها ، وهو يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو ذلك الجسد ، الذى تم إخراجه من الخزانة الشفافة ، وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يتطلّع إليها فى عصبية زائدة ..

هذا لأن ذلك الجسد ، المسجى فى ركن القاعة ، كان ، وطبقًا لكل الفحوص والتحاليل ، هو جسد قائد الفريق ، الراقد فى المستشفى العسكرى ..

جسد (نور) ..

المقدَّم (نور الدين محمود) ..

★ ★ ★

بدأ الشفق يتلوّن بألوان الشروق الأولى ، عندما توقّفت سيارة (نشوى) أمام منزل (أكرم) ، وهبطت منها هذه الأخيرة ، فى توتر ملحوظ ، وألقت نظرة فيما حولها ، قبل أن تتجه فى خطوات سريعة مضطربة إلى المنزل ، وتطرق بابه فى عصبية :

ولثوان ، بدا الموقف كله جامدًا صامتًا ، دون أن يستجيب أحد لطرقاتها ، حتى همت بطرق الباب مرة ثانية ، و ..

وفجأة ، انفتح الباب ، وبدت (مشيرة) على عتبته شاحبة ، ممتقعة ، زائغة العينين ، ولم تكد ترى (نشوى) ، حتى هتفت فى هلع :

ـ رباه ! لماذا أتيت ؟ إنه سيقتلنا جميعًا .

امتدّت يد من الداخل ، تقبض على عنقها ، فأطلقت صرخة ألم ورعب ، انتفض لها جسد (نشوى) ، واتسعت عيناها فى رعب ، عندما جذبت تلك اليد (مشيرة) إلى الداخل ، فى عنف وقسوة ، قبل أن يظهر وجه صاحبها ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا .. ادخلى .

دلفت (نشوى) إلى المنزل فى سرعة ، وهى تسأله :

ـ أين (محمود) ؟!.. ماذا فعلت به ؟!

أغلق الباب خلفها فى قوة ، وهو يقول :

ـ ابنك بخير .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ ما دمت تطيعين الأوامر .

قالت فى عصبية شديدة :

ـ أنت تعلم أننى مضطرة لهذا .

أطلق ضحكة شرسة ساخرة ، وهو يقول :

ـ كلنا مضطرون أيتها العبقرية .. كلنا .

سألته مرة أخرى فى حدة :

ـ أين (محمود) ؟!

أدار يده أمام جسده ، قبل أن يفرد ذراعه عن آخرها ، مشيرًا إلى الأريكة البعيدة ، وهو يجيب :

ـ هناك .

استدارت بكل كيانها ومشاعرها إلى حيث يشير ، وانطلقت من حلقها شهقة ، عندما وقع بصرها على ابنها ، وهو يرقد صامتًا ساكنًا ، فوق تلك الأريكة ، ثم لم تلبث أن اندفعت نحوه ، واحتضنته بكل لهفة الدنيا ، هاتفة :

ـ (محمود) .. واصغيرى .. ماذا فعل بك هذا الوغد ؟

قال العدو فى صرامة :

ـ لن يمكنه إجابتك الآن .

التفتت إليه فى شراسة غاضبة ، هاتفة :

ـ ماذا فعلت به ؟!

لوّح بذراعه على نحو مسرحى ، وهو يجيب :

ـ إنها تلك المادة الخاصة ، ذات العنصرين المجهولين .

اتسعت عيناها فى هلع ، وهى تهتف :

ـ أيها الـ ..

استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ لا تجعلى هذا يقلقك ، فالمادة المضادة بحوزتى .. وستحصلين عليها عند انتهاء المهمة .

أطلّ غضب هادر من عينيها ، وهى تهتف :

ـ يا لك من حقير !

غمغمت (مشيرة) فى ألم :

ـ حقير صفة بسيطة ، إزاء ما سترينه منه ؟!

استدار إليها العدو فى حركة سريعة ، هاتفًا فى غضب :

ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ، ارتطم بها فى عنف ، فاقتلعها من مكانها ..

ـ اخرسى .

ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ، ارتطم بها فى عنف ، فاقتلعها من مكانها على نحو مخيف ، وهى تطلق صرخة ألم رهيبة ، قبل أن تسقط مرتطمة بأثاث منزلها ، وتستقر على الأرض فاقدة الوعى ..

وفى ذعر ، هتفت (نشوى) :

ـ رباه ! .. (مشيرة) .

التفت إليها العدو مرة أخرى ، صائحًا فى صرامة مخيفة :

ـ قفى .

بكت ، هاتفة :

ـ ماذا فعلت بها ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ ستحيا .

ثم استطرد بلهجة جافة قاسية :

ـ وكذلك ابنك ؛ لو نفذت ما سأطلبه منك .

كانت تبكى فى مرارة ، وهى تقول :

ـ كيف أمكنك أن تعرّضه لتلك المادة الرهيبة ؟!

ابتسم فى سخرية وحشية ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب .. لقد غرست فى ذراعه أيضًا قنبلة .

كاد قلبها يتوقّف عن الخفقان ، وهى تهتف :

ـ قنبلة ؟!

أجابها فى قسوة أكثر :

ـ نعم يا عبقرية الفريق .. قنبلة .. قنبلة صغيرة ، فى حجم حبة الأرز ، ولكن قوتها التدميرية تكفى لتحويل صغيرك إلى أشلاء متناثرة ، عندما أضغط على ذلك المفجّر .

قالها ، وهو يفتح كفه ، فرأت كرة سوداء صغيرة فى راحته ، وهو يكمل بنفس القسوة والصرامة :

ـ كل ما يحتاجه الأمر هو ضغطه إصبع واحدة .

انهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وهى تقول :

ـ أيها الـ ..

قاطعها فى غضب :

ـ كفى .. لن نضيع الوقت فى بكاء وعويل .. هناك مهمة عاجلة ينبغى إنجازها .

هتفت فى ألم :

ـ ألم تنه مهمتك بعد ؟! لقد دمّرت الجميع .. ماذا تريد أكثر من هذا ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ العودة .

حدّقت فيه ، مردّدة :

ـ العودة ؟!

أجاب فى حدة :

ـ نعم .. العودة إلى الزمن ، الذى أتيت منه .. لو أوشكت طاقتى على النفاد ، ولابد أن يعلم الرؤساء ماذا حدث هنا .

قالت فى شىء من الحذر :

ـ الرؤساء ؟! من أرسلك إلينا ؟!

أطلّت قسوة باردة من عينيه ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأنك .

ثم جلس على أقرب مقعد إليه ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ لقد كنتم أكثر حذقًا من تصوُّرنا .. كلكم تصرّفتم بمهارة عجيبة .. من الواضح أنكم أفضل مما كنا نظن .

سألته مرة أخرى :

ـ من أنتم ؟!

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يتابع :

ـ ولكن كل شيء يمكن إصلاحه ، عندما أعود من حيث أتيت ، ويعلم الرؤساء تفاصيل ما حدث هنا .. هذا سيفيدهم كثيرًا ، عندما يرسلون الآخر .

ردّدت بنفس الدهشة الحذرة :

ـ أى آخر ؟!

أجاب فى صرامة أخافتها :

ـ الشخص الذى سيعيد المهمة .

غمغمت :

ـ تقصد الذى سيكملها ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل الذى سيعيدها يا عبقرية الفريق ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ هذه هى الفائدة الكبرى لمركبات الزمن .. كل شيء يمكن أن يعود إلى النقطة نفسها .. سأعود من حيث أتيت ، وسيعلم الجميع كل ما فعلتموه .. سيدركون ردود أفعالكم ، وأسلوب تفكيركم ، عندما

تواجهون ما واجهتموه .. وعندئذ سيمكن إرسال شخص آخر ، ليبدأ المهمة نفسها منذ البداية .. من نفس النقطة التى بدأت منها أنا ، ولكنه فى هذه المرة سيتميّز بأمر يفوق كل قدراتكم .

ومال أكثر ، وهو يضيف :

ـ سيعلم مسبقًا كيف تفكرون ، وماذا ستفعلون ..

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم :

ـ وهكذا ستصبح الهزيمة مستحيلة .. تمامًا .

جفّت دموعها ، وهى تتطلّع إليه فى صمت ، ثم مالت بدورها ، تسأله :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ أنت خبيرة الكمبيوتر ، وعبقرية الفريق ، ويمكنك خداع كل أجهزة الكمبيوتر ، فى مركز الأبحاث .. أليس كذلك ؟!

قالت فى عصبية :

ـ بلى .. هل تريد بلوغ مركز الأبحاث ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ ليس المركز كله .. أريد بلوغ قاعة الفحص الإليكترونى فحسب .

سألته فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

ظهر عليه الغضب بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ ألم أقل لك إنكم كنتم حاذقون أكثر مما ينبغى ؟! لقد نجحتم فى كشف وكرى ، وتدمير أجهزتى ومعداتى ، وأسرتم مركبة الزمن .. وسيلتى الوحيدة للعودة إلى حيث أنتمى ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف للغاية ، وهو يضيف :

ـ وأنا مصرّ على استعادة ما يخصنى .

اتسعت عيناها ، فى شىء من الارتياع ، وهى تحدّق فى وجهه ، ثم لم تلبث أن استدارت تتطلّع إلى ابنها ، الذى بدا كملاك نائم ، وانحدرت الدموع من عينيها مرة أخرى ، وهى تعود ببصرها إليه ، قائلة :

ـ ولكن بلوغ قاعة الفحص الإليكترونى ليس بالأمر السهل .. سنحتاج إلى عبور أربع بوابات أمن على الأقل .

قال فى صرامة :

ـ كلها تعمل بوساطة كمبيوتر الأمن .

ثم أضاف فى شراسة :

ـ الذى يمكنك اختراقه .

بدا عليها التوتر والاضطراب بعض الوقت ، وراحت تفرك كفيها فى عصبية شديدة ، قائلة :

ـ ولماذا لا تلجأ إلى قدرة التحوُّر الجينى ، وتتجاوز أجهزة الأمن ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ إنها قدرة خاصة بالآليات البيولوجية وحدها .. لقد طوّرناها حتى يمكنها أن تماثل البصمات الجينية للعينة ، التى يتم برمجتها بها ، أما نحن ، فقدراتنا محدودة بـ ...

بتر عبارته بغتة ، وعاد الغضب يحفر خطوطه على ملامحه ، وهو يكمل فى حدة :

ـ وهذا ليس من شأنك .

ثم نهض من مقعده فى حركة عنيفة ، وأشار إليها فى انفعال ، قائلاً :

ـ هيا .. ابدئى عملك .. ليس لدينا الكثير من الوقت .

ألقت نظرة أخرى على ابنها ، ثم قالت :

- ومتى ستعيد إلى ابنى وعيه ؟!

شدّ قامته ، مجيبًا :

- فور تشغيل مركبة الزمن .

خفضت عينيها ، ولاذت بالصمت والدموع بعض الوقت ، قبل أن تقول بصوت متحشرج مختنق :

- اتفقنا .

أشار إلى كمبيوتر (مشيرة) ، قائلاً بصرامة مخيفة :

- هيا .

جرّت قدميها جرًا إلى كمبيوتر (مشيرة) ، وجلست أمامه صامتة بعض الوقت ، والدموع تسيل من عينيها كالسيل ، ثم بدأت عملها ..

فى البداية ، كانت أصابعها تنتقل بين الأزرار فى بطء وتثاقل ، ثم لم تلبث أن اندمجت فى العمل ، وهى تخترق شبكة الأمن القومى ، ثم تنفذ منها إلى شبكة المعلومات السرية ، الخاصة بالمخابرات العلمية ، ثم انتقلت إلى مركز الأبحاث ..

وعندما بلغت كمبيوتر الأمن ، التفتت إلى عدوها ، قائلة :

- كيف تتصوّر عملية خداع كمبيوتر الأمن ؟! إنه يراجع بصمة القزحية ، وبصمات الأصابع ، وتوزيع المسام العرقية على البشرة ، وكلها أمور لا يمكن تزويرها .

أجابها فى صرامة :

- ولكن يمكن تغييرها .

سألته فى حذر :

- ماذا تعنى ؟!

اتجه إلى جهاز التعريف ، المتصل بالكمبيوتر ، وهو يقول :

- سنستخدم هذا الجهاز ، للحصول على بصمات أصابعى ، وبصمة قزحيتى ، وتوزيع مسامى العرقية ، ثم ننقل كل هذا إلى كمبيوتر الأمن ، حيث نستبدل بها بيانات هوية أى شخص آخر ، ممن يحق لهم بلوغ المستويات الأمنية العليا .. وعندما نذهب إلى هناك ، سيفحص الكمبيوتر بصماتى ، ويقارنها بالمسجّل لديه ، وسيجد أنها تنطبق على أحد المسموح لهم بتجاوز كل المستويات ، مما سيجعله يسمح لنا بالدخول ، حتى نبلغ قاعة الفحص الإليكترونى .

حدّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تشيح بوجهها ، متمتمة فى حنق :

ـ فكرة عبقرية .

غمغم :

ـ كل أفكارى كذلك .

ثم أشار إلى جهاز التعريف ، مستطردًا :

ـ هيا .

انهمكت لسبع دقائق كاملة فى نسخ كل بيانات هويته الرئيسية ، ثم قامت بنقلها إلى كمبيوتر الأمن ، ونفذت خطته كلها ..

وعندما انتهت من عملها ، التفتت إليه ، قائلة فى عصبية :

ـ كل شىء على ما يرام .. يمكنك الذهاب إلى مركز الأبحاث ، وستجد الطريق مفتوحًا أمامك ، دون أدنى مشكلات أو عقبات ، حتى قاعة الفحص الإليكترونى .

أجابها فى سخرية شرسة :

ـ تقصدين أنه يمكننا الذهاب إلى مركز الأبحاث .. إننى لن أذهب وحدى أيتها العبقرية .

هتفت فى جزع :

ـ وماذا عن ابنى ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ سيبقى هنا .. لن يصيبه مكروه ، إلا لو حاولت التلاعب بى ..

ولتعلمى أن جهاز التفجير يعمل فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات ، وحتى عندما نصبح داخل قاعة الفحص الإليكترونى ، سيظل بإمكانى أن أضغط الجهاز ، وأنسفه فى لحظة واحدة .

هتفت مذعورة :

ـ لا .. لا تفعلها .. سأنفذ كل ما تطلبه .

أشار بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ هيا بنا إذن .. قلت لك : ليس لدينا الكثير من الوقت .

ولم تجب (نشوى) ..

لم تجب ؛ لأنها كانت تحدّق فى يده ، التى أشار بها ، وقد سرت فى جسدها ارتجافة قوية ، مع قشعريرة باردة كالثلج ..

ففى اللحظة ، التى سقط فيها الضوء على يده .. ولثانية واحدة أو أقل ، خُيّل إليها أن تلك اليد ليست بشرية ..

ليست كذلك على الإطلاق .

★ ★ ★

٨ ـ البديـــل ..

كل شيء كان يوحي بأن المهمة فاشلة لا ريب ..

صحيح أن المخابرات العلمية قد سيطرت على وكر ذلك العدو الغامض ، واستولت على المركبة الزمنية ، التي جاء بها ، إلا أنها لم تنجح بعد في العثور عليه ، أو حتى تحديد موقعه ..

ثم إن الغموض ما زال يحيط بالأمر كله ..

وعشرات الأسئلة ما زالت تملأ الرءوس ، دون تفسير منطقي ، أو جواب شاف ..

من هو ذلك العدو الغامض ؟!

إلى أية جهة ينتمي ؟!

من أرسله إلى حاضرنا ؟!

ولماذا ؟!

ثم إن ذلك الجسد ، الذي أحضره معه ، يفجّر بدوره بركانًا من التساؤلات ..

إنه جسد بشري ، يحمل كل صفات وسمات جسد (نور) ..

نفس نوع الأنسجة ..

بصمات الأصابع ..

بصمة القزحية ..

وحتى بصمته الجينية !!

فما الذي يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أهو جسد (نور) ، كما سيصبح عليه في المستقبل ؟!

أو بمعنى أكثر دقة .. أهي جثته ؟!

ولو أنها كذلك ، فلماذا أحضرها ذلك الشخص معه ؟!

ما الذي ينوي فعله بها بالضبط ؟!

أية خطة شيطانية يسعى لتنفيذها ؟!

وهذا يقود إلى سؤال آخر ، بالغ الأهمية والخطورة ..

ما الذي يخفيه لنا مستقبلنا في ظل هذا ؟!

على أية صورة سنصبح ، حتى نسعى لتدمير جزء من ماضينا ، ولمحة من تاريخنا ، على هذا النحو ؟!

كانت كل هذه الأسئلة تعربد في رأس القائد الأعلى ، وهو يتطلّع إلى عملية فحص ذلك الجسد ، على شاشة كبيرة في حجرة مكتبه ، عندما انبعث صوت جهاز الأمن الخاص ، وهو يقول :

- الدكتور (جلال) يطلب الإذن بالدخول .

رفع القائد الأعلى رأسه ، متسائلاً.

- هل تم التيقُّن من هويته ؟!

أتاه ذلك الصوت الآلى ، يجيب :

- مرتان ، طبقًا للأوامر الأخيرة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وزفر فى حرارة ، قبل أن يشير بيده ، مغمغمًا :

- فليكن .. دعه يدخل .

انفتح الباب فى هدوء ، وعبره الدكتور (جلال) ، وهو يقول ، ملوِّحًا بورقة فى يده :

- الأطباء والخبراء البيولوجيون وضعوا تقريرهم .

غمغم القائد الأعلى ، فى لهفة متوترة :

- حسن .

أجاب الدكتور (جلال) ، وهو يضع التقرير أمامه :

- إنها ليست جثة كما تصوَّرنا .. إنها أنسجة حية تمامًا .. كل المعدلات الحيوية نشيطة ومنتظمة .

هتف القائد الأعلى ، فى دهشة منزعجة :

- أتعنى أن تلك الـ ... اقصد ذلك الشىء حىّ ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، فى توتر شديد ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ! لا يمكن أن يكون قد أحضر (نور) نفسه من المستقبل .. أنت تعرف أولى قواعد السفر عبر الزمن .. لا يمكن أن يتواجد شخص ما مرتين ، فى الزمن نفسه ، إلا لو كان لم يولد بعد .

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

- الأمر لم يُحسم بعد .

قال القائد الأعلى فى حدة :

- وما الذى تنتظره لحسمه ؟!

أجابه بنفس الحزم :

- استكمال الفحوص .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- أما زالت هناك فحوص أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- بالتأكيد .. لقد انتهى خبراؤنا من إجراء كل الفحوص الخارجية ، وسيبدءون فى إجراء الفحوص

الداخلية .. فحوص الأشعة السينية ، والموجات فوق الصوتية ، والأشعة المقطعية ، والرنين المغنطيسى ، وغيرها ..

المهم أننا لن نتوقّف ، قبل أن نراجع أدق التفاصيل لدينا عن المقدّم (نور) ، على ذلك الجسد ، ونحن نبذل قصارى جهدنا لإنجاز هذا ، قبل أن ..

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظة ، وكأنما يبحث عن التعبير المناسب ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ قبل أن يستيقظ !

سرت قشعريرة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ يستيقظ ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. إنها ليست جثة ، كما أشرت فى البداية .. بل هى كيان حى ، فى حالة سبات اصطناعى مؤقّت ، ومن الطبيعى أن تنتهى هذه الحالة فى أية لحظة ، فيستعيد وعيه .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وغمغم ، وكأنما لم يكن يتوقّع هذا قط :

ـ يا إلهى ! .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ يمكننا بالطبع أن نطيل فترة سباته الصناعى هذه ، ولكن الخبراء لم يحبذوا هذه الفكرة ؛ إذ إننا نرغب فى إيقاظه ، عندما ننتهى من إجراء كل الفحوص ؛ فربما قادنا استجوابه إلى كشف كل الغموض .

عضّ القائد الأعلى شفته السفلى ، وراح يهزّ رأسه ، فى محاولة لتفهُّم واستيعاب الموقف ، قبل أن يرفع رأسه إلى الدكتور (جلال) ، متسائلاً :

ـ هل تلقيت تلك الرسالة ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا مرة أخرى ، وغمغم :

ـ نعم .. ولكننى أشعر بقلق بالغ بشأنها .

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أنا أيضًا شعرت بهذا القلق ، ولكننى درست الأمر جيّدًا ، ووجدت أن أفضل ما نفعله .. بل وربما كانت فرصتنا الوحيدة ، هى أن ننفذ كل ما طلبوه .

تنهّد الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ ولكن ماذا لو تسبّب هذا فى خسارتنا لكل شىء .

التقى حاجبا القائد الأعلى بعض الوقت ، ثم قال فى صرامة :

ـ ألم تتخذ كل الإجراءات اللازمة ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى اقتضاب :

ـ بلى .

أجابه القائد الأعلى :

ـ نفذ ما طلبوه إذن .

تنهّد الدكتور (جلال) ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أتى صوت أحد الأطباء ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول :

ـ نستعد الآن للفحص بالأشعة السينية .

اعتدل الدكتور (جلال) ، قائلاً فى حزم :

ـ على بركة الله .

قالها ، وتعلّق بصره ، وبصر القائد الأعلى ، بالشاشة ، التى تنقل ما يدور فى قسم الفحوص الطبية ، حيث أرقد الأطباء ذلك الجسد المجهول لـ (نور) الآخر على منضدة الفحص ، التى تحرّكت فوقها شاشة زيتية اللون ، حتى استقرّت فوق منطقة

الصدر والبطن منها ، ثم ضغط أحد الأطباء زر التشغيل ، وهو يرتدى معطفًا وقناعًا من الرصاص ، طبقًا للاحتياطات المعتادة (*)، وقال :

ـ الفحص بالأشعة السينية يبدأ الآن .

تألّقت الشاشة الفيروزية ، وبدا عليها رسم لما يحويه ذلك الجسد فى داخله أو ...

وفجأة ، فتح الراقد عينيه ..

ثم اعتدل بحركة حادة ..

ومع اعتداله المباغت ، تراجع كل الأطباء على نحو مذعور ، وهتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! .. لقد استيقظ .

واستدار ذلك الشخص ، يتطلّع إلى آلة المراقبة ، التى تنقل صورته إلى حجرة القائد الأعلى ، وكأنما التقطت أذناه هتاف الدكتور (جلال) ..

ونقلت الشاشة صورة مكبّرة لوجهه ..

(*) موجات الأشعة السينية (أشعة X) تسبب للمتعرّض عددًا من الأمراض الإشعاعية ، على رأسها الأورام السرطانية وسرطان الدم ، وهى لا تخترق معدن الرصاص ، كغيرها من أنواع الأشعة الأخرى .

كانت ملامحه نسخة طبق الأصل من (نور) ..

ولكن ذلك الانفعال ، الذى ارتسم على وجهه ، لم يكن يتناسب قط مع شخصية (نور) ..

لقد كان انفعالاً يحمل الشر ..

كل الشر ..

وفى نفس اللحظة ، انطلق أزيز قوى ، من جهاز فحص الأشعة السينية ، وارتسمت على شاشة الكمبيوتر صورة لما تم التقاطه ، من أعماق ذلك الشخص ..

واتسعت عيون الجميع ، فى ذعر وذهول ..

فعلى الرغم من الخلايا التى تم فحصها ، ومن النتائج الإيجابية لفحص بصمات الأصابع ، والقزحية ، وحتى البصمة الجينية ، كان فحص الأشعة السينية يعكس صورة لا يمكن أن تتفق مع أى كائن بشرى طبيعى ..

صورة لمجموعة من الأجهزة الإليكترونية ، والدوائر الدقيقة للغاية ..

وبحركة حادة ، استدار الآلى شبيه (نور) ، يلقى نظرة على الصورة ، التى تم التقاطها لأعماقه ..

الصورة التى كشفت هويته الحقيقية ..

هويته كشخص آلى بيولوجى متطوّر ..

ولأن برنامجه شديد التطوُّر والتعقيد ، ويعتمد على درجة مرتفعة من الذكاء الصناعى المستقبلى ، فقد أدرك على الفور أن أمره قد انكشف ..

وأن المهمة ، التى جاء من أجلها ، أيًا كانت ، قد فشلت ، قبل أن تبدأ ..

لذا ، فقد تحرّك فى سرعة مدهشة ، فوثب من منضدة الفحص ، ولطم أقرب الأطباء إليه لطمة قوية ، ألقت المسكين ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ثم انتزع ذراعًا معدنية ، من أقرب جهاز إليه ، وهوى به على رأس طبيب آخر ..

ووثب القائد الأعلى من مقعده ، هاتفًا :

ـ رجال الأمن .. أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

وإثر هتافه ، اندفع رجال الأمن إلى حجرة الفحص الطبى ، وارتفعت مسدساتهم الليزرية فى وجه ذلك الشخص ، الذى انقضّ عليهم بدوره ..

وانطلقت خيوط الأشعة ..

وارتطمت بجسده ..

وتمزّقت الخلايا الحية ، التى تغطى ذلك الجسد ..
وتناثرت الدماء فى كل مكان ..
ولكن هذا لم يوقفه ..
لقد واصل انقضاضته ، وضرب مسدس أحد الرجال ، بتلك الذراع المعدنية ، ثم هوى على رأسه بها ، واستدار يواجه الثانى ..
وقفز أحد رجال الأمن ، يركل جهاز الأشعة بكل قوته ..
ودارت شاشة الجهاز حول محورها ، مع عنف الضربة ..
وارتطمت برأس ذلك الشخص ..
وأسقطته أرضًا ..
ومع سقوطه ، انهالت عليه خيوط الأشعة من كل صوب ..
سيل من أشعة الليزر ، انهمر على الآلى البيولوجى كالمطر ، فتفجّر شىء ما خلف أذنه ..
وانبعثت شرارة قوية ، من جزء متمزّق فى قاعدة عنقه ..
وتفجّرت الدماء فى غزارة أكثر وأكثر ..

ولكن خيوط الليزر لم تتوقّف ..
لقد استمرّ انهمارها كالمطر ، والآلى يحاول النهوض فى صعوبة ..
ثم مال عنقه على نحو عجيب ، وارتطم بكتفه الأيسر ..
ومع الدفعة التالية من خيوط الأشعة ، سقط على ظهره كالحجر ، وانطلقت منه شرارات كهربية عنيفة ..
وعلى الرغم من أن كل شىء كان يؤكّد أن أمره قد انتهى ، واصل رجال الأمن غمره بأشعة مسدساتهم القاتلة لدقيقتين أخريين ، والقائد الأعلى يهتف ، عبر جهاز الاتصال فى مكتبه :
ـ أوقفوا إطلاق النار .. لقد انتهى الأمر .. لقد انتهى الأمر .
وأخيرًا ، أطاعه رجال الأمن ..
وتوقّف إطلاق النار ..
ولثانية أو ثانيتين ، راح الجميع يحدقون فى ذلك الشىء المسجى أمامهم ..
رجال الأمن ..

والأطباء ..

وحتى الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ، من حجرة هذا الأخير ..

ثم فجأة ، اشتعلت النيران فى الجسم الآلى ..

اشتعلت فى كل جزء منه ، فى سرعة بالغة ، وراحت تلتهم الخلايا الحية المحيطة به ، ورائحة شواء مقزِّزة تنبعث منها ..

وإثر النيران والدخان ، انطلقت أجهزة الإطفاء الآلية تعمل ..

وخبت النيران ..

خبت ، بعد أن التهمت كل ما يمكن فحصه ، من ذلك الآلى البيولوجى ..

كالمعتاد ..

ومرة أخرى ، هبط صمت مهيب ، رهيب ، ثقيل على المكان ..

وحتى فى حجرة القائد الأعلى ..

وفى وقت واحد تقريبًا ، وبانفعال يصعب وصفه ، راح الجميع يحدقون فى تلك البقايا الذائبة المحترقة أمامهم ..

البقايا ، التى كانت منذ لحظات قليلة ، نسخة طبق الأصل ، من أشهر رجل مخابرات علمية فى العالم ..

البقايا ، التى ذابت واحترقت ، تاركة خلفها جبلاً من الغموض ، وسؤالاً بلا جواب ..

لماذا أتى بها شخص ما إلى حاضرنا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

« (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، وبصحبتى الدكتور (ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .. » .

نطقت (نشوى) العبارة ، عبر البوق الخاص بجهاز الفحص الأمنى ، عند مدخل المبنى الرئيسى ، لمركز الأبحاث العلمية ، فانبعث من الجهاز صوت آلى ، يقول :

ـ مرحبًا يا سيِّدة (نشوى) .. مرحبًا يا دكتور (ممتاز) .. فليقف كل منكما فوق أحد المربعات الزرقاء ، ويتطلَّع إلى الدائرة الحمراء أمامه مباشرة .

أطاعت (نشوى) الأمر ، وكذلك فعل ذلك الشخص ، وما إن وقفا فوق المربعين الأزرقين ، حتى انبعثت خيوط من أشعة الليزر ، من الدائرتين الحمراوين ،

وراحت تتحرك فوق جسديهما ، وتتراقص على قزحيتيهما ، فى سرعة ودقة مدروستين ..

وتم التقاط صور بصمات أصابعهما ، وقزحيتيهما ، وتوزيع مسامهما العرقية ، وراح كمبيوتر الأمن يراجع كل هذا على ما تم تسجيله فى بياناته الرئيسية ..

ولأن البيانات الحقيقية للدكتور (ممتاز) قد استبدلت بها - بوساطة (نشوى) نفسها - بيانات ذلك الشخص ، فقد انبعث ذلك الصوت الآلى ، يقول :

- تم التحقق من شخصيتيكما .. مرحبًا بكما فى مركز الأبحاث .

وانفتحت البوابة الرئيسية أمامهما ، فعبراها فى هدوء ، وما إن أُغْلِقَتْ خلفهما ، وبدءا سيرهما عبر ممر طويل ، حتى قال ذلك العدو ، فى سخرية متوترة :

- ألم أقل لك : إنك عبقرية الفريق ؟! لقد مرّ كل شىء بسلام تام .

قال فى عصبية :

- إننا لم نعبر سوى البوابة الرئيسية .. ما زالت أمامنا ثلاث بوابات أخرى ، قبل أن نبلغ قاعة الفحص الإلكيترونى .

قال فى صرامة :

- سنعبرها كلها ، وإلا ...

نطق كلمته الأخيرة ، وهو يرفع يده إليها ، مع تلك الكرة السوداء فى راحته ، فقالت فى حنق وحدّة :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

لم تواجههما أية صعوبات ، عند البوابتين التاليتين ، حتى أصبحا أمام بوابة قاعة الفحص الإليكترونى ، فسألته فى عصبية :

- أأنت واثق من أن مركبتك هنا ؟!

أجابها فى صرامة غارقة فى الانفعال :

- إنه المكان الوحيد ، الذى يمكن أن تنقلوها إليه .. ألم أقل لك : إننى قد درست كل ما يتعلق بكم ؟!

قالت فى عصبية :

- فليكن .. سندخل القاعة ، على مسئوليتك الشخصية .

ورفعت يدها لتضغط زر جهاز الأمن ، إلا أن أصابعه قبضت على معصمها فجأة ، وهو يقول فى حدة :

- انتظرى .

وشهقت (نشوى) ..

وانطلقت من حلقها آهة ألم مذعورة ..

فتلك الأصابع ، التى أحاطت بمعصمها ، كانت قوية كالفولاذ ..

وباردة كالثلج ..

وفى هلع ، حدّقت فى وجه خصمها ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟! لقد أطعت أوامرك .

قال فى صرامة :

ـ سلى الكمبيوتر : هل القاعة خالية أم لا ؟!

قالت فى ألم :

ـ إنها خالية .. لقد تأكّدنا ، قبل أن ...

قاطعها فى صرامة مخيفة :

ـ تأكّدى مرة أخرى .

حاولت أن تنتزع معصمها من يده ، وهى تقول مرتجفة :

ـ سأفعل .. سأفعل .

ترك معصمها ، وهو يشير إلى الكمبيوتر الخاص بها ، فرفعته إليها ، وراحت تضغط أزراره فى عصبية ، وراجعت البيانات على شاشته ، قبل أن تقول :

ـ إنها خالية .

ألقى نظرة على البيانات بدوره ، قبل أن يقول :

ـ هيّا .

ضغطت زر الأمن ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، والدكتور (ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .

ومرة أخرى ، خضع كلاهما لإجراءات الأمن المعقّدة ..

فحص بصمات الأصابع ..

وبصمة القزحية ..

وتوزيع المسام العرقية ..

وأخيرًا تلك الهوية الزائفة ، التى زوّدته بها (نشوى) ، عبر جهاز كمبيوتر خاص .

هوية تحمل اسم وصورة الدكتور (ممتاز) ..

وفى النهاية ، انبعث صوت آلى ، من جهاز الأمن ، يقول :

ـ مرحبًا بكما ، فى قاعة الفحص الإليكترونى .

وانفتحت البوّابة الكبيرة للقاعة ، لتكشف عن المركبة الزمنية ، التى استقرّت وسط القاعة الخالية ..

وفى بطء حذر ، دلف العدو الغامض إلى القاعة ، وراح يتلفت حوله فى توتر شديد ، وهو ينتزع كرة بلورية من حزامه ، ويمسك بها فى تحفز ..

وتبعته (نشوى) ، وهى تغمغم :

– الآن ، وقد بلغت هدفك .. لِمَ لا ...

قاطعها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

– اصمتى .

والتقى حاجباه على نحو عجيب ، فى حين انتصبت أذناه ، ثم راحتا تدوران حول محورهما ، على نحو جعل (نشوى) تحدق فيها ذاهلة مذعورة ، وقد خُيِّل إليها أنها تراقب ذئبًا يرهف السمع ، لكشف ما يحيط به ، وسط غابة كثة الأغصان(*).

وللمرة الثانية ، منذ التقت به ، لم يبد لها خصمها بشريًا على الإطلاق ..

كل شىء فى ملامحه ، كان يشبه البشر ..

(*) الأذن البشرية مزودة بأعصاب حركية ، تتيح لها أن تتحرك فى أى اتجاه ، ليرهف الإنسان سمعه ، ويركز بوق أذنه ، وتلك القدرة يمتلكها أى إنسان ، إلا أن عدم استخدامها ، فى ظل التطورات الحديثة ، جعلها تتراجع وتختفى ، وعلى الرغم من هذا فما زال البعض يمتلك هذه القدرة حتى الآن .

كل شىء ..

ولكن شيئًا ما ، فى طبيعته أو أعماقه ، جعلها تشعر أنه ليس كذلك ..

شىء لم تلتقطه عيناها ..

وإنما التقطته أعماقها ..

تلك الشفافية المدهشة ، التى تتمتع بها ، أدركت ما يخفيه ..

وبالذات فى تلك اللحظة ، وهو يتحرك فى حذر زائد ، متجهًا إلى مركبته الزمنية ، وعيناه وأذناه تتحركان فى كل الاتجاهات ..

حتى بلغ المركبة ..

ولثوان ، راح يتحسس جسمها الخارجى ، فى بطء وحذر زائدين ، ثم لم يلبث أن همهم بكلمات عجيبة ..

كلمات لم تفهم حرفًا واحدًا منها ..

ومع آخر تلك الكلمات ، ضغط زرًا فى حزامه ، فأضىء مصباح كبير ، أعلى باب مركبة الزمن ، تألقت معه عينا ذلك الشخص ، وهو يقول فى ظفر :

– إنها تعمل .

انتفض جسدها فى توتر زائد ، وقالت فى عصبية :

ـ أهذا ما كنت تسعى إليه ؟!

تألقت عيناه أكثر ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

لوّحت بذراعها ، قائلة فى حدّة :

ـ امنحنى ما أسعى إليه إذن .

أطلّت من عينيه نظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ما تسعين إليه ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ نعم يا هذا .. أريد المادة المضادة ؛ لإيقاظ ابنى ، وجهاز التفجير الـ ...

قاطعها فى سخرية شرسة :

ـ المادة المضادة ؟!

ثم انطلقت من حلقه صرخة عالية مجلجلة ، هوى معها قلبها بين قدميها ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هل تعلمين ما الذى يمكن أن يحدث ، لـو منحتك تلك المـادة المضـادة ، بعد أن محوت أثرهـا من كل ما لديكم ؟! إنك ، وبكل بساطة ، لن تستخدميها لإيقاظ ابنك فحسب ، وإنما لإسعاف الجميع .. الفريق كله .. هل تصوّرت أننى ساذج وغبى إلى هذا الحد .

أجابته فى حدّة :

ـ سنتوصّل إلى تلك المادة المضادة ، إن عاجلاً أو آجلاً .

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ وحتى لـو عجزتم عن هذا ، سيستعيد الجميع قدرتهم على الحركة ، خلال أسبوع على الأكثر ، عندما يزول كل أثر للمادة الأساسية من الدم .

غمغمت مبهوتة :

ـ حقًا ؟!

ثم استطردت فى حدة :

ـ أعطنى جهاز التفجير هذا إذن .

قال فى سخرية :

ـ جهاز التفجير ؟! هـل تعنين أن أعود من حيث أتيت ، دون أن أظفر بأحدكم .

صرخت :

ـ أيها الحقير .. لقد فعلت كل ما طلبته !

أجابها فى شراسة :

ـ كان هذا لطيفًا منك للغاية .. سأضيفه إلى ما كتبه تاريخكم عنكم .. سأكتب أننى جعلتك تفعلين كل

ما أردت ، ثم نسفت رأسك ، وسحقت ابنك فى لحظة واحدة .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

ـ لا .. لن يمكنك أن تفعل هذا .

تألقت عيناه فى وحشية عجيبة ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟! اسمحى لى إذن بإثبات العكس تمامًا .. دعينا نُجر تعديلاً بسيطًا على الخطة .. سأضغط المفجِّر أولاً ، لأسحق ابنك سحقًا ، وبعد أن أتأكد من أن قلبك قد انفطر من أجله ، سأريحك من عذابك ، وأنسف رأسك بكل بساطة .

صرخت بكل ذعر الدنيا :

ـ لا .. إلا (محمود) .

أطلق ضحكة وحشية أخرى ، قبل أن يرفع يده ، قائلاً :

ـ قولى وداعًا لولدك الوحيد يا عبقرية الفريق .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الكرة السوداء .. بكل قوته ..

وشراسته ..

وانتصاره .

★ ★ ★

تألقت عيناه فى وحشيه عجيبة ، وهو يقول :
ـ حقًا ؟؟ اسمحى لى إذن بإثبات العكس تمامًا ..

٩ ـ الختـــام ..

لم يكد الدكتور (ياسر) يوقف سيارته ، أمام إدارة الاتصالات الفضائية ، فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، التى لم تكد تشرق فيها الشمس ، حتى وثب منها فى عُجالة ، وألقى التحية على حارس المبنى فى توتر ، قبل أن يسأله :

ـ أهم بالداخل ؟!

أجابه الحارس ، وهو يفسح أمامه الطريق :

ـ الجميع بالداخل .

لم يبد على الدكتور (ياسر) أنه قد سمعه ..

أو أنه يهتم حتى بسماع الجواب ، فأكمل الحارس لنفسه :

ـ فى هذه الساعة المبكرة .

ثم هزّ كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، وعاد يتطلّع إلى الشفق ، وإلى قرص الشمس الأحمر الكبير ..

أما الدكتور (ياسر) ، فقد اتجه مباشرة إلى حجرة رئيس الإدارة ، التى اجتمع فيها كل علماء الإدارة

تقريبًا ، يراجعون لوحة كبيرة أمامهم ، وما إن لمحه أولهم ، حتى هتف فى توتر كبير .

ـ لماذا تأخّرت يا رجل ؟! إننا نحتاج لخبرتك فى هذا الأمر .

أجابه الدكتور (ياسر) ، وهو يتجه إلى اللوحة فى لهفة :

ـ لقد هرعت إلى هنا فور اتصالكم .. أخبرونى .. هل التقطتم إشارة جديدة حقًا ؟!

أشار رئيسه إلى اللوحة أمامه ، وهو يجيب :

ـ ما رأيك أنت ؟!

لم يجب (ياسر) ، ولم ينبس أحد من الآخرين ببنت شفة ، وهم يراقبونه فى اهتمام ، وهو يفحص الإشارات مرة ، وثانية ، وثالثة ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً فى اضطراب :

ـ إنها إشارة منتظمة بالفعل .

ثم تنحنح ، مضيفًا :

ـ وهى ليست منعكسة .

سأله رئيسه فى توتر :

ـ هل تعنى أن هذه الإشارة واردة من الفضاء بالفعل ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ومن نجم بعيد أيضًا .

قال رئيسه فى انفعال :

ـ وكيف أمكنك تحديد هذا ؟!!

هزّ الدكتور (ياسر) كتفيه ، وهو يجيب :

ـ هذا يرتبط بطول الموجة ، وتلك الترددات الصغرى حولها ، وهذا المنحنى الذى ..

قاطعه رئيسه فى انفعال :

ـ المهم أنك واثق مما تقول .

تنحنح الدكتور (ياسر) ، قائلاً :

ـ كان هذا موضوع رسالة الدكتوراة الخاصة بى ، عندما ..

قاطعه رئيسه مرة أخرى ، وكأنما ليس لديه الوقت ، للدخول فى العديد من التفاصيل :

ـ وماذا عن فحواها ؟!

حدّق الدكتور (ياسر) فى وجهه لحظة ، وكأنما يستنكر السؤال ، قبل أن يقول :

ـ هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

سأله رئيسه بنفاد صبر :

ـ كم من الوقت ؟!

هزّ كتفيه فى حيرة ، فغمغم أحد زملائه :

ـ سينجزها فى أسرع وقت ممكن .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .

دفع رئيسهم اللوحة نحو الدكتور (ياسر) ، وهو يقول :

ـ حسن .. ابذل قصارى جهدك إذن .

التقط (ياسر) اللوحة ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ـ سأفعل .

هتف رئيسه :

ـ وفى أسرع وقت .

ارتسمت ابتسامة مرتبكة ، على شفتى الدكتور (ياسر) ، وهو يحمل اللوحة ، قائلاً فى خفوت :

ـ بإذن الله ..

وغادر الحجرة مع فريق من زملائه ، فيما عدا واحدًا منهم ، بقى فى حجرة الرئيس ، الذى قال فى عصبية :

ـ إنها مصيبة .. لا يمكننا أن نحتمل محاولة غزو فضائى آخر .

قال الرجل ، محاولاً تهدئته :

ـ ليست لدينا أية مؤشرات ، توحى بأنها محاولة غزو فضائى آخر .. إنها مجرّد إشارات ، لم يتمّ تفسيرها بعد .

غمغم رئيسه :

ـ لا بد أن نفترض الأسوأ .

ثم زفر بكل ما فى صدره من مشاعر وانفعالات ، قبل أن يضيف :

ـ على الأقل ، ستكون لدينا عندئذ فرصة للمقاومة .

نطقها ، وكل خلية فى جسده ترتجف ..

كل خلية ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

بكل قوته ، ضغط العدو الغامض تلك الكرة السوداء فى راحته ..

بلا تردُّد ..

أو رحمة ..

وبكل ذعرها ، صرخت (نشوى) ، وهتفت باسم ابنها ، و ..

« اطمئنى يا (نشوى) .. إنه بخير .. »

انطلقت العبارة فجأة ، من ركن القاعة ، فانتفض جسد (نشوى) فى قوة ، واستدارت إلى مصدرها فى لهفة ، هاتفة .

ـ حقًا ؟!

وانعقد حاجبا العدو فى شدة ، عندما برز (نور) من خلف مائدة فحص كبيرة ، وهو يحمل مسدسه الليزرى ، قائلاً :

ـ نعم يا (نشوى) .. لقد أنقذناه ، واستخدمنا نفس المادة المضادة ، التى أدليت بتركيبتها ، تحت تأثير التنويم المغنطيسى ، قبل أن تذهبى لمقابلة هذا الوغد .. نفس المادة التى أعادتنا إلى ما كنا عليه ..

أطل غضب الدنيا من وجه العدو وصوته ، وهو يلتفت إليها ، قائلاً :

ـ إذن فقد فعلتِها .. خدعتنى أيتها الحقيرة .

وارتفعت كرته القاتلة نحوها فى سرعة ، وهو يصرخ :

ـ وستدفعين حياتك ثمنًا لهذا .

قبل أن يضغط الكرة ، دوّى صوت طلق نارى فى القاعة ، وانطلقت صرخة قوية من حلق العدو ،

عندما أصابت رصاصة صائبة كرته ، وأطاحت بها بعيدًا ، مع صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ألم تسمع أيها الغبى .. لقد أعادتنا المادة المضادة جميعًا .

أدار العدو عينيه فى سرعة عصبية إلى (أكرم) ، الذى برز من ركن آخر من القاعة ، حاملاً مسدسه التقليدى ، وغضب الدنيا يرتسم على ملامحه ، وقبل أن يحدّق فيه ، سمع صوت (سلوى) ، من ركن ثالث ، تقول :

ـ و (محمود) الصغير يجلس الآن آمنًا ، مع اثنين من أقوى رجال أمن الإدارة ، داخل حجرة خاصة عازلة ، لا تنفذ إليها أية نوعية من الموجات أو الإشارات ، مهما بلغت قوتها .

نقل العدو بصره بين ثلاثتهم ، فى عصبية بالغة ، قبل أن يهتف :

ـ أين خامسكم إذن ؟! ألم يستعد وعيه مثلكم ؟!

أشار (نور) بسبّابته إلى آلة المراقبة ، قائلاً :

ـ إنه هناك ، فى مكتب القائد الأعلى ، ليراقبك معه ، ومع الدكتور (جلال) ، فى محاولة لتحليل شخصيتك ، ودراسة كل ردود أفعالك .

نقل بصره بينهم مرة أخرى ، فى نفس الوقت ، الذى ارتفع فيه صوت القائد الأعلى ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول :

ـ أهنئك يا (نور) .. لقد انتصر فريقك فى عملية أخرى .

هتف العدو فى سخرية :

ـ انتصر ؟! إنكم لم تنتصروا بعد يا هذا .. حتى ولو حاصرتمونى من كل الجهات .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ كفاك مكابرة يا هذا .. اعترف بهزيمتك .

انطلقت قهقهة عالية مجلجلة ، من بين شفتى العدو الغامض ، وهو يقول ساخرًا فى شراسة :

ـ هزيمتى ؟! لن يمكنكم هزيمتى أبدًا أيها السادة .. هذا أمر يفوق قدراتكم وإدارتكم بكثير .

ثم انعقد حاجباه فى شراسة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ بل على العكس .. نحن الذين سنهزمكم .. سندحركم دحرًا .. كل ما بنيتموه من حضارة وتقدُّم سيزول بضربة واحدة .

وارتفعت قبضته تلوّح فى الهواء ، مع صرخته المجنونة :

ـ نحن سننتصر فى النهاية .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ومن أنتم بالضبط ؟!

قهقه العدو ساخرًا مرة أخرى ، وقال فى شراسة :

ـ من نحن ؟! يا له من سؤال ؟! الزمن وحده سيجعلك تعرف من نحن يا هذا .. اللحظة التى سينتهى فيها تاريخكم ويبدأ تاريخنا ، ستجعل الكون كله يعلم من نحن .

ثم أشار إلى (نور) فى غضب وحشى ، مستطردًا :

ـ حتى مقاومتك العنيفة لن تجدى ، ما دمنا قد استولينا على مركبتكم الزمنية .. كل الزمن أصبح فى قبضتنا ..

ودارت عيناه فى وجوههم على نحو رهيب ، وهو يتابع :

ـ حتى لو فشلنا فى تحطيمكم فى هذا الزمن ، سينطلق فريق آخر إلى زمن آخر .. ربما نسعى لقتلكم فى مهودكم .. أو حتى قتل آبائكم وأمهاتكم ، قبل أن تولدوا .. بل ربما نسعى إلى بدء التاريخ ، وننسف جذوركم الأولى .

وارتفعت ذراعاه فى الهواء ، وهو يصرخ :

ـ لن تهزمونا أبدًا .

هتف (أكرم) فى عصبية ، وهو يسدد مسدسه إليه :

ـ ما الذى يقوله هذا الوغد يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى توتر بالغ :

ـ ألم تفهم بعد يا (أكرم) ؟! هذا الواقف أمامك ليس مستقبليًا فحسب .. إنه غير آدمى أيضًا .

حدق (أكرم) فى ذلك الشخص فى ذهول ، وهو يردد :

ـ غير آدمى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم يا (أكرم) .. غير آدمى .. إنه واحد من جنس فضائى آخر ، سعى لغزو الأرض ، وواجه مقاومة عنيفة ، يقودها فريقنا على الأرجح .. مقاومة هددت بفشل الغزو ، مما قاد الغزاة إلى وضع هذه الخطة الجهنمية .

انعقد حاجبا العدو الغامض ، وهو يستمع إليه فى انتباه واهتمام شديدين ، فتابع (نور) :

ـ قاتل محترف لديهم ، يعود إلى زمننا ، ويصنع لغزًا غامضًا ، يثير حيرتنا وارتباكنا ، ومن خلال هذا ،

وفى أثناء انشغال الجميع باللغز الزائف ، ومع سقوطنا جميعًا صرعى ذلك الشلل العجيب ، يتم الانتقال إلى الجزء الرئيسى من الخطة .

غمغمت (سلوى) :

ـ قتلنا جميعًا .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. إنهم يدركون أن مصرعنا قد يؤدى إلى ظهور فريق آخر ، قد يكون أكثر قوة وحنكة ، لذا فقد قرّروا تجنيدنا لحسابهم .. أو بمعنى أدق ، تجنيدى أنا ، كبطل سابق للمقاومة ، مع تاريخى المعروف فى مقاومة الغزاة السابقين .. لقد قرّروا أن أعمل لحسابهم ، وأقود الأرض كلها إلى الهلاك ، والكل يتصوّر أننى أمضى بهم إلى النصر .

سألته (سلوى) فى دهشة كبيرة :

ـ ولكنهم يعرفون كل شىء عنا يا (نور) ، ويعلمون جيّدًا أنه من المستحيل أن تخون وطنك وعالمك ، مهما كانت الأسباب ، ومهما كان الثمن .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ من سيقود العالم إلى هوة الهلاك لن يكون أنا فعليًا يا (سلوى) .. بل سيكون ذلك البديل الآلى البيولوجى ، الذى أحضره من زمنه ، والذى علمنا كل ما فعله هناك ، فى قاعة الفحص الطبى ، فى أثناء قدومنا إلى هنا .

هتف (أكرم) :

ـ آه .. إذن فهذا هو الغرض من إحضار نسخة طبق الأصل منك يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ بالضبط .. فقبل أن يعود إلى عالمه ، كان سيظفر بى ، على نحو أو آخر ، ليحلّ ذلك الآلى البيولوجى محلّى .. ومن المؤكّد أن أحدًا لم يكن لينتبه إلى هذا ، وحتى لو ارتكب بديلى أية أخطاء ، سيعزوها الجميع إلى الحالة التى أصابتنى ، من جراء ذلك العقار المجهول .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكن حالتنا العادية كانت ستؤكّد أنك وحدك .. أعنى بديلك وحده هو الذى يرتكب الأخطاء .

هز (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لو سارت خطته على ما يُرام ، لما أصبح لكم وجود هنا .

اتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، فى حين هتف (أكرم) فى غضب :

ـ كان سيقتلنا إذن ؟! يا للوغد !

هتف العدو فى غضب :

ـ استنتاج عبقرى أيها الأرضى .. إنك لم تختلف كثيرًا عما ستصبح عليه فى المستقبل .. لقد أدركت الحقائق كلها بمهارة مدهشة .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا قى وحشية :

ـ ولكن هذا لا يعنى أنك ستنتصر ..

قال (نور) فى هدوء عجيب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لوّح العدو بذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ـ قلت لكم : إن التاريخ كله فى قبضتنا .. الزمن كله ملكنا ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ وماذا لو فقدتم هذا السلاح الخطير ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يتساءل :

ـ ومن سيفعل هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ عودتك إلى هنا ، وكل ما فعلته ، نبهنا إلى ما ستواجهه الأرض فى المستقبل ، وجعلنا ندرك أن آلة الزمن ، التى نسعى لاختراعها ، ستكون هى السلاح الذى سيتسبّب فى هزيمتنا ، فهل تعتقد أننا سنواصل صنعها تحت هذه الظروف ؟!

اتسعت عينا العدو ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أعنى أن مركبة الزمن ، التى نسعى لإنتاجها ، مجرّد فكرة وردت من المستقبل ، بعد محاولة الغزو على الأرجح ، ولقد كنا نسابق الزمن ، لإنتاجها فى حاضرنا ، أما الآن ، فسنقوم بتدمير كل ما لدينا من وثائق وتصميمات ومعلومات ، عن مركبة الزمن ، وهذا يعنى أننا لن ننتج مثلها .. ليس خلال السنوات القادمة على الأقل .. لذا فلن تعثروا على أى أثر لها ، عندما تسعون لغزونا ، ولن يكون بإمكانكم السيطرة عليها ، أو على التاريخ .

ثم صوّب مسدسه الليزرى إليه ، مستطردًا :

- وسيظلّ تاريخنا ملكًا لنا ، ولن يعبث به أحد .

ران على القاعة صمت رهيب ، بعد أن انتهى (نور) من عبارته ، ثم لم يلبث ذلك الفضائى أن قطعه ، قائلاً :

- فكرة عبقرية ، ولكنها فاشلة تمامًا .

هتف به (أكرم) :

- كيف أيها الوغد ؟!

أجابه ، وهو يضغط زرًا فى حزامه :

- لأننى سأعود بآلة الزمن هذه إلى عالمى .

وعلى الرغم من أن العلماء قد تأكّدوا مرتين ، من أنهم قد عزلوا مصادر الطاقة الرئيسية عن المركبة ، إلا أن آلاتها انطلقت تعمل على الفور ، مع ضغطة الزر .

وفى مكتبه ، هتف القائد الأعلى :

- ربّاه ! كان هناك مصدر طاقة خفى .. أوقفه يا (نور) .. أوقفه قبل أن يقلع بالمركبة ، عائدًا إلى عالمه .. أوقفه بأى ثمن .

أطلق (نور) أشعة مسدسه نحو ذلك العدو مرة .. وثانية .. وثالثة ..

وفى كل مرة ، كان ذلك العدو يختفى بغتة ، قبل أن تبلغه الأشعة ، ثم يعود إلى الظهور فى موقع آخر ، وهو يقهقه ضاحكًا ، ويقول :

- لن يمكنك إصابتى أبدًا أيها العبقرى .. إنها خاصية نادرة ، كنت أدخرها للنهاية .. القفز عشوائيًا ، من نقطة زمنية إلى أخرى .. إنه تطوير قمنا به نحن ، بحيث لا يمكن أن يصيبنا قنّاص ، مهما بلغت براعته .

قالها ، وهو يستعد للصعود إلى مركبة الزمن ، مستطردًا :

- لقد خسرتم أيها العباقرة ، وسأعود إليكم مرة أخرى ، و ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

- مهلاً أيها الوغد .. إننى لم أطلق رصاصتى بعد .

التفت إليه العدو ، قائلاً فى سخرية :

- رصاصتك ؟! هل تتصوّر أن رصاصتك ستكون أسرع من أشعة الليزر ؟! هراء ..

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، بالنسبة لأية رصاصة عادية ، ولكن رصاصتى هذه تختلف .

قال العدو فى سخرية :

ـ فيم ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يصوّب مسدسه إليه :

ـ تختلف فى أنها قذيفة خاصة ، من تلك القذائف ، التى فتّحت عيون علمائنا على تطويرها .. قذيفة معدّة بحيث تتعقّب بصمة جينية بعينها .

قهقه العدو ساخرًا ، وهو يقول :

ـ صحيح أن تركيبى الجينى لا يختلف عنكم كثيرًا ، ولكن من أين لك الحصول على بصمتى الجينية ؟!

ابتسم (أكرم) فى تحدّ ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! هل نسيت دماءك ، التى تناثرت على وجهى فى المستشفى ؟!

اتسعت عينا العدو فى ارتياع ، واستعاد فى ذاكرته تلك اللحظة ، وأدركت عقليته المتطوّرة أن (أكرم) على حق ..

لقد تناثرت دماؤه فى المستشفى ..

وسيحوى سائلها بصمته الجينية حتمًا ، و ...

« الوداع أيها الوغد .. » .

نطقها (أكرم) ، ليقطع سيل أفكار خصمه ، وهو يضغط زناد مسدسه بكل قوته ..

وصرخ الفضائى ، وهو يضغط زرًا فى حزامه :

ـ لا .

ومع ضغطة الزر ، وثب جسده عبر فجوات زمنية مختلفة ..

ولكن الرصاصة الموجّهة تعقبته ..

وأصابته ..

وأمام عيون الجميع ، انفجرت الرصاصة فى صدره ، واقتلعته من موضعه ، ليرتطم بجسم المركبة الزمنية فى عنف ، ثم يرتدّ عنها فى قوة ، ليسقط جثة هامدة ، عند قدمى (نور) ..

وعلى الرغم من بغضه الغريزى للقتل والتدمير ، لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يخفض عينيه ، ليلقى نظرة على جثة خصمه ..

بل ولم يشعر بأى حزن أو شفقة ..

وكذلك كل الآخرين ..

هذا لأنهم جميعًا كانوا يدركون ، دون أدنى شك أن تلك الرصاصة ، كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة ، لإنقاذ مستقبل الأرض من غزو رهيب ..

غزو لا أحد يدرى متى سيحمل إلى الأرض لهيبه ؟!

لهيب الخطر ..

والرعب .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

لهيب الرعب

- ما سر ذلك الشخص ، الذى يسعى للقضاء على (نور) وفريقه ؟!
- كيف يمكن أن تواجه (نشوى) وحدها خطر وقوة ذلك الجاسوس المجهول ؟!
- ترى هل تواجه الأرض محاولة غزو فضائى آخر ، أم أنه هناك سر يكمن فى (لهيب الرعب) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم : طريق النجوم

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية الشباب من الخيال العلمى

126

الثمن فى مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع دار الهلال